حَوْلَهَا نُدَنْدِنْ

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ ©

اسم الكتـاب : حولها ندندن

تأليـــــف : عماد زعيتر

تدقيق لغوي : مختار مراد

القطـــــع : ١٤ x ٢١

تصميم داخلي : الباشا عبد الباسط

سنة النشر : ٢٠٢٣

الناشـــــــر : دار الزيات للنشر والتوزيع

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم : ١٤٥١٤ / ٢٠٢٣

الترقيم الدولي (ISBN) : ٠ – ٤٢٣ – ٨٤٤ – ٩٧٧ – ٩٧٨

دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم / ٤٩٣٥١

ت ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ – ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

عماد زعيتر

حَولَهَا
نُدَنْدِنُ

خواطر دعوية بلمحة أدبية

٢٠٢٥

مقدمة

وضعت يدي على كنوزك، فانتبه لها واحفظها،

وعاينت جراحك، وأتيتك بما يلزمها.

فهذه دندنة بين الجنة التي هي أقرب إليك من شِراك نعلك،

والنار التي مثلها في القرب.

الرفق

دخل رجل إلى مجلس هارون الرشيد ليعظه ويذكره، ولكنه أغلظ له القول.

فقال له هارون : قد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني،

أرسل الله موسى وأخاه إلى فرعون، وطالبهما بالرفق في مخاطبته:

" فقولا له قولًا ليناً لعله يتذكر أو يخشى ".

قال صلى الله عليه وسلم: من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله.

خرج زين العابدين بن الحسين من المسجد فتعرض له رجل بسوء، فأراد الناس أن يتعرضوا له فقال زين العابدين دعوه، وقال للرجل ما أخفاه الله عنك من ذنوبي أكثر مما تعلم، ألك حاجة أعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فخلع زين العابدين عباءته وأعطاها له، وأمر له بألف درهم.

فكان هذا الرجل كلّما قابله في الطريق، قال له: أشهد أنك من أولاد الأنبياء.

ما الذي أخرج الرجل من ثورة الغضب والسب إلى تلك الكلمة العطرة ؟

" ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ".

لقمان الحكيم قال لابنه وهو يعظه :

يا بني كذب من قال إن الشر بالشر يُطفأ، فإن كان صادقاً فليوقد نارين ولينظر هل تُطفيء إحداهما الأخرى، إنما يُطفأ الشر بالخير، كما تطفأ النار بالماء.

تعال نطرح سؤالا تمهيديًا :

ما معنى الرفق ؟

لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف.

فالكلمة الطيبة وطلاقة الوجه والرفق، هي مفاتيح القلوب.

فما أحوجنا إلى الرفق في أيام قست فيها القلوب والطباع، فنترفق في فعلنا وقولنا ليس عن ضعف وعجز، بل حكمة ورشد وأخلاق كريمة نتقرب بها إلى الله، فالمؤمن هين لين ليس مجرد كلام للتنظير تلوكه الألسن، بل نريده واقعاً عملياً نحياه، فقد انتكست المفاهيم عند البعض فظنوا أن الغلظة رجولة والتهور شجاعة، بل سولت لهم أنفسهم بأن الترفق بالناس وهن وانكسار، فساءت الأخلاق وانتشرت مظاهر العنف والبطش.

في مجلس أحد العلماء دخل رجل ومعه حربته، يريد أن يسأل ويستفتي فغرس حربته في الأرض، فوقعت على إصبع العالم فلم يتكلم أو يتحرك حتى أجاب الرجل وأفتاه ومضى، ثم رفع قدمه فإذا هي تنزف دمًا فقيل له: لمَ لمْ تتحرك من الوهلة الأولى وتصيح فيه، فقال: خشيت أن يضطرب لما صنع فيرتجّ عليه السؤال فيظل جاهلًا بدينه.

قال صلى الله عليه وسلم:

" إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه ".

تعي جيدًا مدى مكانة المسجد في نفوسنا، بقعة طيبة من خير بقاع الأرض، فيأتي أعرابي من البادية، ويقف في المسجد ويرفع ثوبه، تراه ماذا يصنع؟ إذ به يبول في المسجد، فاندفع الصحابة نحوه ليكفوا أذاه عن بيت الله، فتأتيهم الإشارة والأمر النبوي لا تذرموه ولا تعجلوا عليه دعوه حتى ينتهي، فلو انقطع بوله خوفًا ربما أضر بدنه،ولو فرّ منهم في المسجد سينتشر الدنس في مواضع كثيرة، حتى إذا انتهى الرجل قال: أريقوا على بوله ذنوباً من ماء، ثم دعا الأعرابي وقال: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن.

بحكمة ورشد عالج المشكلة، ونصح فاعلها حتى لا يعود لمثلها، ثم ضرب صلى الله عليه وسلم مثالاً بديعاً لأصحابه، فقال: " إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل شردت عليه ناقته، فقام الناس يشتدون خلفها، وهي تشتد هاربة والرجل يصيح: خلوا إلي ناقتي حتى إذا تفرقوا عنه، عمد إلى شيء من خشاش الأرض، ثم جعله في ثوبه ورفعه إليها ودعاها، فلم يزل بها حتى جاءته ".

كل عمل يخلو من الرفق والتلطف يكون مآله إلى سوء، ويندم فاعله على بطشه واندفاعه وتهوره، ولو ترفق لكان خيراً له.

جاء رجل إلى مجلس الخليفة عمر يشتكي فلاناً أنه قد فقأ عينه، فقال بعض الحضور القصاص يا أمير المؤمنين العين بالعين.

فقال عمر بتلطف ورفق: مهلاً يا أصحاب رسول الله، فإذا جاءكم الرجل وقد فقئت عينه فلا تحكموا له حتى تروا الآخر، فربما فقئت عيناه.

من العدل والإنصاف أن تسمع من الطرف الآخر، يأتيك صبيك باكياً متهماً جاره بأنه اعتدى عليه، فقبل أن تندفع وتغلي الدماء في عروقك، هلا تثبت أولاً من الواقعة أنها حدثت على النحو الذي حكاه صبيك، لعلك تقول في نفسك الولد يبكي، وعز عليك ما ذرفته عيناه، ونسيت أن أخوة يوسف بعدما ألقوه في الجب " .. جاءوا أباهم عشاءً يبكون ".

قال صلى الله عليه وسلم: "من حُرم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخير".

فمن تخلى عن لطفه وترفقه غمرته الخسارة ولحق به الضرر، وتناوشته المكاره وتباغضه الناس وانفضوا من حولـه، فما وجدوه إلا فظًاً غليظاً يخسر المواقف بتهوره وعلى أثرها القلوب.

حدث خلاف في مجلس الإمام الشافعي، بينه وبين تلميذه يونس بن عبد الأعلى، فترك يونس الدرس وانصرف، وفي المساء سمع يونس طرقاً على بابه، فقام ليفتح فوجد شيخه الشافعي بالباب.

فقال الشافعي :

يا يونس تجمعنا مئات المسائل، وتفرقنا مسألة واحدة.

يا يونس لا تحاول الانتصار في كل الخلافات، فأحياناً كسب القلوب أولى من كسب المواقف.

يا يونس لا تهدم الجسور التي بنيتها بيني وبينك، ربما تحتاجها للعودة يوما.

يا يونس أكره الخطأ ولا تكره المخطئ، ابغض المعصية ولكن ارحم العاصي، انتقد القول لكن احترم القائل، فإن مهمتنا أن نقضي على المرض لا على المريض.

ربما لم يرتقِ لسمعك من قبل اسم يونس بن عبد الأعلى، بينما كان الشافعي كالشمس للدنيا، فتى قريش الذي ملأ الأرض علماً، وكان مُحدث وشاعر وله مذهب في الفقه، فتغاضى عن كل هذا وذهب لتلميذه الذي لا يذكره التاريخ إلا قليلا، رفقاً وتلطفاً منه وسمو نفس لم تخدعها زخارف الدنيا وألقاب ونياشين، فترفق وكن حكيماً، ولا تك بارعاً في صنع الأقفال وأخرق في تشكيل المفاتيح.

لا تألف الروح إلا من يلاطفها ويهجر القلب من يقسو ويجفاه

قال ابن القيم رحمه الله: من رفق بعباد الله رفق الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه ومن عامل خلقه بصفه عامله الله بتلك الصفة في الدنيا والآخرة، فالله عز وجل لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه.

فلا تك فظاً وإياك والعنف، فإنه يهدم فيك كل جميل، ويُفسد من أمورك كل جليل، وينزع منك راحة الصدر وتغدو عليل، ويفرق عنك إخوانك وتحيا دهرك بغير خليل.

ذهب رجل إلى أحد الحكماء يلتمس منه الوصية، فقال الحكيم: سقطت أسناني لأنها جامدة وبقي لساني لأنه مرن. فتمهل وترفق وتبصر العواقب، ويسر ولا تعسر ودبر لأمرك ولا تنزع عصا العز من قبضتك، وتوكأ عليها ما حييت، ولا تشمت بك الأعداء أو تجلب همك للأصدقاء، ولا تندفع خلف غيرك فخفق النعال وراء الحمقى ما أبقى من عقولهم شيء، وادع بها ولا تمل: " اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ".

قيل لأحد الفلاسفة: ماذا تعلمت من الفلسفة؟

قال: أن أعيش في سلام مع نفسي ومع الناس.

فارحم ضعف أحبابك فسجاياهم لن ترضيك، ولعلك لم ترضى عن نفسك بعد، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنك، وكن خير آخذ ولا تدع المواقف تحرق صورة جميلة لك في قلوب الناس، واحذر وإني لك من الناصحين أن تتردى في عيون الخلق، فابق ملكاً ولو من غير عرش.

وائل الحضرمي سليل ملوك اليمن، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم معلناً إسلامه، فرحب به النبي وأدناه، ثم أعطاه أرضاً نظير ما تركه خلفه من الملك والزعامة، وأرسل معاوية بن أبي سفيان ليدله على الأرض، وكان معاوية رضي الله عنه لا ينتعل حذاء، فقال لوائل: أردفني على الناقة خلفك.

فقال وائل: ليس شحاً بالناقة، ولكنك لست رديف الملوك.

فقال معاوية: إذن أعطني نعلك.

فقال وائل: ليس شحاً بالنعل ولكنك لست ممن ينتعل أحذية الملوك.

مضت عقارب الأيام وجرت خلفها السنين، وألت الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه، فجاءه وائل في دار خلافته بالشام بعدما صار كهلاً تخطى الثمانين من عمره، فنزل معاوية عن عرشه وجعله مكانه وأكرمه وتسامر معه، وذكّره بما كان بينهما من قبل، ثم أمر له بعطاء من بيت المال، فأبي وائل أن يقبل المال وقال: أعطه لمن أحق به مني، ولكني وددت بعدما رأيته منك لو رجع بنا الزمان لأحملك يومها بين يدي.

✍ وصية :

قال الإمام الشعبي لرجل يخاصمه ويدعو عليه: إن كُنتُ كما قلت فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك.

فهكذا ينبغي أن تكون المعاملة بين جموع المسلمين قائمة على الترابط واللين، فالعاقل من يجعل المواقف دائما في صالحه، ليس بمكر ودهاء ولكن بإيثار وتضحية ونقاء، فيتجلى فينا قول الله عزوجل " رحماء بينهم ".

جاء رجل إلى النبي صل الله عليه وسلم وقال: كم أعفو عن الخادم؟

فقال: في كل يوم سبعين مرة.

فقبل أن تمتد يدك على خادم، أو تنال بحدة لسانك من أجير عندك، أو تحد نظرك لعامل في محطة وقود، أو تُبدي امتعاضك لنادل في مقهى، تذكر أنه بقي له من العفو تسع وستون مرة.

أخذتني الدهشة من قول أنس رضي الله عنه :

خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أفٍ قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء تركته لم تركته.

فلم يتبرم منه سيده طوال تلك السنوات حتى ولو مرة بأُفٍّ، فلو أُتِيَ لنا بخادم فلن يمر يوم دون مراجعة ولوم وعتاب وتقريع.

مكارم الخلاق تثمر رفقا :

جاء شاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب منه الإذن،ربما خطر ببالك أن الشاب جاء يستأذن للسفر أو الجهاد، ولكن رغبته التي يرجوها صدمت الصحابة، وإذ به يقول: ائذن لي بالزنا. فهمهم القوم وقالوا: كُف عن قولك.

عندما تطلب شيئًا من أحد ويكون الأمر مخجلاً، تهمس في أذنه أو تحاوره منفردًا، ولكن الشاب على الملأ يجهر برغبته في الفحش، أنا على يقين بأن نار الشهوة أحرقت على الشاب فؤاده، وأنه تراجع غير مرة عن طلبه المخزي ولكن حين فاض به الكيل هتف بصرخته القبيحة، فأشار النبي عليه أن يدنو منه فدنا، وانتظرت أن يهمس النبي في صدره بقوله تعالى: " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " أو يسرد عليه قوله: " لئن يضرب أحدكم بمخيط من حديد في رأسه، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له ". ولكن تناول الأمر أتى من طريق الرفق وليس بسياط الوعظ.

فمن عظمت رغبته وأعلنها هكذا لن تؤثر فيه قوارع الآيات.

فسأله صلى الله عليه وسلم : أتُحبه لأمك ؟

وفكر الشاب ، أمه تزني وتأتي هذا الفعل الشنيع.

فقال: لا، جعلني الله فداك.

قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم.

قال: أتحبه لابنتك ؟

فكر الشاب ابنته تزني وتكسر هامته وتضع رأسه في الوحل.

قال: لا، جعلني الله فداك

قال: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم.

قال: أتحبه لأختك ؟

فكر الشاب أخته تزني وتسود وجهه بقبح ما أتت.

قال: لا، جعلني الله فداك.

قال: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم.

تغيرت نظرة الشاب، ورأى الأمر بعين تجاوزت رغبة المتعة والظفر بشهوة، فقال جئت وما من شيء أحب إلي من الزنا، وقمت وما من شيء أبغض إليّ من الزنا.

لأن الحوار خرج من تحت عباءة الرفق فاقتنع عقله، وبقيت جوارحه فخشي النبي أن يؤتى من قبلها فوضع يده الشريفة على صدره، ودعا له:

" اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه ".

وبقيت همسة....

حين أسمع صوت شجار يأتي من بيت قريب أو جار ينتابني الحزن، فهذا الأب الذي يعلو صوته ويؤذينا ضجيجه، نراه مع الناس يلاطفهم و يوادعهم، فلم حظ أهله منه الغلظة والجفاء؟ تلك المرأة في عملها تمازح وتترفق لم عبست في وجه أهلها؟ ألسنا أحق ببيت سعيد أركانه الحب والملاطفة والنصح واللين ؟

حتى متى تُعاتبنا ضمائرنا ولا نستجيب ؟ فخيركم خيركم لأهله.

وقد قال علي بن أبي طالب : من لانت كلمته وجبت محبته.

خذ من الناس ما تيسر ودع من الناس ما تعسر

إنما الناس من زجاج إن لم ترفق به تكسر

ربما تتعجل الهمسة

من بيت النبوة تأتيك:

" يا عائشة ارْفُقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ".

فأرجو من كل أم أن تترفق بأبنائها وتعذر وتتأنى، وتوجه بغير توبيخ

و ترشد بغير قسوة، فالكلمة الطيبة صدقة، والأقربون أولى بالمعروف.

ومن بديع ما قرأت : الرفق رداء القلوب النقية، فلا يلتحف به فقراء الأدب.

الغيبة

سمع الحسن البصري بأن رجلاً اغتابه ،

فأرسل له مع خادمه طبق فيه رطب

وقال للخادم :

قل له سمع سيدي الحســـن أنك اغتبتــه وأهديته حسناتــك،

فلم يجد غير طبق الرطب يُهديه لك، وإن عُدتم عُدنا.

سفيان الواسطي قال: ذكرت رجلاً بسوء في مجلس قاضي البصرة معاوية بن أبي إياس.

فسألني معاوية :

أغزوت الفرس ؟ فقلت: لا.

أغزوت الروم ؟ فقلت: لا.

فقال: سلم منك الفرس والروم، ولم يسلم منك أخوك المسلم.

قال سفيان: لم أغتب أحد بعدها.

جلس ثلاثة أصدقاء في مجلس كثر فيه لغطهم، وطعنوا بألسنتهم في القاصي والداني، ثم دق هاتف أحدهم فاضطر أن يدعهم ويذهب لبعض شأنه، وقبل أن ينصرف ناشدهم ألا يتكلموا عنه بعد أن يخرج.

.... مسكين، حرم نفسه الأجر!

قال عبد الرحمن بن مهدي :

لولا أني أكره أن يُعصى الله، لتمنيت ألا يبقى أحد في المصر أي المدينة إلا اغتابني، فأي شيء أهنأ من حسنات يجدها الرجل في صحيفته لم يجتهد في عملها.

عذراً لو فاتني التعريف، ولكن في عجالة أستدرك الأمر.

أتدرون ما الغيبة؟

النبي صلى الله عليه وسلم يسأل أصحابه.

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: ذِكرُك أخاك بما يكره.

قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول.

قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهِتَّهُ.

البهتان هو الكذب العظيم وذنبه أعظم من الغيبة.

رب كلمة قالها اللسان فهلك بها الإنسان، فلو تتأمل تجد أن تسع أعشار الذنوب من اللسان، الغيبة والنميمة والكذب والقذف والسب واللعن وشهادة الزور ....

" إذا أصبح بن آدم، فإن الأعضاء كلها تُكفَر اللسان - تخضع له - وتقول اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا ".

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي: حسبك من صفية أنها كذا أي قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم: لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته.

كلمة مفردة عكرت ماء البحر الكبير من شدة قُبحها، فما بالك بمن يفتري على إخوانه ويبهتهم، ويُحدث الناس بعثراتهم.

" من قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال "

أَوَ تَدْري ما هي ؟

عصارة أهل النار، جعل الله سكناه هناك، حيث القيح والدم وما يخرج من أجسادهم، وما يسيل من فروج المومسات.

لعل نفسك اشمأزت من مجرد الكلام عنها، فكيف بمن يسكنها ؟!

قال سفيان الثوري: لئن تلقى الله بسبعين ذنبًا بينك وبين الله، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد بينك وبين العباد.

أمر بشع استخف به الجميع سأذكره لك بعد مقدمة يسيرة

سامحني إن تجاوزت حدود الفطرة السوية،

وطرحت عليك هذا السؤال، ماذا تقول في رجل وطئ أمه ؟

تمتعض وتغمض عينيك من بشاعة السؤال، ولكن لا شك أن ذنبه عظيم، ولكن يبقى المغتاب أعظم ذنبًا.

ترمقني بنظرة حادة، وتسألني عن الدليل...

روى الطبراني في الأوسط أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه.

فالخوض في أعراض الناس أشد من هتك أعراض المحارم، ومع ذلك تجد البعض يتهاونون في الأمر حتى صارت الغيبة فاكهة المجالس، وتلطخ بها كثير من الخلق، حتى تجد الرجل يتنزه عن الحرام والمسكرات وكثير من الشرور والآثام، ويحرص على الصلاة ويدع مالاً فيه شبهة حسبة لله، ولا يتورع عن لحوم إخوانه، وكأنه غفل عن حقيقة إسلامه، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فلو جاء يوم القيامة من المفلسين، فلا يلومن إلا نفسه بعدما شتم وسب واغتاب، فيقتص منه أصحاب الحقوق، فتفنى حسناته ويُطرح في النار.

قال رجل للفضيل بن عياض: إن فلانا يغتابني.

فقال الفضيل: قد جلب لك الخير جلباً.

وكأن ابن المبارك يزجرنا بلطف

لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والدي، لأنهما أحق بحسناتي

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال:

إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن قد عملها.

فيقول: يا رب من أين لي هذا ؟!

فيقول: هذا بما اغتابك الناس، وأنت لا تشعر.

وربما لم يحنث الحسن في يمينه والله للغيبة أسرع في دين المؤمن

من الأكلة في جسده.

مشهد رهيب من المعراج

قال صلى الله عليه وسلم: لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟،قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

لهم أظفار من معدن قوي كالنحاس،يخمشون بها وجوههم وصدورهم، تخيل مدى الوجع وقسوة العذاب، فما كانوا زناة ولم يسرقوا شعوبهم، ولكنهم وقعوا في أعراض الناس وذكروهم بما يكرهون،وبال شديد جروه لأنفسهم،ربما بكلمة واحدة، " إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً ".

لذا قال أحد السلف: أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة.

وقد كان أهل الورع يقولون في مجالسهم :

اللهم سلمنا وسلم المسلمين منا، وهذا لعلمهم بخطورة الكلمة وبالغ أثرها.

وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن النجاة: أمسك عليك لسانك،

وابك على خطيئتك، وليسعك بيتك.

وكأني بالآية زاجرة لمن يخشى: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ".

فلا يُكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد السنتهم، فما بالنا لا ننتبه والأمر خطير، نخوض بألسنتنا في كل واد ولا نتورع، ونحارب على كل جبهة بكلام فج ولا نكتفي،ونفري مع كل عابر بحديث لا ينتهي، وكان الصديق أبو بكر يُمسك بلسانه ويقول هذا الذي أوردني المهالك.

قال رجل لعمرو بن عبيد: إن الأسواري يذكرك بسوء.

فقال له عمرو: ياهذا إنك ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت لي حديثه، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، لكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

قال تعالى: " ولا يغتب بعضكم بعضا أيُحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ".

ولو صح الأثر لكانت الطامة أكبر:

إن الإنسان يعذب يوم القيامة فتقدم له جيفة أخيه، يُكلف أن يأكلها، ويقال: كله ميتاً كما أكلته حياً، وقد قال العلماء إن الحيوان الذي يأكل جيفة جنسه هو الكلب.

عسل مسموم على موائد الصالحين:

تفشت الغيبة وامتد لهيبها لمجالس أهل الفضل، فتسمع أحدهم يقول أنا حزين على أمر فلان، فقد بلغني أنه يصنع كذا وكذا، وربما خرجت الغيبة من أحدهم في قالب الديانة، فيقول دعونا من ذكر فلانة فعندنا بنات، وكأنه يوحي لك بأنها فاجرة أو يقول: هدى الله فلاناً فإنه يصنع كذا، فتكثر منهم العثرات والزلات، " وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا ".

والله در القائل:

وجدت سكوتي متجراً فلزمته إذ لم أجد ربحاً فلست بخاسر

قال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثٌ:

إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه.

قيل لعمرو بن عبيد: لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك.

فقال: إياه فارحموا.

لم تكن تتخيل أن كلمة تكب صاحبها على وجهه في النار، وتبدد حسناته وتورده المهالك، فتريد أن تحفظ لسانك وتتحفظ عن لحوم إخوانك، فلا تسخر أو تزدري أو تذكر أحداً بسوء بعد اليوم.

حيلة ربما تنفع:

سألتزم الصمت هذه المرة، وأدع عبد الله بن وهب يخبرك بحيلته:

نذرت أني كلما اغتبت إنسانًا أن أصوم يوماً، فكنت أغتاب وأصوم حتى تعودت الصيام، فنذرت أني كلما اغتبت إنساناً أن أتصدق بدرهم، فمن حبي للدراهم تركت الغيبة.

دع مجالس الغيبة، ولا تركن لحديث أهلها ولا توافقهم خشية أن يملوك، ولا تنخدع بحديثهم فلو أرادوا إصلاح صاحبهم لهمسوا في أذنه، فالتمس رضا الله ولو أغضبتهم ورد عن عرض أخيك، والمرأة ترد عن عرض رفيقة العمل وجارتها ومن علمت عنهن خيرا.

وقد جاء في مسند أحمد:

" من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة "

فيكفيك أن الله سبحانه سيتولى الدفاع عنك يوم الفزع الأكبر ؟

كفارة الغيبة :

لعلك تبحث عن كفارة تخفف بها حملك، وتتحلل بها من ذنوب كانت منك في حق إخوانك، بداية تعال نتفق بأن الندم توبة، ثم استغفر لذنبك الذي صنعت، ولكن ستبقى حقوق الخلق عالقة في عنقك، فلا تذهب لمن اغتبته وتقول سامحني ذكرتك بسوء، فربما توغر صدره، ولكن في مثل هذا المجلس الذي اغتبته فيه اذكره بخير واستغفر له.

الدعاء

يقول التابعي صلة بن الأشيم :جعت مرة في غزوة جوعًا شديدًا، فبينما أنا أسير أدعو ربي وأستطعمه، إذ سمعت وجبة من خلفي أي شيء يرتطم بالأرض، فالتفت فإذ بمنديل أبيض فيه رطب، في وقت ليس في الأرض رُطبة، فأكلت منه حتى شبعت.

أتاه المدد من حيث ظن ...

" أمن يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ".

قيل لأحد الأعراب: هل تحسن أن تدعو ربك ؟

فقال: أدعوه اللهم إنك وهبتني الإسلام من غير أن أسألك، فلا تحرمني الجنة وأنا أسألك.

سُئل علي بن أبي طالب كم المسافة بين السماء والأرض ؟

في زمن عزت فيه أجهزة الرصد وأدوات القياس

فقال رضي الله عنه : دعوة مستجابة

من ينابيع علمه أبصرنا بقصر المسافة، فمناجاتك أسرع من الضوء،

وسريعًا تخترق الحجب فاقرع أبواب السماء في سجودك،

فأقرب ما تكون هناك.

" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء ".

حين تضع جبهتك في التراب تحقق الغاية " واسجد واقترب ".

ركب إبراهيم بن أدهم البحر وغلب النوم عيناه فنام، واشتدت الريح وتلاعب الموج بالسفينة فانتبه من نومه على صراخ الناس، فقال: يا رب أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك.

فهدأت الريح، واطمئن البحر، وسكنت السفينة.

" ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ".

قال موسى عليه السلام: يا رب إنه لتعرض لي الحاجة من الدنيا فأستحيي أن أطلبها منك، فقال الله عز وجل: يا موسى سلني حتى ملح عجينتك وعلف شاتك.

ملح العجين إن افتقدته في الدار، فأطرق باب الله قبل أن تطرق باب الجار، فمهما كانت حاجتك دنيوية، فاستعن بالله ولا ترجو غيره.

يقول عبد الله بن الزبير : وقفت إلى جوار أبي في موقعة الجمل فظل أبي يوصيني بدين عليه، وقال: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي، فيقول عبد الله: والله ما دريت ما أراد حتى قلت من مولاك ؟ فقال: الله.

فقال ابن الزبير : والله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه إلا قضاه.

روى البخاري في الأدب المفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" من لم يسأل الله يغضب عليه ".

فكان يحيى بن معاذ يقول:

يا من يغضب على من لم يسأله لا تحرم من سألك.

" وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي"، ولم يقل عن دعائي، فقد روى ابن ماجه في سننه " الدعاء هو العبادة ".

سُئلت أم سلمة رضي الله عنها عن أكثر دعاء النبي، فقالت: كان يدعو: " اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ".

فادع بها، فالقلب يتقلب ولا يثبت على حال، فكم من عالم قد زاغ قلبه " وأضله الله على علم "،وكم من مسلم لم يحظى بقدر كاف من التعليم، ثبت على الحق قلبه،وتجد أستاذ جامعي يجادل الله في المواريث أوينكر أصل من أصول الدين، فالأمر لا يتعلق بدرجة علمية بقدر ماهي هداية من رب البرية، فسله الثبات.

يقول ثابت البناني: أنا أعلم متى يُستجاب لي

فقيل: متى يا ثابت؟

قال: إذا وجل قلبي واقشعر جلدي وفاضت عيناي وفتح لي بالدعاء أعلم أنه سوف يستجاب لي. هناك تفاصيل لا تُحكى إلا لله، وحاله شعوريه من الإستكانه لا تكون إلا في حضرته، ودموع لا تُذرف إلا بين يديه " إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ".

وقد ورد في السنة " إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا خائبتين ".

سأل النبي رجلًا: ماذا تقول في صلاتك ؟

قال أتشهد وأدعو اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار،

أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ.

فقال صلى الله عليه وسلم: حولها ندندن.

بكلمات غير منمقة ادع ربك، بلغتك الهزيلة تضرع إليه، دع عنك الرهبة التي يجدها الناس في حضرة الملوك، وتكلم على سجيتك، حتى إن لم تكن تُحسن الدندنة ونظم الخطاب.

صلى أعرابي ركعتين خفيفتين عند الكعبة، ثم مضى مسرعًا، فقيل له: أنت عند بيت الله الحرام، أما لك حاجة تدعو الله بها ؟

فقال: بلى دعوته: اللهم إنك أحصيت ذنوبي فاغفرها، وتعلم بحاجتي فاقضها.

طوى الأعرابي هموم الدنيا والآخرة، تحت عباءة الدعاء وحسن الظن والرجاء.

اشتد حزن يعقوب على يوسف حتى ابيضت عيناه، وفي إحدى الليالي قال: يا رب أما ترحم ضعفي، أما ترحم ذلي، أما ترحم فقري، أما ترحم كبر سني، أما ترحم شيبتي.

فلما نام من ليلته سمع مناديًا يقول: يا يعقوب وعزتي وجلالي وارتفاعي على خلقي، لو كان يوسف ميتاً لأحييته لك. ثم جاءته البشرى في اليوم التالي. "أما يُحسن أحدكم أن يتملق ربه "، تأمل معي حال طفل صغير يطلب من والده شيئًا يشتريه، فلا يمتثل الأب لرغبته فيبكي الصبي ليواجه أباه بحيلة جديدة، فيرق قلب والده لدموعه ويأتيه بحاجته، فهلا ذرفت دموعك ليأتيك الله بحاجتك.

يقول أحد العارفين: كلما أتيت باباً من أبواب الله وجدت عليه زحاماً، فأتيت باب الذل فوجدته فارغاً، فدخلت وقلت لكم هلموا.

فلا تدعو برأس مرتفعة، وتظن في نفسك العظمة.

فمعنى الدعاء: إظهار غاية الذل والافتقار إلى الله عز وجل.

الدنيا لا تخلو من محن ومنغصات ومصاعب وأزمات، فحين يشتد عليك الخطب وتداهمك الهموم فاطرق باب السماء، " ليس لها من دون الله كاشفة " ومهما انقطعت بك الأسباب، وتخلى عنك الأهل والأحباب،فلا تتطلع لغير السماء ولا تيأس من روح الله " قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ".

فلا تعلق قلبك بأحد المعارف أو ما تحظى به من علاقات، وارفع أكف الضراعة إلى كاشف الكربات، فقد حفظ إبراهيم في النار، ونجى يونس بعد أن التقمه الحوت، وجعل لموسى في البحر طريقاً يبساً،" أمن يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ".

قال ابن القيم: الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب.

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك.

قال نفر من التابعين لأنس بن مالك: ادع الله لنا.

فقال: الدعاء يرفعه العمل الصالح.

عقب حاجة المسلم قضيتها، أو آية في كتاب الله قرأتها، أو كسرة خبز تصدقت بها أو دمعة من خشية الله ذرفتها، ارفع أكف الضراعة فقد مهدت طريق الإجابة.

جاء رجل إلى علي بن أبي طالب وقال: إني مكاتب فأعني، الرجل يناشده أن يعينه على قضاء دينه، فقال علي: ألا أعلمك كلمات علمنيهن النبي صلى الله عليه وسلم، لو كان عليك مثل جبل ديناً أداه الله عنك، " قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك ".

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الداء

سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

دعا نوح عليه السلام بثلاث كلمات فأغرق الأرض " إني مغلوب فانتصر ".

دعا سليمان عليه السلام بثلاث كلمات فملك الأرض " هب لي ملكا ".

فمهما عظمت حاجتك فهي على الله هينة،اجتهد الفضيل بن عياض في تربية ابنه علي ليكون ورعاً من أهل الصلاح، فصعب عليه الأمر، ولعلك وجدت صعوبة مثلها، فكل ما تبنيه يهدمه الشارع ويسخر منه أصدقاء السوء، فلن يبلغ البنيان تمامه ولن ينضج الزرع ويبلغ مرامه، أفصح الفضيل عن عجزه وهرع إلى ربه ودعا: اللهم إني اجتهدت أن أؤدب علياً فلم أقدر على تأديبه فأدبه لي، فاستجاب له ربه وأصلح له ولده حتى قال سفيان بن عيينه : ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه.

غريق

هل تعلمون متى يستجاب الدعاء ؟

سؤال طرحه الإمام أحمد على نفر من أصحابه ليجذب أسماعهم، فأجاب: مثل رجل في بحر هائج سقط من سفينته، فتعلق بخشبة وظل يدعو يا رب يا رب، فإن دعوتم مثل هذا الرجل سيستجاب لكم.

جاء جماعة إلى النبي وقالوا: هل قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟، فنزل جبريل أمين السماء على محمد خاتم الأنبياء بقول الله عز وجل:" وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ".

المناجاة : الدعاء بصوت منخفض ،، المناداة : الجهر ورفع الصوت بالدعاء

خرج ثلاثة نفر يستسقون في زمن داود عليه السلام فقال أحدهم: اللهم إنك أمرتنا بعتق عبيدنا إذا شابوا في خدمتنا، قد شبنا في خدمتك فتفضل علينا بعتقنا، وقال الثاني: اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا، وقال الثالث: اللهم إنك أمرتنا أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، ونحن مساكينك وقفنا ببابك فجد علينا بكرمك وإحسانك.

" من أحب أن يستجيب الله له في الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء ".

من أجمل ما قرأت، حين تذهب إلى الله مكسور الجناحين تعود مُحلّقاً.

كل المناطق المنكوبة في قلبك، ارفع فوقها رايات الدعاء، وسيتولى

الله أمرها، ويميط عنها الأذى، " قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم ".

دعوة صادقة من قلب صادق:

مر عمر بن عبد العزيز رحمه الله برجل يلعب بالحصى ويدعو:

اللهم زوجني من الحور العين.

فقال له عمر : بئس الخاطب أنت، ألق الحصى وأخلص الدعاء الله.

من آداب الدعاء أن تعزم المسألة، وتلح على الله في طلب حاجتك، وتستقبل القبلة وترفع يديك حيال وجهك، وتبدأ بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، وتكرر حاجتك ثلاثا وتُلح على الله في طلبها، ثم تختم بالصلاة على رسول الله صل الله عليه وسلم، سيقبل الله الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما، ولكن أحضره معك !! ولا تتركه يرتع حولك.

أحضر قلبك معك، فقد جاء في الصحيح:

" اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ".

بنى الحجاج قصرًا وجعل الناس يطوفون به، فقال الحسن البصري: ليت الحجاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه، وأهل الأرض قد غروه، فأشفق عليه الناس خوفًا من بطش الحجاج وقالوا: حسبك يا أيا سعيد، فلما بلغت مقالته الحجاج استشاط غضبًا وقال لجلسائه:

تبًا لكم وسحقًا، عبد من عبيد البصرة يقول فينا ما شاء، فلا يجد من يرده أو ينكر عليه، والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء، ثم نادى على السياف وأمر الشرطة بإحضار الحسن، الذي دخل عليه شامخاً، وشفتاه تتحركان بكلمات لا يعيها من حوله، فقام إليه الحجاج وأجلسه إلى جواره، وسأله عن بعض الأمور فأجابه من سعة علمه فقال الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد. وطيّب له لحيته وودعه وسط دهشة عارمة من الجالسين.

خرج الحسن بشموخه الذي به أقبل فتبعه الحاجب، وقال: لقد دعاك الحجاج لغير ما فعل بك، وإني رأيتك حين رأيت السيف والنطع حركت شفتيك، فماذا قلت؟

فتبسم له الحسن، وقال: قلت: يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي اجعل نقمته برداً وسلاماً علي، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

حال الدعاء مع البلاء :

اعلم يقيناً بأن الدعاء يرد البلاء، وتكون لك النجاة بدعوة والدتك لك في الصباح، أو بسهم أطلقته وقت السحر، فيحفظك الله ولا يسوءك، وربما قلت في نفسك القدر لا يتغير ولا راد لقضاء الله، فهلا تمهلت حتى تقرأ معي من خواتيم سورة الرعد، "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب".

كتب الله لك أن تصاب بحادث، ثم في اليوم ذاته تصدقت أو سألت الله العافية، فيمحو الله عنك الحادث وتثبت لك المعافاة، هذا لو كان الدعاء أقوى من البلاء، أما لو كان البلاء المقدر أقوى فسيلحق بك أذى، ولا شك في هذه الحالة أن الدعاء خفف البلاء وأخذ من حدته، وربما كان البلاء في قوة الدعاء، فيتصارعان في السماء إلى يوم القيامة.

قال صلى الله عليه وسلم : الدعاء سلاح المؤمن، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء.

فليس العاجز الذي ضعفت قوته وتوكأ على عصاه، أو وهنت جوارحه وتثاقلت خطاه، ولكن العاجز من ترك الدعاء، وعجز أن يرفع يديه لربه ويلتمس مبتغاه، وتأمل حال موسى عليه السلام في أحلك ظروفه، حين قال له قومه " إنا لمدركون "، البحر من أمامنا والعدو من خلفنا، فرد على قومه بلسان اليقين رغم كانت كل الحيثيات ضده ، " كلا إن معي ربي سيهدين "،فأتت المعجزة التى حطمت قوانين المنطق، وخالفت حدود الطبيعة وجردت فرعون من قوته " فكان من المغرقين ".

اسم الله الأعظم:

كان رجل له حاجة، فسأل أحد السلف: هل تعرف أحداً مستجاب الدعوة؟

فقال: لا ، ولكني أعرف من يستجيب الدعوة.

انقطع الرجاء إلا من الله، وخابت الآمال إلا في الله، فحبال الناس واهية فاعتصم بحبل الله، كما صنع الثلاثة نفر الذي أواهم المبيت إلى غار، فوقعت صخرة على بابه فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، فانزاحت الصخرة وخرجوا يمشون، لو كنت رابعهم هل عندك ما تتوسل به؟..... أحسنت بك الظن، وتقبل الله طاعتك.

ذكر الشيخ الألباني في صحيح الجامع رواية عن أبي أمامة الباهلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن، في البقرة وآل عمران وطه ".

قم وتناول مصحفك، واقرأ هذه السور الثلاث وقف على آياتها، واستخرج منها اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، وربما أساعدك في الوصول لبغيتك.

قال صلى الله عليه وسلم: الظّوا بـ يا (ذا الجلال والإكرام).

أي الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها لعلها تفتح باب الاجابة.

إلى كل مهموم، إلى كل محروم، إلى كل قلب مكلوم،

إلى كل من نزل بساحته العتمة والغيوم،

ارسل برقية استغاثة إلى السماء، واطرق باب ربك الحي القيوم،

وابتهل، إليك المشتكى لا منك ربي ، وأنت لحادثات الدهر حسبي،

وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم " لا يرد القضاء إلا الدعاء ".

أوقات الإجابة:

وقت السحر قبيل الفجر بساعات، وفي السجود وعقب الصلوات، وعند نزول المطر وحين يصيح الديك، وعند زيارة المريض، وبين الآذان والإقامة الدعاء لا يرد، وعند شرب ماء زمزم وفي ليلة القدر وفي يوم عرفه، ودعاء المسافر والمظلوم، وللصائم عند فطره دعوة لاترد، فمع الصائم " شيك " مفتوح فليسجل كل يوم إحدى أمانيه.

ولكن قبل أن تتهيأ للدعاء دعني أهمس في صدرك بشيء أخير.

شروط الإجابة:

الإخلاص: " فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ".

اكل الحلال: " أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ".

اليقين: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ".

ألا تعجل: " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ".

ودّ الشيطان لو ظفر منك بها، أن تيأس وتمل وتترك الدعاء، فإن كان الخير في التعجيل عجّل الله إجابة الدعاء، وإن كان الخير في التأجيل أجّل الله قضاء حاجتك، " والله يعلم وانتم لا تعلمون "، ولكن خذ بالأسباب فقد أمرك سبحانه بالتضرع له، " وقال ربكم ادعوني أستجب لكم "، في هذا الموضع نحى الله كل حروف العطف، فانتظر وعده بالإجابة.

اللهم لا تجعل في قلوبنا انتظاراً لشيء لن يكون، ولا تعلقاً بأمر ليس لنا فيه نصيب، ولا ضجراً على أمر أتى بخلاف ما اشتهينا.

لعلك تحمل في صدرك شيئًا على حاجة رجوتها منذ سنوات فات وقتها ولم تقض تعال نتفق أنك حين دعوت لم تخسر، بل كنت من الرابحين وإن لم تر لك ربحا.

قال صلى الله عليه وسلم:

" ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها ".

وفي عجالة أقف معك على معنى الحديث :

لا يدعو بإثم لا يدعو بأن يوفقه الله في معصية.

ولا قطيعة : لا يدعو بهجر قرابته ورحمه.

يعجل له دعوته : وهذا ربح مرئي بقضاء غايته.

يدفع عنه السوء: يحجب عنه ما لا يرجوه، ويحفظ الذي عنده.

يدخر له أجرًا: يجد له حسنات على دعوات لم تُقضَ.

حاشاه أن ترجع الأيدي بلا نعم ،فالله أكرم من أن يردك خائباً صفر اليدين، فلك واحدة من ثلاث فكرر حاجتك ولا تخجل، وقد أخبرك سبحانه " فإني قريب أجيب دعوة الداع"، لعلك بها تطمئن.

قال صل الله عليه وسلم: " إن الله يحب اللحوح في الدعاء ".

فلا تلتفت لهشاشة مقوماتك أو وهن قدراتك، فالله لا يُعجزه شيء وأمره بين الكاف والنون، سيجعل لك من ثقب الباب مخرجاً، ويدبر أمرك من السماء ويهيء لك الأسباب، ولو تلطخت بصنوف الذنوب أقبل على حالك، وأطل الوقوف على بابه وستجد للطرق صدى، فمن أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتح له.

وعدتك سابقاً أن أبحث معك في السور الثلاثة عن اسم الله الأعظم، تتبع العلماء الاسم المكرر في هذه السور، فكان الحي القيوم.

مناشدة أرجوها منك، نفعها لي ولك ولثالث.

" إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشف عبدك فلاناً ينكأ لك عدواً أو يمشي لك إلى صلاة " رواه أبو داود

تحذير هام :

لا تتعجل وتندفع وتثور وتدعو على نفسك بالموت، وتجارتك بالخسارة أو تدعو بالويل والثبور على ولدك، فاجعل دعوتك له بالهداية وصلاح الحال.

قال صلى الله عليه وسلم:" لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم ".

سل الله من فضله ومن خيري الدنيا والآخرة، ولا تجور في دعائك.

فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم:

" اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك ".

وها أنا أبوح لك بآخر ما في جعبتي،" اذكرني عند ربك " قال ابن تيمية: أسرع الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب،تدعو لصاحبك في ظهر الغيب بشيء ترجو لنفسك مثله، فيدعو لك ملك مُقرب لم يعصي الله طرفة عين، ويقول: ولك بمثلها.

شيطانة أم ريحانة ؟

مر شاعر بنسوة فأنشد :

إن النساء شياطين خُلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فردت عليه إحداهن :

إن النساء رياحين خُلقن لكم وكلكم يهوى شم الريـــاحين

فمتى تكون المرأة شيطانة تهوي بك في النار؟

ومتي تكون المرأة ريحانة تسكن بك الجنة ؟

كان رجل من السلف كلما تعار ليلاً وجد زوجته تصلي.

فيقول لها: يا أمة الله ألا تنامين ؟

فترد قائلة: كيف ينام من علم أن حبيبه لا ينام.

قيل للنبي صلى الله عليه وسلم:

إن فلانة صوامة قوامة، ولكن تؤذي جيرانها بلسانها.

قال: لا خير فيها، هي في النار.

قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة وتتصدق بأثوار "جبن غليظ " ولا تؤذي أحدا.

قال: هي من أهل الجنة.

باع الحسن بن صالح جارية له، فلما انتصف الليل قامت فنادتهم :

يا أهل الدار الصلاة.

فقالوا: طلع الفجر ؟

فقالت: لا، أنتم لا تصلون إلا المكتوبة ؟رجعت إلى الحسن وقالت بعتني إلى قوم سوء، لا يصلون إلا المكتوبه، رُدّني.

كان حاكم متجبر كلما وقف في شرفة قصره، ورأى الملتحفات بالسواد غضب، وقال: حتى متى أرى هذه الغربان السود في بلدي؟ حارب الحشمة واضطهد العفة فتردت بلده زمناً في مستنقع العهر، وتباهت كالجاهلية الأولى بالرايات الحمر، فسقطت دولته لأجيال متعاقبة،ولم تنتبه إلا منذ عهد قريب.

وقد روي " المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان " أي زينها الشيطان ليوقعها في الفتنة أو يوقع بها الرجال.

قال أعداء الدين : كأس وغانية يفعلان في الأمة المحمدية مالا يفعله ألف مدفع.

بينما أنشد أمير الشعراء:

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

يرحم الله أياماً كانت المرأة تقول لزوجها في الصباح: اتق الله فينا، ولا تطعمنا إلا من حلال، فإنا نصبر على الجوع في الدنيا، ولا نصبر على النار يوم القيامة. فإذا عاد آخر النهار سألته كم نزل اليوم من القرآن؟ وكم حفظت من حديث النبي صل الله عليه وسلم؟ فإذا جنّ الليل تزينت بماء الوضوء ودخلت مخدع زوجها، فإن كان له حاجة قضاها، وإن لم يكن له حاجة قالت: أتأذن لي أن أقوم الليلة بين يدى ربي.

كانت امرأة حبيب العجمي توقظه بالليل وتقول: قم يا رجل قد مضى الليل وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت أمامنا ونحن قد بقينا.

وتجد على النقيض امرأة تغط في النوم، فإذا انتبهت لزوجها يصلي تبرمت واحتد صوتها مطالبًا إياه أن يُخفض قراءته أو أن يُطفيء الأنوار، أسرها دفء الفراش وأحلام داعبت جفونها، لو صلت وتضرعت لكانت رؤاها يقيناً.

ذكر بن كثير في البداية والنهاية :

في حصار إحدى بلاد الروم، نظر أحد المجاهدين الذي كان يؤمهم في الصلاة إلى امرأة من نساء الروم، فوقع في قلبه حبها فراسلها، كيف السبيل إليك ؟ فقالت: أن تتنصر وترتقي سور الحصن، ففعل وباع دينه لأجل امرأة اغتم الجيش لأمره، وبعد سنوات رأه أحد أصحابه داخل الحصن مع تلك المرأة فناداه ما فعل علمك وصيامك، وما فعل قرآنك ؟

فقال: إني نُسّيت القرآن إلا قوله: " ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون "، وقد صار لي فيهم مال وولد.

سبحان الله، لم يبق في صدره إلا آية تحرق فؤاده، ومكث بينهم حتى هلك.

شيطانه بحث في ربوعها عن الجنة، ونسي جنة الآخرة.

سعيد بن المسيب زوج ابنته لتلميذه كثير بن أبي وداعة، فلما قضى معها أسبوعا أراد أن يخرج، فسألته إلى أين؟ قال: إلى درس سعيد.

فقالت: اجلس وأنا أعلمك علم سعيد، وكانت من أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بالسنة، خطبها الوليد بن عبد الملك فأبى سعيد خوفاً عليها من فتنة القصور، وزوجها لطالب عنده على درهمين، وفي ليلة البناء مشى سعيد وهي خلفه تتبعه حتى زفها لزوجها، لم يكن هناك أسطول من السيارات، ولم يكن حفل الزفاف أسطوري ترصده كاميرات العالم وكبريات الصحف، كانت ليلة صامتة لم يتغن فيها ملوك الطرب، ولم ترتد العروس فستانا مرصعا بالماس، ولم تشدوا مع العزف بحكاية حب فلم تره إلا الآن، ولم تصفق وتتمايل وترقص حتى سقطت، بل لم تسقط إلا من الحياء، حين دفعها سعيد لزوجها وقال: كرهت أن تبيت ليلتك عزباً وأغلق الباب، فوجدت نفسها مع رجل لم تألفه فلم تتهيأ للأمر.

فحجبتها أمه ثلاثة أيام لتُصلح شأنها، وبشهادة الرجل كانت من أجمل النساء، جمالا لم يُصنع بعدسات لاصقة أو أدوات تجميل بل بماء الوضوء وتهجد الأسحار، وبعد شهر قابله سعيد فسأله عنها، فقال: بخير حال، فقال سعيد: إن رابك منها شيء فالعصا، ثم أرسل له بعشرين ألف درهم ليستعن بها على معيشته.

هل وقع الطلاق بعد ستة أشهر نتيجة لعدم التوافق ؟

التقية التي تربت على القرآن والسنة، لن يجد منها زوجها إلا السمع والطاعة، فهي تعلم لزوجها حقه فيمسكها بمعروف، وقد قالت امرأة تماثلها في التقوى ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم. ريحانة شبت على الإيمان فتعطرت جنبات بيتها بشذاها، وقد قيل إن المرأة الصالحة إذا سكنت البيت سكن البيت.

ويروق لي في هذا الشأن أن أعرج على ما أورده الإمام أحمد في مسنده " أعظم النكاح بركه أيسره مؤونة " فكلما كانت تكاليف الزواج يسيرة حلت البركة، وحين نغالى في المهر والتكاليف يتعسر على الشباب الحلال، فيندفع البعض إلى الحرام وكان أولى أن يُلزم نفسه بالصوم فإنه له وجاء،فليتنا نتخلى عن المظاهر ونعيش في رحاب الممكن،وقد قال الشيخ الشعراوي حين تزوجت لم يزد في بيت أبي إلا طبق وملعقة، أنا أعلم أن الزمن تغير، ولكن ياليت على أعتابه نرد.

أوصى أبو الأسود الدولي ابنته :إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق وعليك بالزينة وأزين الزينة الكحل، وعليك بالطيب وأطيب الطيب إسباغ الوضوء.

جاءت فتاة إلى الإمام أحمد بن حنبل وقالت: إنا نغزل على ضوء السراج فتمر بنا دوريات العسكر، فنغزل على ضوئهم فهل هذا حرام؟

فبكى الإمام وقال: من أنت يا بنيتي ؟

فقالت: أنا أخت بشر الحافي.

فقال الإمام : من بيتكم يخرج الورع الصادق، كل الناس يغزلون على ضوء العسكر إلا أنتم.

بكى الإمام لتورع الفتاة عن الحرام في هذا الأمر اليسير، فأجابها بقدر صلاح بيتها وقال: لا تغزلي، وإن كان الأمر يجوز.

في محافظة ساحلية قبضت الشرطة على رجل وشقيقته، بينهما علاقة محرمة وقد أنجبا ثلاثة أولاد، وتعجبت من ضمائر عاشت في السبات، ألم تواف المنية أحد جيرانهم أو ذويهم طيلة هذه السنوات فيرتدعوا؟ أو يقبل عليهم شهر رمضان فيستقبلوه بندم وتوبة وينتهوا، كيف سكنت في قلوبهم اللذة وهم أشقاء؟ "أولئك كالأنعام بل هم أضل" وبعد القبض قالت المرأة هو أخي وزوجي وحبيبي، وإن حكمتم عليه فاعدموني معه .....

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ... والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها"،لو رضيت الأم من أبنائها التقصير في حق الله، بالتهاون في الصلاة واجتناب المحرمات، مع الأيام سيقصر الأبناء في حقها، أم تجد في بناتها التبرج ولا تنصحهن أو يستخففن بالقيم ولا تنكر عليهن، ستكون موضع مسائلة يوم القيامة" إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع ".

أنا لا أعفي الوالد من المسؤولية، لكن ليس من فراغ أن تكون الجنة تحت أقدام الأمهات، ولهنّ أولا حق الصحبة الحسنة، فالجيل الذي تُرك للشوارع تحتضنه وتتبناه، ولرفقة السوء تتعهده وترعاه، في الغد القريب لن تراه إلا ملتحفاً بالفساد والضلال، فالله الله في الأجيال القادمة، فشتان بين أم كانت تحمل صبيها على كتفها لتذهب به إلى شيخه، بينما قدماها تخوض في وحل الشتاء، فلما اشتد عوده صار داعية يُشار له بالبنان، وبين أخرى شغلتها الموضة وصيحات الأزياء، عن غرس القيم النبيلة في نفوس أبنائها، فتاهت خطاهم وزاغت نفوسهم، فما التفت بهم يوماً حول كتب السيرة أو مأدبة القرآن، فما اجتمعوا إلا حول فن هابط أو إعلام تافه أو رقص وألحان.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: حفظتني أمي القرآن وأنا ابن عشر سنين، وكانت تُحمّي لي الماء لأتوضأ في ليال بغداد الباردة، وتلبسني معطفي وتلبس حجابها وتذهب بي لصلاة الفجر، فلما بلغت السادسة عشرة قالت: اذهب يا بني في طلب الحديث، فإن السفر في طلب الحديث هجرة إلى الله الواحد الأحد. هكذا يُصنع الرجال.

قرأت منذ سنوات مضت في جريدة المساء التابعة لمؤسسة التحرير، رسالة واردة إلى صفحة " قلبي يسأل "، كان صاحب الرسالة شابًا يحكي مشكلته أو بالأحرى جريمته، التي كان فيها جاني وضحية على السواء، وسأقص حكايته كما أرسلها وقد هذبتها ما استطعت.

" توفت أمي وأنا في العاشرة من عمري فتزوج أبي بعد وفاتها بقليل، وكانت زوجة أبي تجعلني أنام في فراشها مع والدي، اجتزت سن البلوغ فكان أبي ينصرف إلى عمله وتجعلني أختلي بها، كنت أشعر بتأنيب ضميري وسرعان ما أعود إليها، أنجبت ثلاث أبناء وصرت على أعتاب العشرين، دفعت شيطاني وقررت هجرها فهددتني، وقالت سأخبر والدك بما كنت تصنعه معي، ووالدك عاجز والأبناء الثلاثة منك، ولن يتحمل والدك الصدمة وسيموت قهرًا".

شيطانة ربته حملاً صغيرًا فصار وغدًا، ولما أراد أن يتطهر، قطعت عليه طريق الرجعة.

التمس لي العذر إن خدشت حياء نفسك الطاهرة بعفن الساقطات، وعد معي إلى تلك الريحانة التي أخبرنا النبي عن رحمة الله لها:

" رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت فأيقظت زوجها، فإن أبي نضحت في وجهه الماء"

امرأة ليلها في طاعة الله، فلن يختلف عن ذلك نهارها، ستجدها صوامة كما كانت بالليل قوامة، لن تبال بأمر جيرانها أو ترينـد الأحداث من حولها، كل ما يشغلها وردها والتقرب لربها، كلامها ذكر وصمتها فكر، تصنع طعامها بالتسبيح تارة وبالاستغفار أخرى، بيتها تحصنه بالأدعية والأذكار، وتسرد على مسامع صغارها قبل النوم قصص الصحابة والتابعين الأخيار، وحين تخرج من بيتها تخرج غارقة في حشمتها، وحين تركب حافلة وتسمع فيها صوت عزف ومزمار، تواتيها الشجاعة لتطلب من السائق أن يكف هذا الدنس عن سمعها، فما اعتادت إلا على آيات الذكر الحكيم الذي به تطمئن الروح وتسمو الخاطرة والأفكار.

مطرب مصري شهير ذهب إلى حفلة في مهرجان جرش بالأردن، فلما تغنى بأغانيه العاطفية أصيبت سبع وعشرون فتاة بحالات إغماء.

وصدق العلماء إذ يقولون: لو أن المرأة تحمل من شيء غير ماء الرجل لحملت من الغناء، فانظر إلى مدى التأثير الفسيولوجي للمرأة من وقع الغناء والألحان.

جاءنا البيان التالي، على لسان أحد مشاهير الدعاة، عن حالتين بينهما أمد بعيد من الإيمان، وسأدع له الحديث فهو أفصح مني لسانا.

يقول الشيخ: أتاني أحد الشباب وقال: والدتي تريد منك أن تتكرم بزيارتها. فذهبت إليها وسألتها عن أخبارها وعن حاجتها، فقالت: ادع لي يا شيخ فمنذ ثلاثة أيام لم أر النبي في المنام، فسألتها وأنا مندهش وماذا تصنعين لتري النبي صلى الله عليه وسلم في منامك ؟ قالت: أصلي عليه في اليوم ثلاث آلاف مرة. فتعجبت من أمرها وقلت لها: أنا أحوج إلى دعائك.

لم يمر على تلك الواقعة أكثر من عشر سنوات، امرأة ليست من المشاهير أو الصفوة اللاتي لهن باع في مجال الدعوة، ترى النبي كل ليلة في منامها، ولما غاب عنها في الليالي الثلاث الأخيرة سألت الشيخ الدعاء.

امرأة ربما لم تحظ بقدر من التعليم، ولكنها حازت شرف رؤية النبي الكريم، لا نعرف لها اسما أو نسبًا، لكن يكفيها أن خير الخلق يعرفها.

هذا الشرف لم يأت من فراغ، إنما أتى بحبها له ومداومة الصلاة عليه، فمن يُحب تجده يكثر من ذكر محبوبه ويأنس بسيرته.

ربما المرأة ما داعبت يوما أصابعها ماكينة الصرف، ولم تقرأ كتابا من كيندل أو تشتري لبيتها من متجر كبير، وما ضرها ذلك فيكفيها أن عينيها اكتحلت بهذا النور " ولقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين "، ريحانة يا حظ من عاش في كنفها.

أما عن الحالة الثانية، فقد قال الشيخ الجليل عنها:

رجل من أهل الفضل ميسور الحال، تجاوز الخمسين من عمره أخبر زوجته برغبته في الزواج بأخرى، فظنت أنه يمازحها وحين رأت عزمه على الأمر تبرمت وغضبت، وبعد أيام حين عودته إلى بيته في المساء، استقبلته زوجته وأخذت بيده إلى غرفة نومه فتفاجأ الرجل بفتاه جميلة ترتدي ثوب شفاف، فتعجب وسأل زوجته عنها فقالت : إصنع ما بدا لك معها ولا تتزوج بأخرى.

أحل الله النكاح وحرم السفاح، فبأي عقل تفكر تلك الزوجة؟ تأخذ بيد زوجها إلى هذا الدنس لتمنعه من حق مشروع، ولا تبال بعاقبة الأمور، فغضب الله ليس بعيد عن زوجها بشؤم معصيته لو أتاها، وإن لم يتب سيلقى في تنور يُعذب مع الزناة، ويوم القيامة لا يكلمه ربه ولا يزكيه ولا ينظر إليه وله عذاب أليم، كل هذا الويل بشهوة يضعها في حرام ليرضي زوجته، فماذا لو استمرأ الأمر أو مات على الذنب، فليتها رضخت لرغبته ولكنها أبت إلا أن ترضي غرورها، وتشبع حظ نفسها حتى لا يُقال تزوج عليها.

أنا لا أجد كلامًا أقوله غير ما ذكرت، ليس من باب العجز أو الكلالة ولكن الحديث عن واقعة بذاتها، فأخشى أن تقرأ صاحبة الواقعه كلماتي، وقد نُهينا عن العلاج بالكيّ.

ولكني سأذكر لك واقعة من زمن مختلف، وطبيعة المرأة غالبا لا تتبدل بتغير الزمان، تاجر ببغداد تزوج من ابنة عمه فرزقه الله منها بولد، ثم تزوج بأخرى ولم يُخبر زوجته الأولى، وبقي على ذلك أشهر فأنكرت أم ولده تغير أحواله، فطلبت من جاريتها أن تتبعه إذا خرج من السوق، فتبعته حتى دخل بيت زوجته الثانية، فتكلمت مع الجيران وسألتهم عن الدار، فقالوا دار فلانة قد تزوجت بتاجر منذ شهور، عادت الجارية إلى سيدتها وأخبرتها، فطلبت منها ألا تُخبر أحدًا عن زيجته الثانية، ولم تظهر لزوجها شيئًا وعاشت معه بالمعروف، وبعد عام مرض الزوج ومات وترك ثمانية آلاف درهم، للابن سبعة منها، وألف للزوجتين، فأرسلت مع الجارية لزوجته الثانية نصيبها من تركته، فلما أتت الجارية الزوجة الثانية، وأخبرتها بأن الرجل قد مات انهمرت منها الدموع، وقالت للجارية ردي هذا المال لسيدتك، وأخبريها بأن الرجل قد طلقني، فأنا لا أستحق من ماله شيئًا.أخذتني الدهشة من حالهما،ولست أدري من أي صنيع أعجب.

يقول عمر الفاروق رضي الله عنه النساء ثلاثة:

امرأة صالحة تعين على أمر الدين والدنيا.

وامرأة أم للبيت والأولاد.

وامرأة غل تعكر عيش زوجها.

يقول الحسن البصري: وقفت على بزاز ــ بائع ثياب ــ لأشتري منه بمكة، فأخذ يمدح ويحلف، فتركته وقلت لا ينبغي الشراء من مثله واشتريت من غيره، ثم حججت بعد ذلك بسنتين فوقفت عنده فلم يمدح أو يحلف فقلت له: ألست الرجل الذي وقفت عليه منذ عامين وكان يمدح ويحلف؟ قال: نعم.

.فسألته وأي شيء أخرجك إلى ما أرى، فإنك لا تمدح ولا تحلف فقال: كان لي امرأة إن جئتها بقليل احتقرته، وإن جئتها بكثير قللته، وافتها المنية ورزقني الله بغيرها، فإذا أردت الغدو إلى السوق أخذت بمجامع ثوبي، وقالت: اتق الله فينا ولا تطعمنا إلا طيباً، فإن جئتنا بقليل كثرناه، وإن لم تأت بشيء أعناك بمغزلنا.

ريحانة تأخذ بيد زوجها إلى الجنة، لا تبال بكد العيش وشظفه فتتحمل عسرة الأيام،فلا تُكثر اللعن أو تُكفّر العشير، وتحمد الله ربها على ما ساقه من رزق ندر أو كان وفير، ولا تخدعها زخارف الدنيا عند من حولها، فربما عُجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، وعلى الضد تجد أخرى تكلف زوجها ما لا يطيق، فيقترض وتتكالب عليه الديون لتشبع حبها للتملك وهوس الشراء، ليس لها هدف جاد في الحياة ولا فكر ناضج يرشدها، تنتابها الغيرة من قريبتها أو تملأ عينيها بما عند جارتها، فتكثر مطالبها وتنسى أن التدبير نصف المعيشة، وإن تأفف زوجها أو عارضها تمنعت عليه، وأبت أن تأتي فراشه فيغضب وتلعنها الملائكة حتى الصباح.

سأل زياد بن أبيه جلساءه، من أنعم الناس عيشة ؟

فقالوا: أمير المؤمنين.

فقال: لا، ولكن رجل مسلم له زوجة مسلمة لهما كفاف من العيش،

قد رضيت به ورضي بها، لا يعرفنا ولا نعرفه.

قال صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه:

" ألا أخبرك بخير ما يكتنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته،وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته ".

ريحانة يفوح شذاها في بيت زوجها، تفرح لفرحه وتحزن لحزنه، تتقي الله فيه وتعينه على أمر دينه ودنياه، إن حدث بينهما شيء لا يغمض لها جفن حتى تراجعه، تراعي له حقه وتحفظ له غيبته.

وربما تجد شيطانة تخون زوجها في حضرته، ذكر ابن الجوزي في كتابه ـ أخبار الأذكياء ـ أن امرأة كانت تعيش في البادية، وكان لها زوج جاور عقله السذاجة، وقد اتخذت عشيقا تجرأ يوما عليها وقال لها: إن لم تمكنيني من نفسك أمام زوجك هجرتك، فأرادت أن تحتال في الأمر فقالت لزوجها: إني لأشتهي الرطب، فقال لها سأصعد النخلة وآتيك بشيء منه، قالت لا: دعني أرتقي النخلة فصعدت وارتفعت، وإذ بها تصرخ وتقول: يا فاجر من هذه المرأة التي تجامعها أمام عيني، ثم نزلت وهي في أوج غضبها المزيف فتعجب الزوج من قولها، وظل يقسم لها بأغلظ الأيمان أنه لم يصنع شيئًا ولم تكن معه امرأة، وربما خدعها بصرها تظاهرت بالهدوء وسكن الزوج، وبقي في نفسه شيء من غضبتها، طلبت منه أن يرتقي هو النخلة، وأرسلت لعشيقها أن يحضر فأتاها وغشيها، فنظر زوجها فرآها على هذا الحال، فظن أن بصره قد خدعه هو الآخر،فقال لا عليك من غضبتك.

شيطانة ليس بوسع إبليس إلا أن يجلس بين يديها، ليتعلم منها طرق الغواية، على مرأى منه تمرغ شرفه في الوحل، فماذا لو غاب عنها ؟ أي فجور كانت تصنع فوق ذلك ؟

تروي إحدى المُغسلات اتصلت بي إحدى العائلات لحضور غسل ميتة لديهم، فذهبت وحين دخلت الغرفة أغلقوا باب الغرفة بالمفتاح، وعندما بدأت في الغسل إذ بلحم المرأة يتفتت في يدي وكأنه قطن، فظننت أن المرأة ماتت مقتولة، فطرقت باب الغرفة فلم يفتح أحد فشعرت برهبة، فقرأت بعض الأدعية حتى أبحرت السكينة في جوانحي، ثم كشفت وجه المرأة وقد غطوه بأكثر من شيء، فإذ بوجهها شديد السواد وكأنه قطعة فحم، انتابتني المخاوف مرة أخرى ولكني أكملت الغسل احتسابا للأجر، طرقت الباب ليفتحوا وأخبرتهم بانتهاء الغسل فتعجبوا، ولم يصدقوا حتى رأوا المرأة مدرجة في أكفانها.

خرجت مسرعة إلى بيتي وبقيت ثلاثة أيام لا أهنأ بنوم أو طعام، ولم أكف عن البكاء، اتصلت بأحد العلماء وأخبرته بما رأيت فقال لي: أما السواد فربما كانت لا تصلي، وأما تفتيت اللحم فكانت متبرجة.

ذهبت أعزي أهلها، فسألتهم لم أغلقوا الباب؟ فقالوا جاءتنا ثلاث مغسلات قبلك، ولكنهم فزعوا من سواد وجهها وانصرفوا مذعورين، ثم سألتهم عن حال المرأة فأخبروني في طيات كلامهم بأنها لم تكن تصلي أو تتحجب.

قال صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أهل النار لم أرهما .....،،

ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها ".

لم ير النبي صل الله عليه وسلم هذا الصنف من النساء في زمنه، فأخبر بأنهن يرتدين الملابس الضيقة التي تشف وتصف، مائلات عن العفة والاستقامة مميلات يدعين غيرهن إلى الشر والفواحش.

وما يؤلم القلب أن من اشترى لها الملابس الفاضحة، وكان بصحبتها زوج لا يغار، أراه على باب الدياثة يقف فلن يجد ريح الجنة، أو أب بات غاشاً لرعيته فحجب عنهن تعاليم الدين وإرثهن من الفضيلة.

حين هدأت سكينة تسونامي ذهب أحد الدعاة يتفقد أحوال تلك البلدة، التي تنتسب للإسلام فسمع من أمرهم ما أفزعه، يذهب الأب للمسجد ويترك ابنته مع صديق لها في البيت، فأي انتكاسة شر من هذه؟ انتشر العري بساحلها وسهل أمر الفاحشة، فغار الجبار في سمائه وأذن بهلاكها.

قال عطاء بن رباح قال لي ابن عباس :

ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت بلى، قال: هذه الأمة السوداء أتت النبي صل الله عليه وسلم وقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، قالت: أصبر ولي الجنة، ولكني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف.

عذرًا إن لم أحدثك عن فضل الصبر وثواب المبتلى، فربما ضاق المقام، فما استرعى انتباهي أن المرأة ذكرت شكايتها الأولى لكونها تصرع مرة، أما كونها تتكشف وهي تحت تأثير نوبات الصرع، كررت شكواها مرتان، فكان حقاً ما يؤرقها أن تنحسر الثياب عن بعض جسدها حينما تُصرع، وليس لها في ذلك حيلة.

أبت الأمة السوداء أن تتكشف، وربما لا تملك ما تحرك به غرائز الرجال، ولكنه الحياء والفطرة السوية وبشاشة الإيمان التي خالطت القلوب، فحفظ الله عليها حياءها ولم تأتها نوبة الصرع إلا وهي متعلقة بأستار الكعبة أو ساجدة تصلي.

دار الزمان دورته فانتشر التعري والتبرج وظنوه تحرراً ورقياً، وانتشر الاختلاط فأتى صديق العائلة يدك حصونها شرقاً وغرباً، وتدوس عرباته تربتها المهترئة، وقد قرأت عن عمارة في حي راق، يتبادل فيها الرجال زوجاتهن، وقد قالت هند بنت عتبة وهي حديثة عهد بجاهلية: أو تزني الحرة ؟.

حكى رجل عن سر توبته فقال: تحرشت بامرأة في الطواف فالتفتت إلي وقالت:

جئت من بلد بعيدة لأغسل ذنوبي هنا، فانظر يا عبد الله أين تغسل ذنوبك.

فرجاء وطلب ورغبة ومناشدة وبكل مفردة تأتي من هذا السياق،

أختاه، أغلقي كل الدروب إليك لعل مفتوناً يتوب.

الاجتهاد في الطاعة

قال صلى الله عليه وسلم :

" يا فاطمة بنت محمد اعملي ، فإني لا أغني عنك من الله شيئًا "

فـاعلم يرحمـك الله أن الراحـة لا تُنـال بالراحـة، ومعـالي الأمـور لا تنـال بـالفتور.

جاء في سنن الترمذي:

إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلا، ولم أسد فقرك.

صفوان بن سليم رحمه الله لو قيل له إن القيامة غدًا ما زاد شيء على ما هو عليه من العبادة. فقد كان يجتهد في العبادة ولا يتوان عن عمل ينفعه في آخرته.

قال سبحانه: " فاستبقوا الخيرات "،دعوة ملكية للمنافسة في أعمال البر، فالطاعات هي مضمار السباق نحو الآخرة، وحين كان السعي للدنيا أتى التخفيف " فامشوا في مناكبها "، فشمر عن ساعد الجد واجعل لك همة لا تبرح عتبة الجنة، بل لا تنشد إلا الفردوس، فإن نفس المؤمن غالية والبعض يبيعها رخيصة، فلا تجعل لنفسك ثمناً إلا الجنة.

الهمم العالية كنوز غالية :

يقول ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه:

كنت أبيت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بوَضوئِه وحاجته ، فقال: سلني يا ربيعة فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: أو غير ذلك ؟ قلت: هو ذاك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود.

غاية ربيعة لم تكن الجنة فحسب، بل أراد رفقة النبي فدله على طريق العمل، فالرغبة وحدها لا تكفي وأوصاه بكثرة السجود.

ربما يدور بخلدك سؤال: لِمَ لَمْ يطلب منه النبي كثرة الصدقات أو الإكثار من تلاوة الآيات، وكلها في مضمار البر والطاعات ؟

فاعلم يرحمك الله أنك لن تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة " واسجد واقترب " فلكي ترتقي في الجنان وتجاور النبي العدنان، فعلى الراغب الامتثال للأمر " أعني على نفسك بكثرة السجود ".

يقول الحسن البصري رحمه الله : من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

روى الطبراني في الأوسط، ولربما صح إسناده:

مر أبو هريرة بسوق المدينة فنادى يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: أنتم ها هنا وميراث النبي يقسم في المسجد، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟ فأسرعوا إلى المسجد ثم عادوا، وكان أبو هريرة في انتظارهم، فقالوا: ذهبنا للمسجد فلم نجد فيه شيئًا يُقسم، فقال: وماذا وجدتم في المسجد؟ قالوا: وجدنا قوما يصلون وقوما يقرأون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال أبو هريرة ويحكم، فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم.

عليك بما يفيدك في الميعاد لعلك تنجو بها يوم التناد

أيسرك أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

فقد ترى الزوجة تصوم النهار والأم تتهجد بالليل، والإبن يقرأ في المصحف، ورب البيت بدفه ضارباً مع أهل الغفلة، حرم نفسه الزاد ولن ينفعه الندم.

" ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ".

من أفنى في اللهو عمره، ضيع أيام حرثه وندم يوم حصاده، فلنبادر بالحذر،

لذا قال مالك بن دينار : اتخذ طاعة الله تجارة، تأتيك الأرباح من غير بضاعة.

قال شمس الدين التركمانستاني : ما سمعت أن أحد تعبد لله بعبادة إلا عبدت الله بمثلها وزدت عليها.

اجتهد سفيان الثوري في العبادة حتى أشفق عليه بعض أصحابه. فقالوا ترفق بنفسك يا سفيان، فقال : دعوني، فإنه قد بلغني:

إذا دخل أهل الجنة الجنة وأخذوا عطاياهم ونزلوا منازلهم، فإنه يسطع ضوء في الجنة تضيء منه الجنة الثمانية، فيظن أهل الجنة أن الرب العلي قد تجلى لهم، فيخرون في الأرض سجدًا، فينادى عليهم يا أهل الجنة أن ارفعوا رؤوسكم ليس هذا ما ظننتم، إنما هي حورية تبسمت في وجه زوجها.

قال ابن القيم : للعبد رب هو ملاقيه وبيت هو ساكنه، فينبغي له أن يسترضي ربه، قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

لذا كان أبو مسلم الخولاني يصلي حتى تتعب قدماه من تهجده، فكان يتناول سوطه ويضرب به قدمه ويقول: قومي فوالله لأزحفن بك إلى الجنة زحفاً حتى يكون الكلل منك لا مني.

إذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

فكان رحمه الله صادق العزيمة جادًا في إرادته، يدفع بنفسه إلى ما فيه سعادتها ليُحلّق بهمته نحو ما كان عليه الرعيل الأول، وقد قال في ذلك:

أيظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا، والله لنزاحمنهم على الحوض زحامًا ليعلموا أنهم خلفوا وراءهم رجالاً.

فإن استطعت ألا يسبقك أحد إلى الله فافعل، ولسان حالك" وعجلت إليك ربي لترضى "، فبادر وأيقظ في نفسك الهمم، واقرأ عن اجتهاد الأولين لتجد على مشقة الطريق من يُعين، " لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته " فلعلك منهم.

علي بن الفضيل كان يصلي بالليل، حتى إذا أراد أن ينام لا يقوى على السير لفراشه فيزحف، ويقول: يا أبي سبقني العابدون، وكان قتادة رحمه الله يختم القرآن في كل سبع ليال، وحج مسروق فما نام إلا ساجداً، وصام داوود الطائي أربعين سنة ولم يعلم به أهله، وأعتق ابن عمر ألف عبد وتصدق بألف بعير، وكان أويس القرني يلتقط كسرة الخبز من المزبلة، فيغسلها ويأكل بعضها ويتصدق ببعضها، ويقول: اللهم إني أبرأ إليك من كل كبد جائع، وقد قال الله عز وجل " منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ".

فلم ترضى بالفانية وتبع حظك من النعيم بعرض من الدنيا زهيد !!

رأى الحسن قومًا يزدحمون على حمل نعش رجل من الصالحين ،

فقال: تنافسوا في عمله لا في حمله.

قال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق حورها وأبكارها، ومثلت نفسي في النار أكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها.

جلس يتخيل أنه يتقلب في نعيم الجنة، ثم تخيل نفسه يتعذب في جحيم النار، ثم عاد إلى نفسه يسألها: أي شيء تريدين ؟

فحدثته نفسه بتمني العودة إلى الدنيا، قال يا نفسي أنت في الأمنية فاعملي.

وقف الحسن البصري على شفير قبر، وبجواره رجل فسأله الحسن لو عاد صاحب القبر إلى الدنيا ما تراه يصنع ؟

قال: يستغفر ويصلي.

فقال الحسن: هي فاتته فلا تفوتك.

الكسل منبت العجز والراضي بالدون دنيء، والجنة لا تنال بالفتور، ومن لم يتبصر عواقب الأمور عض يديه يوم النشور، فالعاقل من يأخذ من يومه لغده، قبل أن يخرج الأمر من يده، فإلى الله نمض فأحسنوا السير، ولعل الحسنة التي ترجح بها حسناتك لم تأتها بعد، فلا تنتظر ريحاً تحرك ساكناً، شمر عن ساعد الجد وأعط لنفسك إشارة البدء، وتجول في مضمار الطاعات واجعل لك في الليل ركعات، وتقرب إلى الله بالدعاء والصدقات،وإن كنت في سعة من العيش فبادر بالحج والعمرة، ولاتنسنا بصالح دعائك، فمن أراد السعادة الأبدية ورضا رب البرية، لزم عتبة العبودية.

قال عبدالله بن مسعود : ما ندمت على شي كندمي على يوم مضى، غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزداد فيه عملي.

أسلم رجل كان عابداً لصنم، فقال لمن أسلم على أيديهم حين رآهم

بعد أن صلوا العشاء أخذوا مضاجعهم :

هل هذا الإله الذي دللتموني عليه ينام ؟

قالوا: هو عظيم قيوم لا ينام.

فقال: بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام.

$ إعلان هام

من يشتري الدار في الفردوس يعمرها بركعة في ظلام الليل يحييها

أحد الصالحين لما مات رآه صاحبه في المنام فسأله أي عمل نفعك؟

قال: ما نفعنا إلا بعض ركيعات كنا نصليها في جوف الليل والناس نيام.

من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟

لم أطرح عليك السؤال بل طرحه النبي على أصحابه والحديث مشهور، ويعلمه الكثير، ولكن ما استرعى انتباهي أن ما صنعه أبو بكر رضي الله عنه، كان ما بين أذان الفجر حتى الإقامة، فقد اتبع جنازة وأطعم مسكينا، وعاد مريضا وجده في المسجد، كما تقول بعض الروايات، فما تراه كان يصنع بقية يومه؟

كان على درب الطاعات يعدو في سباق دائم نحو الخيرات، حتى استحق تلك البشرى أبواب الجنة الثمانية ستناديه يوم القيامة.

قل للذي أحصى السنين مفاخرا يا صاح ليس السر في السنوات

لكنه في المرء كيف يعيشها في يقظة أم في عميق سبات

تخطى أبو أيوب الأنصاري التسعين من عمره، وحين سمع قول منادي الجهاد يا خيل الله اركبي، أراد أن يقوم ويتهيأ للغزو، فقال له أولاده: أنت شيخ كبير وقد عذرك الله، فقال رضي الله عنه: وهل أبقت لنا آية النفير جنباً ننام عليه.

" ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض "

فخرج مع الجيش وعند أسوار القسطنطينية زادت عليه العلة، فأرسل إلى القائد يزيد بن معاوية، فأتاه وقال: ما حاجتك يا أبا أيوب؟ فقال: ادفني عند أسوار القسطنطينية، فإني سمعت رسول الله يقول: " يدفن عند أسوار القسطنطينية رجل صالح " وإني لأرجو أن أكون أنا هو، وما زال قبره هناك شاهدًا على علو همته، وما زالت الشهادة قائمة في حقه بأنه رجل صالح.

إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك، وقد قال الحسن رحمه الله : المؤمن في الدنيا كالأسير، يسعى في فكاك رقبته.

فما بلغ بك السعي؟؟ ..... ثبتك الله وأعانك.

نام سليمان الداراني وهو يصلي قيام الليل، فرأى في منامه حوراء تركضه برجلها، وتقول: أترقد وأنا أربى لك في الخدور منذ كذا وكذا، فقال: وثبت وقد عرقت استحياء من توبيخها لي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وبصري.

قال عبدالله بن المبارك :

إغتنم ركعتين زلفا إلى الله تكن مستريحا،

وإذا هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه تسبيحا.

أيام الدنيا معدودة وكدرها لا ينتهي في مقابل خلود لا نهاية له وجنة ونعيما،

لذا حرص السلف الصالح على إغتنام الأوقات ومكابدة الليل بالساعات.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير.

قد روي " أيما مسلم أطعم مسلم على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم كسا مسلم على عري كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم سقى مسلم على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم "

تجد أحدهم يضع طبق ماء في شرفته للطيور، وآخر تتبعه القطط بعدما أنست برقة معروفه، وثالث يذهب إلى أصحاب المحلات والصيادلة ويدفع ديون الغارمين، وذاك يذهب إلى المشفى ليُحدث المرضى عن أجر البلاء، وقد ورد في عظيم شأنهم " يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ".

مثل أفئدة الطير: في رقتها وضعفها وقيل في فزعها وخوفها، وقيل في توكلها على الله ربها.

يحكي ابن عبد البر عالم الأندلس أن أبا داوود صاحب كتاب السنن، ركب سفينة وكانت مازالت ترسو على الشاطيء، فسمع رجلاً عطس ولم يشمته أحد، ،فاستأجر قارب بدرهم وذهب إلى الرجل وقال يرحمك الله، ثم عاد إلى السفينة فقال له أصحابه لما أجهدت نفسك؟ قال: لعل هذا الرجل العاطس مستجاب الدعوة، أبحرت السفينة بمن على متنها وحين أرخى الليل ستائره، سمعوا هاتفاً يناديهم يا أهل السفينة إن أبا داوود قد اشتري الجنة من الله بدرهم.

طالما إنتهى الحديث إلى الجنة

تعال نبحث عن بيت هناك

بيت في الجنة لمن يملك الثمن

كم تحتاج من المال أو تستغرق من الوقت لتبني بيتا جديدًا؟ وبعد ردح من الزمن ستنتقل من دار إلى دار وتدع البيت، فهل تأذن لي أن أقدم لك عرضاً، لتمتلك بيتًا يبقى لك أبد الدهر، في البداية من حقك أن تسأل عن بعض الأمور، موقع البيت وقدر المساحة والحالة التي عليها.

لا أخفيك سرًا الموقع متميز، فربما كان البيت على شاطئ نهر الكوثر، أو في جنات عدن،تصل مساحة البيت ستين ميلاً وقد تم بناؤه بالذهب والفضة، لو بنينا بيتًا على هذا النحو في الدنيا، وساكن البيت على هيئة أدم عليه السلام ستون ذراع، لبرك اقتصاد العالم على ركبتيه ولكنه النعيم المقيم، وستجد المسك يفوح من جدرانه، حيث ما بين لبنة من فضة وأخرى من ذهب ملاط منه، أحطك علماً بكل التفاصيل.

وبقي الحديث عن شيء واحد، الثمن المطلوب.

وإليك البنود المسجلة في صحيح السنة، فخذ ما تيسر لك.

" من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتا في الجنة ".

" من ثابر على ثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتا في الجنة أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر ".

" من قرأ (قل هو الله أحد) عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة "

" من سد فرجة بنى الله له بيتاً في الجنة ورفعه به درجة "

قال صلى الله عليه وسلم: أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه.

زعيم أي ضامن، ربض الجنة أي أدناها، المراء أي الجدل.

إن لم تكن رغبتك في النعيم دافعا لك ومحفزا، فاجعل خوفك من النار شعلة تضيء في نفسك السعي، فمن علم أن الجنة تُزين من فوقه، والنار تُسعر من تحته، أنى له أن ينام هانئا؟

ثابت البناني كان يمكث في المسجد بعد العشاء يتهجد، وإذا غلبه النوم هجع ثم ينتبه ويتابع الصلاة، فكانت ابنته الصغيرة تفتقده في البيت فتذهب إليه في المسجد، وتقول: يا أبتاه كل الناس ينامون في بيوتهم إلا أنت.

فيقول لها: يا بنيتي حر النار أذهب عن أبيك حب النوم.

" من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة "، فالجنة لا تنال بالتمني ولكن بالعمل الصالح والجهد والمثابرة، فاحذر أن يكون حظك من العبادة مجرد رغبة تجول في صدرك، أو أطروحة رقيقة حظها منك " الايك والشير" فتلك بضاعة المُفلسين وإليها أشير!!.

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تُعدي

قال رجل لابن سيرين رأيت في منامي أني أسبح في غير ماء، وأطير بغير جناح، فما تأويل ذلك ؟ فقال له أنت رجل كثير الأماني والأحلام.

الرجل اصطف مع أهل الأماني في معسكرهم، وقد قال الحسن البصري في شأنهم: إن أقوامًا خرجوا من الدنيا ولا شيء لهم يقولون: كنا نحسن الظن بالله وقد كذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

قال يحى بن معاذ العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله،وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

وكلي يقين أن لك حظ وافر من الفطنة، وتعتبر بحوادث الدهر من حولك وفواجع الأقدار، فالموت يأتي بغتة ولا يطرق باب أحد، فهلا بادرته وترقبت وصوله.

وقد قيل لأحد العباد الذين يبذلون في الطاعة جهدهم، لم تعذب هذا الجسد ؟ قال: كرامته أريد.

فمن يرجو لنفسه السعادة، عليه أن يجر نفسه بسلاسل القهر إلى العبادة، فهذه هي الكرامة التي يسعى لها كل مجتهد، لذا قيل من طلب الراحة ترك الراحة.

جاء رجل إلى الإمام أحمد، وقال: متى الراحة يا إمام؟

قال: مع أول قدم في الجنة.

فليست الراحة في جمع المال أو تزويج البنات أو سداد أقساط، بل في جنة عرضها الأرض والسموات.

قال أحد السلف : يا ابن آدم إنك تغدو وتروح في طلب الأرباح، فليكن همك نفسك، فإنك لن تربح مثلها أبدًا.

" إن الله اشترى من المؤمنين..... "

هلا سألت نفسك ما عندك ليشتريه الله منك...

بيت وسيارة ومصنع و.....

أخي الكريم: " لله ميراث السموات والأرض ".

تعالَ نكمل الآية:

" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ".

يقول ابن عباس:

أنفس هو خلقها وأموال هو رزقها، ثم يأخذها ويُعطينا الجنة، ربح البيع.

قال عمر بن عبد العزيز في حجة حجها حين تدافع الناس من عرفة :

ليس السابق اليوم من سبق به بعيره، إنما السابق من غُفر له.

لن يُغفر لك إكراما لسواد عينيك، ولكن بادر بالخير من نفسك اليوم لنفسك غدًا.

أنت الذي ولدتك أمك باكيًا والناس حولك يضحكون سرورًا

فاعمد لعمل تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسرورًا

أنا أحسن بك الظن، ولعلك عند الله خير مني، لكني أعظ نفسي وإياك، احذر أن يجتمع عليك سكرة الموت وحسرة الفوت.

وقد قال الحسن: ابن آدم لا تغتر بقول القائل المرء مع من أحب، إنه من أحب قوماً اتبع أثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتى تأخذ بهديهم وتقتدي بسنتهم، وتصبح وتمسي على منهاجهم.

قال أحد السلف: كنا نحتسب الأجر في سؤال الناس عن أحوالهم ليقولوا الحمد لله، فهنيئا له تجارته مع الله، ولا بضاعة عنده إلا صدق نيته وسؤال من حوله عن حالهم،وهذا ابن عمر يقول: إني لأخرج إلى السوق وليس لي حاجة إلا أن أسلم أو يُسلم علي، كانوا يبتغون الأجر ويبذلوا جهدهم ليظفروا بالثواب من أشد الأعمال وأيسرها، واليوم تجد شباب يرفعون حديد وأثقال، ولا يقوى أحدهم أن يرفع عنه غطاءه ليُصلي الفجر.

قد ورد في السنة " من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صل الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله ".

وحين سأل أبو أمامة الباهلي عن أفضل الأعمال، فأجابه النبي صل الله عليه وسلم:عليك بالصوم فإنه لا عدل له، فكان أبو أمامه لا يرى في بيته دخان بالنهار من كثرة صومه هو وأهل بيته، وقد قال الله عز وجل " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"

سُئل أحد السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة، فقال : لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها ، فلذلك ثقلت فلا يحملنك ثقلها على تركها.

والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها، فلذلك خفت فلا تحملنك خفتها على ارتكابها.

قال صلى الله عليه وسلم" من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة ". فهنيئاً لمن مكث في مصلاه بعد الفجر وانغمس في الذكر والتسبيح هذا الأجر الوفير، وله أن يصلى الضحى ركعتين أو أكثر بعدما تُشرق الشمس بثلث ساعة، ولعل المرأة لها مثل هذا الأجر إن صلت في بيتها، وأقبلت على الذكر والقرآن حتى يحين وقت الضحى.

ويكفيك أن تعلم أن طاعتك هي خط دفاعك الأول في قبرك،وهذا ما أورده الطبراني في الأوسط :

" يؤتى الرجل في قبره فإذا أتي من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن، وإذا أتي من قبل يديه دفعته الصدقة، وإذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد ".

فداوم على الطاعات ولو بالنذر اليسير، فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، ولو خمس آيات تقرأها أو ركعة في جوف الليل تصليها، أو صدقة قليلة لفقير تعطيها، لكن شرط المداومة وأن تثبت عملك، وقد قيل لو ثبت لنبت،وإن وهنت عزيمتك فاطلب المعونة من الله، وإني داع لك أعانك الله على طاعته واصطفاك لجنته.

وأختم دندنتي بهذا الإرشاد النبوي: ألا أدلكم على أبواب الخير، الصوم جنة والصدقة برهان وصلاة العبد في جوف الليل تُطفيء كل خطيئة.

قسوة القلب

قال ابن القيم رحمه الله :

خُلقت النار لإذابة القلوب القاسية، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، وما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله.

شاب يقود سيارته وبجواره شقيقه انتبها إلى حادثة مروعة فنزلا من السيارة، فلما رأى أحدهما الأشلاء والدماء بكي بحرقة، والآخر لم يتأثر بشيء.

فلماذا بكت عين وجفت الأخرى ؟

أكملا طريقهما، وحان وقت صلاة العصر وبعدما فرغ الإمام من الصلاة، ألقى في نفوس المصلين موعظة بليغة، وجلت منها القلوب فانحدر الدمع من أحدهما، والآخر لم يتحرك فيه ساكن.

فلماذا بكت عين وجفت الأخرى ؟

قال تعالى :" ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ".

قست قلوبكم : اشتدت وغلظت فلم تؤثر فيها الموعظة، فصارت كالحجارة في صلابتها.

من أين أتت القسوة ؟

سأدع يحيى بن معاذ يسرد لك المبررات ويأتيك بالحجج لتعلم كيف تراكمت الحجارة في صدرك.

ما جفت الدموع إلا لقساوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب، وما كثُرت الذنوب إلا من كثرة العيوب، وما كثرت العيوب إلا بالاغترار بعلام الغيوب.

وقد قال عز وجل عن أثر المعاصي :

" كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ".

وقد تكون من الله عقوبة :

" فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ".

قال صلى الله عليه وسلم:ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

حدث غير مرة بأن جهاز استقبال الستالايت لديك انقطع إرساله فجأة، دون سبب واضح لك وتعذر عليك اصلاحه.

قد تتعجب في نفسك، وتقف في حلقك علامة استفهام خلف هذا السؤال، ما الذي أخرجنا من حيز القلوب إلى فضاء الأقمار الصناعية؟

قلبك أشبه بجهاز استقبال، فربما سمعت موعظة ولم تتأثر أو حضرت جنازة ولم تعتبر،ما السبب في ذلك ؟

الإشارة ضعيفة بين الحدث المرئي والقلب موطن الشعور.

ولم اعتراها الضعف ؟

" إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكره الله "

وهذا المعنى ورد في قوله تعالى" كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ".

خطايا وذنوب ومعاصي تراكمت على القلب حتى تكونت طبقة سوداء، أحاطت بالقلب من الخارج، فحجبت عنه إشارة الموعظة وقرع الآيات، ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر ما رواه الترمذي في سننه :" نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم ".

فإن كانت الخطايا أثرت في الحجر الصلد، فتأثيرها في القلب أشد.

أضاف ابن القيم رحمه الله في هذا السياق ما ننتفع به حيث قال: مفسدات القلب خمسة، كثرة الاختلاط وركوب بحر التمني والتعلق بغير الله وكثرة الطعام وكثرة النوم .

سؤال تأخرت في طرحه عامدًا عن تشخيص المرض لنذكر أعراضه وعلاجه تباعا:

ما معنى قسوة القلب ؟

ذهاب الرحمة واللين والخشوع من القلب.

كيف أعرف أني مبتلى بهذا الداء، وما هي الأعراض المشهودة؟

-لا يتأثر بالقرآن والمواعظ، ولا يعتبر بالموت.

-التكاسل عن الطاعات، وإن صلى فبغير خشوع.

-لا يكترث إن نزلت بالناس شدة ويفرح بمصائبهم.

-غلظة في التعامل مع الناس، ويعتدي على حقوقهم.

- سوء الظن بمن حوله وكثرة الخصومات والمشاجرات.

- يحتقر أعمال البر والإحسان وقضاء حوائج الناس.

وقال حذيفة المرعشي :

ما ابْتُلِيَ أحد بمصيبة أعظم عليه من قسوة قلبه.

فعلى كل من يستشعر في نفسه شيء من هذه

العلامات، أن يبدأ فوراً رحلة العلاج.

قال مالك بن دينار: ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة.

تخيل كيف أمسى حال العصاة، تشمئز قلوبهم من ذكر الله، كما تشمئز نفوسهم من منظر كريه، وقد كشف الله ما تخفيه صدورهم في محكم التنزيل.

قال تعالى: " وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ".

أعلم أن الآية نزلت في المشركين، لكني على يقين بأن هذا حال البعض من القاسية قلوبهم، نسأل الله العافية.

قال سفيان الثوري: يأتي على الناس زمان تموت القلوب وتحيا الأبدان.

فماذا تنتظر؟ تعالَ نُعد الحياة إلى قلوبنا، ونأتي بالعلاج من الصيدلية المحمدية على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم.

١- ألا كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر بالآخرة.

كان هناك حكم شرعي بالنهي عن زيارة القبور لقرب عهدهم بالجاهلية، حيث كانوا يعظمون القبور، فتم نسخ الحكم وأبيحت الزيارة، حيث إنها ترق القلب وتذهب ما فيه من القسوة والغلظة، وتستدر من العين دمعها.

يقول سعيد بن جبير: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة، لخشيت على قلبي أن يفسد.

صنع الربيع بن خثيم حفرة في بيته وغطاها بخشبة، فإذا وجد في قلبه قسوة رفع الخشبة ونزل القبر، وتذكر الوحشة وسؤال الملكين ثم ينادي: " رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت "، ويرفع الخشبة ويخرج ويقول: يا نفسي ها أنت قد عدت، فاعملي صالحًا.

٢- ذكر المنذري في صحيح الترغيب والترهيب رواية عن أبي الدرداء أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إني أجد قسوة في قلبي.

فقال صلى الله عليه وسلم: أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك.

اليتيم: من مات أبوه وهو صغير دون البلوغ، فإذا بلغ " لا يُتم بعد احتلام".

فهذا اليتيم الذي يتعرض له البعض بأذى، لو حنوت عليه ومسحت على رأسه، فلك بكل شعرة مرت عليها يدك حسنة، ولزال عنك ما تجد من القسوة وهان مطلبك وما ترجوه، وقد قال قتادة رحمه الله : كن لليتيم كالأب الرحيم.

٣- " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت ".

يقول ابن القيم : إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى. فالذكر إعادة إعمار للقلب، وقد جاء رجل إلى الحسن البصري يشكو قسوة قلبه، فقال الحسن: أذبه بالذكر، فالقلوب التي باتت كالحجارة أو أشد قسوة، سيتولى الذكر تفتتيت صخرها، وأجلّ الذكر كلام ربي، " فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ".

سأل رجل الإمام أحمد رحمه الله :

كيف يرق قلبي ؟

قال: ادخل المقبرة وامسح رأس اليتيم.

الشاهد في الأمر، أن المرض قديم ورغبة الناس في العلاج دفعتهم للسؤال وطلب الشفاء.

تنويه: يجوز للمرأة أن تذهب لزيارة القبور ملتزمة بزيها الشرعي، ولا تأتي بمنكر كصراخ وعويل، ولا تكثر من مرات الزيارة.

ذكر أبو داوود في كتاب الزهد عن عون بن عبد الله قال:

أتى رجل إلى أم الدرداء يشكو: إني أجد قسوة في قلبي.

فقالت: أعظم الداء داؤك.

عُد المرضى، واتبع الجنائز، واطلع في القبور، لعل الله أن يُلين قلبك.

قال: ففعل الرجل فكأنه أحس من نفسه رقة، فجاء إلى أم الدرداء يشكر لها.

مهما قسا قلبك وتجبر وتمدد فيه الظلام ولم يتأثر، فلا تيأس من العلاج فما جعل الله من داء إلا جعل له دواء، فلو سودت قلبك الذنوب، وتناولته العلل والعيوب، فتوجه إلى الله مقلب القلوب، واسأله الضياء لقلبك لتشرق عتمته، " من إله غير الله يأتيكم بضياء ".

وقفوا على شفير الذنب

روى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة،وإن همّ بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة.

من أسمائه عز وجل الشكور الذي يُجازي على القليل من العمل كثيرًا من الثواب، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بواحدة، فالويل لمن غلبت وحدانه عشراته.

لكن ما استرعى انتباهي في الحديث، أن من همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، لم يتقرب إلى الله بطاعة ولكنه كف عن معصية همّ بها، فتراجع ومضي لغير ما انصرف له فتكتب لها حسنة، لعل بها ترجح كفة ميزانه يوم القيامة.

رجل راود امرأة عن نفسها فطاوعته، فلما جلس منها كما يجلس الرجل من زوجته عاد إليه رشده وصوابه، وقال: إن رجلاً يبيع جنة عرضها السموات والأرض بشبر من اللحم لقليل العلم بالمساحة، ثم قام وتركها.

يقينه بما عند الله من النعيم غلب رغبته في شهوة عاجله، فقام وتركها ليس لخوفه من فضيحة تلحق به أو عار يبدد وجاهته بل حسبة الله.

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج، فنظرت يوما إلى وجهها في المرأة، وقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟ قال: نعم، عبيد بن عمير.

قالت: فإئذن لي فيه لأفتنه، قال: قد أذنت لك، فذهبت إليه كأنها تستفتيه في أمر، فخلا معها في ناحية المسجد، وأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر فقال لها: يا أمة الله استتري، فقالت: إني قد فتنت بك، قال إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقتيني نظرت في أمرك.

قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك، قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت قال: لو دخلت قبرك وأجلسوك للسؤال أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال لو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت اللهم لا،قال: صدقت،قال فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا.

قال: اتقي الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك، فرجعت إلى زوجها وقالت: أنت بطال ونحن بطالون، وأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لي وعبيد بن عمير، أفسد على امرأتي كانت في كل ليلة عروساً فصيرها راهبة.

عادت من همها بالمعصية إلى العبادة والطاعة والإستقامة على أمر ربها، رحم الله عبيد بن عمير ردها عن غوايتها إلى صومعتها راشدة.

استوقفني ما قاله أحد الثلاثة الذي أواهم المبيت إلى الغار، فانطبقت على بابه صخرة، فقالوا: نتقرب إلى الله بعمل صالح ليكشف كربنا، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها حاجة، فجاءتني تطلب المال، فأعطيتها مائة وعشرين دينارًا على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا جلست إليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فاستحييت من الوقوع عليها وانصرفت عنها، وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها.

أجهد نفسه حتى جمع المال، فقد كان حبه لها أشد ما يحب الرجال النساء، وعندما خوفته بالله قام عنها وتورع عن الحرام وترك المال.

عزم على الزنا، وكل الظروف مواتية، ولكنه تراجع ابتغاء مرضاة الله، نجاه الله من الغار وانفرجت عنهم الصخرة، ولعل الله يكتب له النجاة يوم ترى الولدان شيباً،بتلك الحسنة التي أتت من سيئة تركها، فقاوم ما استطعت ولك أجر جهادك.

كان الفضيل بن عياض التقي الورع في بداية حياته لصًا، وفي إحدي الليالي كان يتسلق جدار بيت ليسطو عليه، وقيل أنه قد واعد جارية ليغشاها، فسمع مصليًا في البيت يتلو : " ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ".

فكأن الآية اخترقت ظلام نفسه، فقال: الآن يا رب، وذهب يصلى الفجر فقرأ الإمام بنفس الآية، فعلم أنها رسالة من الله له فأقر بتوبته وقال: يا رب قد جعلت توبتي مجاورة بيتك الحرام، مضى إلى أرض الحجاز ولزم العبادة حتى لقب بعابد الحرمين.

أنارت الآية بصيرته وأحيت فؤاده، وردّت عليه زمام نفسه التي شردت منه في طرق التيه والضياع، " قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ".

رباه قلب حبك ساكنه غير محتاج إلى السُرُج

اللهم إني أعوذ بك من السلب بعد العطاء، ومن الشدة بعد الرخاء، ومن الفقر بعد الغنى، ومن الضلالة بعد الهدى.

وقفة مع الداء

قال الربيع بن خثيم لأصحابه:

أتدرون ما الداء والدواء والشفاء؟

قالوا : أخبرنا.

فقال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار،

والشفاء أن تتوب ثم لا تعود.

وقفة مع الداء

أوحى الله إلى موسى: أن أول من مات من خلقي إبليس ذلك لأنه عصاني، وإنما أعد من عصاني من الأموات.

قال ابن عباس: إن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب ووهناً في البدن وضيقاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق.

قال سفيان الثوري:

حُرمت قيام اليل ستة أشهر بذنب أذنبته.

قيل: ما هو ؟

قال: رأيت رجلًا يبكي فقلت إنه مراء.

ما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض ؟

ما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم ؟

ما الذي جعل قرى اللوطية عاليها سافلها حتى سمعت الملائكة نبح كلابهم وصياح الديكة ؟ ؟ ؟ لا شك أنه الذنب، بشؤم معصيتهم هلكوا.

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يودع جيش سعد بن أبي وقاص، الذاهب إلى القادسية ليُحارب جيش الجبهة الفارسية، فقال عمر: يا سعد أوصيك ومن معك بتقوى الله عز وجل، فإننا إن عصينا الله تساوينا مع العدو في المعصية، وزاد علينا في العدة والعتاد، يا سعد أنا لا أخشى على الجيش من عدوه، إنما أخشى على الجيش من ذنوبه.

يستصغر المرء ذنبه قياساً لذنوب غيره، ويقول أنا أنظر للنساء ولكن غيري يزني بهن، أنا أشرب التبغ بينما غيري يشرب المخدرات.

يقول بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

الأثر المتعدي للذنب :

جاء شاب إلى الحسن البصري، وقال يا إمام الله عز وجل يقول:

" وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير"، وأنا ولدت أعمى لم أرتكب جناية ولم أتلطخ بمعصية.

فقال الحسن: إذن بذنوب والديك.

طفل خرج للدنيا حالاً يُعاني من ثقب في القلب، وآخر يعتريه السكر قبل أن تلقي باللوم على مبيدات توغلت في أطعمتنا، أو تتهم الطبيب بأنه أكثر على الحامل بأدوية شتى، أو تجلس تتفحص شجرة العائلة لتتبع المرض وراثياً، هلا تطلعت في مرأتك فربما احتفظت بالتهمة لنفسك.

يقول أبو الدرداء: إني لأعصي الله فأجد ذلك في خلق دابتي وجاريتي.

إن عطبت سيارتك على الطريق، قبل أن تتهم ذاك العامل في ورشته تمهل قليلاً.

إن خالفتك زوجتك فيما تحبه وترضاه ،قبل أن تتهمها بسوء الخلق تمهل قليلاً.

فربما كان ما تجد بشؤم المعصية.

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال:

إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، وإن كنا لنعدها على زمن رسول الله من الموبقات.

قال الفضيل بن عياض : بقدر ما يصغر الذنب في عينيك يكبر عند الله، وبقدر ما يكبر الذنب في عينيك يصغر عند الله.

كلمة قالها الحسن البصري، وجدت فيها البرهان الذي يضرب خواطري السيئة لترجع، وكأنها تنهرني في صمت وكنت أمتثل لزجرها، وكأن الحسن يهمس بها في أذني كاشفاً حال العصاة : هانوا على الله فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم.

لو كان العاصي له قدر عند الله لعصمه من هذه الزلة، ولعاد به من طريق الغواية بعد مكالمة هاتفية تخبره بمرض ابنه، أو خلاف يحتد بين أهله أو غير ذلك من الأسباب، ولكنه هان على الله فتركه لجموح نفسه.

"ومن يُهن الله فماله من مكرم".

شاب واعد فتاة جميلة لتأتيه في بيته، فظل يترقب وصولها، ولما دقت الباب أسرع ليفتح، فوجدها قد تألقت في زينتها وسحرها، فأراد أن يعبر عن تعظيمه لها فخر لها ساجدًا، أقسم لك ولست حانثاً في قسمي ما رفع رأسه مرة أخرى.

قال أحد الدعاة إلى الله: إذا حدثتك نفسك بالمعصية فذكرها بعقاب الله، فإن لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال من السلف، فإن لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم الناس، فإن لم ترجع فاعلم أنك من الساعة انقلبت إلى حيوان، لا يشغلك إلا شهوتك.

المعصية تحجب لذة العبادة :

جاء رجل إلى الحسن البصري وقال: إني أعصي الله وأذنب، وأرى الله يعطيني ويفتح علي من الدنيا، ولا أجد أني محروم من شيء.

فقال له الحسن: هل تقوم الليل؟

فقال: لا.

فقال الحسن : كفاك أن حرمك لذة مناجاته.

" فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون "،استدرجهم الله بالنعم حتى أخذهم بغتة فإذا هم نادمون، فلا يغتر صاحب النعيم ويتوهم أن الله راض عنه، ولا يغتر عاقل بإمهال بعد إنعام،" إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم في الآخرة عذاب أليم ".

بعد نكبة البرامكة قال جعفر لأبيه يحيى البرمكي :

يا أبتاه بعد العز والسلطان صرنا في القيد والحبس.

قال: يا بني دعوة مظلوم سرت في جوف الليل، غفلنا عنها وما الله عنها بغافل.

فاحذر أن يشتكيك أحد إلى الله.

شؤم المعصية على المجتمع :

حدث قحط في زمن أحد أنبياء بني إسرائيل، فخرجوا إلى الصعدات يجأرون فأوحى الله إلى نبيهم: خرجتم إلى الصعدات حين اشتد غضبي عليكم، ورفعتم إلىّ أكفا سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام، لن تزدادوا مني إلا بُعدًا.

اهتزت المدينة في عهد عمر بن الخطاب فقال: إن هذا بأمر أحدثتموه، وإن عادت لا أساكنكم فيها أبدًا.

قال تعالى: " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ".

فالذي يتجرأ على الله بمعصيته ويعدوا على حماه، يجر الوبال على نفسه وعلى المجتمع من حوله، وقد منع الله عن موسى وقومه المطر، بسبب معصية واحد منهم " فما نزل بلاء إلا بذنب "، وما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره.

وتأمل معي دموع أبي بكر رضي الله عنه، حين جاءوا له بطير قد اصطادوه فقلبه بين يديه وبكي، وقال ما قطعت من شجرة وما صيد من طير إلا بترك التسبيح، عاتب نفسه على طاعة تركها، فما بالنا نقترف المعاصي ولا نتحسر، ونبارز الله بالخطايا ولا نابض فينا يتأثر، ويوم القيامة ستكون الطامة كبري، "يُنبأ الإنسان يوميذ بما قدّم وأخر"، فنعوذ بالله من موت القلوب، وما لجرح بميت إيلام.

يقول الإمام التابعي يحيى بن أبي كثير :

ثلاث لا تكون في بيت إلا نزعت منه البركة، السرف والزنا والخيانة.

ولا داعي للدهشة إذا نقلت لك هذا الخبر من سنن الترمذي

في هذه الأمة مسخ وخسف وقذف

فقال رجل من المسلمين يا رسول الله متى ذلك؟

فقال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشُربت الخمور.

مات بسب الإيدز عام ٢٠٠٥ ثلاثة ملايين إنسان، ويُصاب بهذا المرض الفتاك أحد عشر شخصا في الدقيقة الواحدة، أي ١٦٠٠٠ مصاب تقريبا في اليوم.

يقول ابن القيم : عاش الناس على مرادهم فهلكوا ولو عاشوا على مراد الله لفلحوا ونجوا.

ذكر بن أبي الدنيا أن أنس بن مالك استأذن على عائشة ومعه رجل آخر، فقال الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة.

فقالت: إذا استباحوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا المعازف، غار الله عز وجل في سمائه، فقال للأرض: تزلزلي بهم، فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم، قال الرجل: يا أم المؤمنين أعذابًا لهم؟ قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمنين، ونكالاً وعذابًا وسخطاً للكافرين.

فليحدثنا العلم بملء فيه، بأن الزلازل تحدث بسبب ضعف القشرة الأرضية، وأن الفيضانات تحدث بسبب ذوبان الجليد وانهيار السدود، وأن الرياح والأعاصير بسبب ارتفاع حرارة الأرض.

ولكني أخاطب العصاة بقول ربي:

" قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ".

بما كسبت أيدي الناس جاءت الرياح المدمرة، والفيضانات المهلكة والحروب الطاحنة والزلازل المروعة والعواصف الرعدية، وهي آيات كونية يستعتب الله بها عصاة أهل الأرض " لعلهم يرجعون ".

من اليقين انه لا تعارض بين السبب والحكمة، فإن الله إذا أراد شيئا هيأ له الأسباب ويكفينا قوله عزوجل " إنا كل شيء خلقناه بقدر "،ويُستحب عند وقوع الزلازل والكوارث، التضرع إلى الله والإنابة إليه والإقلاع عن المعاصي والمبادرة إلى التوبة والإستغفار.

" فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون "،قلوب دثرتها الغفلة بوشاحها ومضت على عجل.

ولكن يبقى سؤال، أنهلك وفينا الصالحون ؟!

تطرح السؤال زينب رضي الله عنها .

فقال صلى الله عليه وسلم:" نعم إذا كثر الخبث "، أي: إذا كثرت المعاصي عمّ الهلاك.

فالعاقل من اعتبر بغيره وتفكر، ولا ينتظر حتى تداهمه الخطوب، فإن زلزال تركيا قد رجف بقلوبنا، وسيول درنه أبكت عيوننا، وإعصار كاليفونيا الوحشي روع صدورنا،وقد تجلت في تلك البقاع حكمة ربي، " وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ".

يا رحيم يا ودوود اغفر زلتنا واقبل توبتنا والطف بنا فيما جرت به المقادير.

وقفة مع الدواء

الوقفة التالية مع الدواء

فبعد أن ذكرنا الداء وهو الذنوب،

فالجميع يحتاج إلى الدواء وهو الاستغفار.

قيل لأحد السلف : كيف حالك أنت ودينك ؟

قال : تمزقه المعاصي وأرقعه بالاستغفار.

قال تعالى: " ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما " يعدهم الله بالمغفرة ويفتح لهم باب الرحمة وقد ظلموا أنفسهم ثم عادوا.

قال عليّ بن أبي طالب: عجبت لمن يهلك ومعه النجاة.

قيل: وما هي ؟ قال: الاستغفار.

معنى الاستغفار: طلب المغفرة باللسان.

قال صلى الله عليه وسلم: قال إبليس: يا رب وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله : فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني.

ما الفرق بين الاستغفار والتوبة؟

الاستغفار في حقيقته : نوع من الدعاء، فهو سؤال الله المغفرة.

أما التوبة، فهي ندم على ذنب كان في الماضي، وإقلاع عنه في الوقت الحاضر، وعزم على عدم الرجوع للذنب في المستقبل.

جاء رجل إلى مجلس الحسن البصري، وقال: إن السماء لم تمطر.

فقال الحسن: استغفر الله.

ثم جاءه آخر يشكو الفقر.

فقال الحسن: استغفر الله.

ثم جاءه ثالث، وقال: أنا أشتهي الولد وامرأتي عاقر.

فقال الحسن : استغفر الله.

فقال الحاضرون للحسن: عجبنا لك كلما جاءك رجل قلت له استغفر الله،أمراض متعددة والعلاج واحد، فقال لهم أما قرأتم قوله تعالى:

" فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارًا ،ويُمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا ".

أفضل أوقات الاستغفار: وقت السحر.

قال تعالى: " وبالأسحار هم يستغفرون ".

حيث يتنزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله وكماله وينادي: "هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه ... "، الله جلّ في علاه يتودد إلى خلقه ورعاياه، حتى قال طاووس: لا أظن أن أحدًا ينام وقت السحر من شرف هذا الوقت، ونحن نغط في النوم إلا من رحم ربي.

وقت السحر قُبيل الفجر بثلاث ساعات تقريبا، وقت تجليات ونفحات ومغفرة تتنزل ورحمات،فلو علم أهل الحاجات ما في الاستغفار لضج سكون الليل بالأسحار، ولك أن تستغفر في كل وقت، فقد قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني عوّد لسانك، رب اغفر لي وتب علي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا.

ومن نفس المشكاة أتت موعظة الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم، وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة.

وقد قيل أن يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه: " سوف أستغفر لكم ربي" إنه أخر استغفاره إلى وقت السحر.

■ ما هي صيغة الاستغفار؟

قال الإمام الأوزاعي: أن تقول استغفر الله، استغفر الله.

قال ابن عمر: كنا نعد لرسول الله في المجلس الواحد: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، مائة مرة.

فكم نهدر من أعمارنا على وسائل التواصل، وعبر مكالمات الهاتف وفي متابعة الدوريات الأوربية، وعمر المرء منا رأس ماله، يذوب كالثلج وما له من عودة، فحري بكل عاقل أن يستغل وقته في التسبيح والاستغفار، فانظر النبي المعصوم يستغفر مائة مرة، فأخبرني بربك كم يستغفر العصاة منا؟ وكأن القوم باتوا غافلين، فتحسر ابن القيم على حال الواحد منهم قائلا: وأسفًا على عبد كلما كثرت أوزاره قل استغفاره، وكلما اقترب من القبور قوي عنده الفتور.

الله رحيم بعباده يغفر ويعفو ولا يبال:

" يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ".

سأل رجل حذيفة بن اليمان :

هل أنا من المنافقين ؟

فسأله حذيفة: أتصلي إذا خلوت ؟

قال: نعم.

أتستغفر إذا أذنبت؟

قال: نعم.

فقال حذيفة: اذهب لا جعلك الله منافقاً.

قال صلى الله عليه وسلم:

"والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله عز وجل بكم وأتى بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم".

ربما يتوهم بعض العصاة أن هذا الحديث يفتح لهم باب الفجور على مصراعيه، ويزيد من جرأتهم على الخطايا، بل جاء الحديث ليعبر عن عفو الله عن المذنبين ورحمته بهم، فلو كان البشر معصومين كالملائكة لتعطلت صفة العفو و الغفران، فألهم الله نفوسنا الفجور والتقوى، وفتح لنا باب التوبة، وقال: " وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى ".

قال مالك بن دينار: كان الأبرار يتواصون بثلاث

حبس اللسان.. وكثرة الإستغفار .. والعزلة.

هل الاستغفار لا يكون إلا بعد الذنب؟

أحيانًا نستغفر بعد طاعة، فبعد الصلاة نستغفر ثلاثا، وفي الحج " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ".

نستغفر ليس بعد الذنب فحسب، بل ربما وقع في العبادة خلل فنتدارك الأمر بالاستغفار، وقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم زاخرة بالاستغفار، وقد بشرنا بعظيم الأجر لمن لزم الاستغفار.

" من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار ".

" طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا ".

من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. غفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف ".

" من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة "

فقد كان النبي يختم طاعته بالاستغفار، بل ختم حياته وكانت كلها طاعة بطلب المغفرة، فكان يُكثر أن يقول قبل موته " سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه " وقد سمعته عائشة رضي الله عنها يدعو قبل وفاته: " اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى ".

الاستغفار أفضل أم التسبيح؟

سُئل سفيان الثوري في ذلك فقال: الثوب الوسخ في حاجة إلى الماء والصابون أكثر من البخور. ربما تبدو إجابة غامضة.

ولكنها أصابت كبد الحقيقة، تخيل أن أقذار المعاصي شيء مادي تلطخت به هل يجدي معك البخور أو سكب العطر؟ أنت في حاجة ماسة للمطهرات وأدوات التعقيم مع الماء، وكذلك تحتاج للاستغفار لإزالة وسخ الذنوب، وحين تنجلي عنك اسكب عليها من عطور التسبيح ما شئت، " وإن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف ".

رواية عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك.

ولا أبالغ جل مجالسنا على هذا النحو، كنا صغارًا نختم درس العلم في المسجد بهذا الدعاء، فصرنا الآن في حاجة لنختم به كل لقاء واتصال وزيارة.

قال الفضيل رحمه الله : لم أجد غذاء ولا دواء خير من الاستغفار. قال بعض السلف: العبد بين ذنب ونعمة، لا يصلحه إلا الاستغفار قال تعالى: " وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ".

فمن لزم الاستغفار وعده الله بالمتاع الحسن، أي السعة في الرزق.

هل كل ذنب يكفره الاستغفار ؟

لو نمت عن صلاة العصر هل يكفيني الاستغفار عندما أستيقظ ؟

" من نام عن صلاة فليصلها متى ذكرها ".

لو أخذت مالاً من شخص بغير وجه حق هل يكفيني الاستغفار ؟

" من كان لأخيه عند مظلمة فليتحلل منها " عليك برد المال.

ليس لي أن أسالك، ولكن إن تكرمت أذنت لي بالسؤال:

ما مصدر الأمان في حياتك ؟

هل لك منصب مرموق أو علاقات قوية بأصحاب النفوذ، أو لديك من المال ما يجعل لك في البحر طريقا ممهدًا ؟

لا أنتظر منك إجابة، ولكن سأطرح عليك سؤالا آخر:

أتظن أن هذا هو الأمان؟

لا أقول لك أنت واهم، فلست في حاجة إلى تلك الغلظة لتتجهم في وجه كلماتي، ولكن سأذكر لك ما قاله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان لنا أمانان، أما أحدهما فقد ذهب، وأما الآخر فقد بقي.

"وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم...."

وقد ذهب هذا الأمان بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبقي لنا الأمان الآخر:

" وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ".

هذا هو الأمان أن يدفع الله عنك العذاب.

يقول عمر رضي الله عنه:

لو نزلت صاعقة من السماء ما أصابت مستغفرًا.

هذا هو الأمان أن يشملك الله برحمته، قال تعالى:

" لولا تستغفرون الله لعلكم تُرحمون ".

هذا هو الأمان وعد من الله بالمغفرة والثواب.

" والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ".

يقول ابن القيم رحمه الله:

من أدام الحمد تتابعت عليه الخيرات، ومن أدام الاستغفار فتحت له المغاليق.

رغم ضعف السند، فالمعني قوي بشواهده :

" من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ".

أنا من أنا، أنا في الوجود وديعة وغدًا سأمضي عابرا في رحلتي

أنا ما مددت يدي لغيرك سائلا فاغفر بفضلك يا مهيمن زلتي

هل يجوز أن أطلب من رجل صالح أن يستغفر لي ؟

نعم، طلب عمر رضي الله عنه من أويس القرني أن يستغفر له، ولعلك تذكر ما قاله أخوة يوسف: " يا أبانا استغفر لنا ".

وقد قال الله لنبيه: " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ".

روي الطبراني عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ـ من لم يكن عنده مال يتصدق به فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

وكان من دعاء نوح عليه السلام:

" رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ".

وبقي فضل أسوقه منك لغيرك

روي أحمد في مسنده :

" إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك ".

فلا تبخل على والدك، ولك بمثلها من ولدك، فإن انقطع عمله بموته، بيدك ألا ينقطع أجره، فالجزاء من جنس العمل ولك من هذا البر نصيب.

قال صلى الله عليه وسلم-:

" إنه لَيُغَانُ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ".

لا ننكر على النبي الجانب البشري في حياته، فربما غشي على قلبه شيء. وقد أمسك العلماء عن الخوض في هذه المقالة، من باب الأدب مع النبي حتى قال الأصمعي: " لو كان غير قلب النبي لتكلمت عليه ".

دعني أحدثك بما يكون من أمر الناس وجلياً أراه، أحدهم لو أراد أن يستعيد صفو نفسه، تجده يطلب مشروبه المفضل أو يستمع إلى الغناء أو يُشعل لفافته، وعبثا لا يُجدي ما صنع، ولو استغفر ربه لذهب عنه ما يجد من كدر الحياة.

ربما أحد الناس يجهل عليك ويتعرض لك بالسب والشتم والأذي، فماذا تصنع؟

تعال أخبرك بما كان من أمر أبو معاوية الأسود، أساء له رجل وأغلظ له القول، فقال: أستغفر الله من ذنب سلطك به عليّ.

التائب أحوج إلى الاستغفار:

قال الشيخ عبدالرحمن البراك : الاستغفار مطلوب من العبد قبل التوبة، لأنه قد يكون سبباً في التوبة، كما أنه مطلوب بعد التوبة لكونه من أسباب قبولها.

وقد جاء في الأثر أن إبليس عليه لعائن الله قال:

أهلكت بني آدم بالذنوب والخطايا وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار.

والحق ما شهد به الأعداء، فأمسك بسلاح المقاومة وردّ عن نفسك.

وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي " يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم "

وقبل أن انتهي لي عندك رجاء، تذكر هذا الحديث كلما قابلت صديقاً " إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله عزوجل واستغفراه، غفر لهما "

إلهي كان ذنبي باختياري فليتك تقبل اعتذاري،

اللهم إني أستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك، فخالط قلبي منه ما قد علمت، اللهم إني أستغفرك من كل ذنب ألممت به منذ أن جرى عليّ القلم حتى الآن،اللهم اغفر لنا ذنوب الجهر والخلوات واغفر لنا ما نسيناه وأحصاه كتابك، اللهم اغفر لنا الذنوب التي تنزل البلاء، اللهم اغفر لنا الذنوب التي تحجب الدعاء،اللهم اغفر لنا الذنوب التي تقطع الرجاء." ومن يغفر الذنوب إلا الله "

وقفة مع الشفاء

الوقفة الثالثة مع الشفاء

أن تتوب ثم لا تعود ..

أن تثبت على توبتك، مهما إنحرف العالم من حولك.

وقد قال أحد السلف عن التوبة النصوح :

يستغفر اللسان، ويندم القلب، ويمسك البدن.

وقد قال عنها عمر بن الخطاب:

أن يتوب من الذنب، ثم لا يعود إليه، كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

الكفل من بني إسرائيل لم يتورع عن ذنب، وجاهر بمعاصيه على مرأى ومسمع من قومه، فلم يرجو أحد له توبة لعربدته وفجوره. ولكن شيء حدث غير مجرى حياته، وأخذه من الضد إلى النقيض، فتعال أخبرك بما أورده الإمام أحمد في مسنده رواية عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال: ما يبكيك آأكرهتك ؟ قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: اذهبي فهي لك، وقال: والله لا أعصي الله بعدها أبدًا. فمات من ليلته، فأصبح مكتوبا على بابه إن الله قد غفر للكفل ".

لم يمهله الأجل ليصلح ما فاته ويتدارك أمره بالعمل الصالح، ولكن صدق توبته أخرجه من ذنوبه، فالتوبة تجب ما قبلها، وباب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها، أو يصل العبد للغرغرة.

" إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ".

ربما لا يبسط الله لك الرزق بهذه الكيفية، أما باب التوبة فمفتوح وشروط الولوج منه في متناول يدك، في بني إسرائيل كانت التوبة على هذا النحو" توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ".

أما التوبة في الإسلام تقتضي الندم على الذنب.

أن تشعر بوخز ضميرك جراء ما اقترفته.

يقول ابن عمر : من ألم بخطيئة فاهتز لها قلبه محيت عنه من أم الكتاب.

إقلاع عن الذنب :

" دع أرضك فإنها أرض سوء " اهجر موطن المعصية، كما قيل لقاتل المائة نفس، شاب كان يشرب المخدرات ثم تركها، ولكنه ما زال يحتفظ بأصدقاء السوء صيانة للعهد، فلن يصمد إلا قليلاً وسيعود يلتحف معهم بأنفاس حارة، فالمرء لا يُشفى في نفس البيئة التي جعلته مريضاً.

قال أحد السلف: لا تصاحب الفاجر، فإنه يزين لك الفجور ويود لو أنك مثله.

فتاة مستهترة لن تجرك إلا لوحل الذنوب، فاستغني عن صحبتها أختاه، فالشاة المريضة هي التي تنقل العدوى إلى الشاة الصحيحة، ربما ودت الزانية أن النساء كلهن قد وقعن في الزنى، حتى لا يلفظها المجتمع أو تشعر بأنها نغمة شاذة، فتريد أن تدفع بكل من حولها إلى الهاوية، فاحذري الاقتراب منها، فاللغم لا يؤمن شره، ولكنه حتمًا سينفجر، ففي هجرها أمان.

عزم على عدم الرجوع :

لا تبرح محرابك، وتضرع إلى الله أن يحفظ عليك توبتك، ومهما كانت الضغوط أو الإغراءات فتماسك واثبت، ولا يغرك قول أحدهم ما من شجرة إلا وهزتها الرياح، فكن أقوى من رياح المجون والفجور، وسيبدل الله سيئاتك حسنات ويغفر لك غدراتك وفجراتك، فما هي إلا ساعات وتسكن جنة النعيم، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات " أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير".

فنانة اعتزلت الفن أكثر من عشر سنوات وأتمت حفظ القرآن ونالت إجازات، ثم حلا لها أن تعود لهذا المستنقع مرة أخرى، بعدما ذاقت لذة القرب وحلاوة الطاعة، جرفتها خيوط الصحبة إلى ضلالها القديم، والله يشهد بأني خشيت على نفسي حين سمعت بعودتها لماضيها، بعد أن أتمت حفظ القرآن ونالت إجازات، وسألت الله راجيا الثبات.

قال ابن القيم رحمه الله: من ذاق لذة القرب من الله ثم انتكس، فإنه يعيش معذباً لا راحة الجاهلين ولا لذة العارفين.

قرأت عن فنانة أخرى لم تكن مديحة سمعتها، فكانت تصنف فنانة إغراء اعتزلت وتابت، وكانت لا تبرح بيتها وقطعت وشائجها مع الوسط الفني، وأقبلت على القرآن والصلاة، فكانت توبتها على نحو يرجوه كل عائد إلى ربه، لزمت العبادة خمس سنوات، وكان آخر عهدها بالدنيا أن صلت الفجر وقرأت وردها من الأذكار، ثم نامت ولما أيقظوها لصلاة الظهر وجدوها قد ماتت.

أمسيت في حيرة، أمواج متلاطمة تضرب ساحل أفكاري، ما الذي ثبت هذه وجعل الأخرى تنتكس، حتى أرشدني أبو سليمان الداراني بقوله: لو وصلوا إلى الله ما رجعوا، إنما رجع من رجع من الطريق.

هذا هو الشفاء الحقيقي أن تتوب ثم لا تعود، فقد قال يحيى بن معاذ: زلة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها، ولكن الباب رغم أنف كل منفر سيظل مفتوحاً، فإذا عدت إلى الذنب كرر التوبة، فإن الله لا يمل حتى تملوا، ضعي حجابك مرة أخرى على رأسك، وامسحي رقم هاتفه من على جوالك، وستجدي في روضة القرآن ما يغنيك عن الألحان، فلن تكوني في ماضيك أسوأ من هذه .....

أتدرين لما وضعت هذه النقاط وتوقفت عن الكتابة، ليس من باب التشويق للقصة، ولكني أردت أن أبدأ من زواية بعيدة....

كان لي صديق شاب انتقل إلى مدينة قريبة من مدينتا، ليعيش مع جدته ويبحث عن فرصة عمل ضنت بها بلدتنا الفقيرة، وكان شاباً ملتحياً زملاؤه في العمل أغروه بالمال ليحلق لحيته ولكنه أبى، الأمر يبدو عاديا وليس جديرا بالذكر قصة تحدث مع الكثير، ما استرعى انتباهي لماذا أقدم أصحابه على هذا الأمر، وحتى نجد المبرر أود أن أصحبك في رحلة إلى الكوفة.

حيث انتقل إلى العيش بها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، عرف الناس له قدره والتف حوله البعض لينهلوا من علمه، وكان من تلاميذه الربيع بن خثيم، شاب تقي ورع مجتهد في العبادة، صاحب عبرة وفكرة، كان ابن مسعود يقول له:والله لو رآك رسول الله لأحبك وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين.

كان الربيع إذا مشى بين الناس غطى بكفه شطر وجهه، فقد كان وسيماً وضاء المحيا، فخشي أن تفتن به من قل وازع الإيمان في قلبها. تواصوا الفجار في بلده على إفساده وهكذا هم في كل بلد شياطين الإنس أعوان لإبليس في غوايته، فجمعوا في أيديهم ألف دينار وذهبوا إلى غانية، امرأة جميلة احترفت الزنا وقد استغنت بجمالها عن أدوات التجميل، وقالوا لها: سنعطيك ألف دينار، قالت: على ماذا ؟ قالوا على قبلة واحدة من الربيع، قالت: ولكم أن يزني.

عذراً يا ابن مسعود فليس لك دور في القصة، سامحني أيها الربيع فما أردت إلا الغانية، للحديث عنها فحسب.

وحقا لك أختاه أن أستدرك لك حكايتي وأغزل لك بقية وصيتي، وقديما قالوا: لو ثبت لنبت، فاثبتي على التزامك وانظري ما كان من أمر الغانية، ذهبت بسحرها وفتنتها وتعرضت للربيع في ساعة خلوة، وأبدت مفاتنها ونادته أنوثتها هيت لك.

فصرخ قائلا: يا أمة الله، كيف بك إذا نزل بك ملك الموت وقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك يوم يسألك منكر ونكير؟ أم كيف بك يوم تقفين بين يدي الرب العظيم؟ أم كيف بك إن لم تتوبي يوم تُرمين في الجحيم.

فصرخت وولت هاربة. ولزمت العبادة تصوم النهار وتقوم الليل حتى لقبت بعابدة الكوفة، فقال من أرسلوها: أفسدها علينا الربيع.

أخبرتك من قبل بأن الفضيل بن عياض كان لصاً قاطع طريق، حتى أذن الله له بتوبة فتنسك واجتهد، وكان يذكر ذنوبه ويبكي حتى ألف البكاء، فكان رحمه الله يبكي وهو نائم وكان من أخوف الناس وأشدهم خشية، فلما مات قال عبد الله بن المبارك: اليوم ذهب الخوف واستوى الناس.

تابعت خبر وفاة المطرب العالمي " مايكل جاكسون "، وأثار انتباهي ما أعلنته عائلته، أن مراسم الدفن ستتم وفق الشريعة الإسلامية، بعد أن عاش عمره يتخنث ويتراقص وكانت حياته صاخبة باللهو والمجون، ولكن دعاه شقيقه لإعتناق الإسلام فشرح الله صدره، وكان يُجهز أنشودة بعنوان " إني ذاهب إلى مكة " فنالت منه أيادى الخبثاء.

على النقيض شباب تربوا في ديار الإسلام يتباهى أحدهم بإلحاده، وهذا بكفره وزندقته ونقمته على رب العالمين، خلعوا طواعية عباءة الدين، أي نفايات فكرية تغذوا عليها ليخرج منهم كل هذا العفن المسموم، كل تراب أهالوه على السماء ارتد عليهم فملآ صدورهم وأعمى عيونهم،" ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا " .

أهل الردة الحديثة والملحدون الجدد الذين يتعاملون مع الإلحاد كأنه " موضة " عليهم أن يجربوها، أو موقع عالمي من الرفاهية أن يتفقدوه، عجزوا أن يصلوا ليقين الكاتب البريطاني " كولن ويلسون " الذي صرّح قائلاً: في الثالثة فجراً انتهيت من كتابة مقال أنكرت فيه وجود الله، وحين ذهبت لأنام لم استطع أن أطفيء نور الغرفة خوفاً مما سيفعله الله بي. " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم".

الصدقة

كانت عائشة رضي الله عنها تُلقب بأم الطيب، حيث كانت تضع الدرهم في الطيب قبل ان تتصدق به، فسألوها في ذلك.

فقالت : إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير.

وإذا قال لها السائل : جزاك الله خيرًا يا أم المؤمنين.

ترد عليه : بل جزاك الله أنت خيرًا.

فسألوها : لمَ تدعو للسائل ؟

فتقول : لتكون دعوتي مقابل دعوته، وتبقى الصدقة لله.

ليس لي أن أقتحم حياتك، ولكن أرجو أن تسامحني على تجاوزي وفضولي، من يُنفق عليك ؟ربما تعيش في كنف عائلة يحنو عليها أب رحيم، أو لك عائد من عمل أو زرع أو تجارة، أدام الله عليك النعم وحفظ عليك ما حظيت به.

آمنت على دعوتي لك، أم أنك تتخطى أعناق الكلمات فحسب؟، هل تخشى أن تنقطع النفقة لسبب أو لآخر ؟

تعالَ أدلك على نفقة لا تنقطع...

قال الله عز وجل في الحديث القدسي:

" يا ابن آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك ".

تصدق وأنفق، ولك عند الله عهد بنفقة مضاعفة لا تنقطع.

ربما تقول في نفسك، في مثل هذه الظروف الطاحنة تُحثنا على الصدقة.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا أملقتم فتاجروا مع الله بالصدقة.

فإن افتقرتم فتصدقوا وتاجروا مع الله، فإن الصدقة تفتح لصاحبها باب الرزق والبركة، وتجلب لصاحبها محبة الله " إن الله كريم يحب الكرماء ".

" ما عندكم ينفد وما عند الله باق " فقدم لنفسك شيئا تجده يوم التلاق.

انتقل أبو ذر إلى مكان يسمى الربذة، فأتاه ضيف فلم يجد في بيته كثير متاع،

فقال: أين متاعك يا أبا ذر ؟

فقال أبو ذر : إن لنا دارًا أخرى نرسل إليها بخير متاعنا.

فوعاها الرجل، وقال: لا غنى لك عن المتاع.

فقال أبو ذر: صاحب الدار لن يدعنا.

تاجر مع الله، بنذر يسير من راتبك أو عائد التجارة، أو ربح الورشة والدكان أو من الإيجار المدفوع لك أو من ريع السيارة.

سُئل عبد الله بن مسعود: من العاقل ؟

فقال: الذي يكنز ماله في مكان لا يأكله السوس، ولا يصل إليه اللصوص.

قالوا: أين؟ قال: في السماء.

ذهبت إلى المتجر واشتريت بألف جنيه لبيتك ومنافع دنياك، زد على ما أنفقته خمسة جنيهات واجعلها في كف سائل تبقى لك في أخراك، ولا تنتظر باقي المال من بائع يحمل فقره بين يديه، بزعم أنك لا تهوى العملات الصغيرة فتحفظ له ماء وجهه، "ابن آدم يقول مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، ولبست فأبليت، وتصدقت فأبقيت "،لو تملك من المال عشر ملايين، ثم وافتك المنية صار المال للورثة سيتاقسمونه فور دفنك، ولن تحظى إلا بما قدمته لنفسك وادخرته عند ربك صدقات، فلا تغتر بالعشرة، فهي لورثتك.

جبل من تمر :

أورد البخاري في صحيحه :

" من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يُربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل ".

فمن تصدق بقيمة تمرة من كسب حلال ينميها الله له، ويُضاعف أجرها لتثقل في الميزان، كما يتعاهد أحدنا مهره الصغير من الخيل حتى تكون التمرة مثل الجبل.

كان ابن عمر يتصدق بالسكر، فقيل له: إن الناس في حاجة إلى التمر والشعير، فهلا تصدقت بشيء غير السكر ؟

فقال: أعلم ذلك، ولكن الله عز وجل يقول: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" وابن عمر يحب السكر.

أتدري ما البر؟ البر أي الجنة، فانظر أي الأشياء أحب إليك وتصدق منها، طعامًا كان أو نحوه، فتصدق مما تحب، رغبة في الأجر وطمعاً في البر.

أطعم أحد الصالحين رجلا أعمى فالوذج " نوع من الحلوى".

فقيل له: إن هذا الأعمى لا يدري ما يأكل.

فقال: ولكن الله يدري، " وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ".

ثمرات مزهرة من الصدقة :

قال ابن القيم: إن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم أو كافر.

ذكر السمرقندي في كتابه تنبيه الغافلين:

أن امرأة كانت تسير في الصحراء ومعها صبي صغير، ولا قوت معها إلا رغيف خبز، قسمت الرغيف بينها وبين ابنها، فمر عليها سائل قد انقطعت به السبل فأعطته نصيبها من الرغيف، انشغلت المرأة بمتاعها وقام الصبي يلعب وقد غفلت عنه، فأتى ذئب من باطن الوادي وأخذ الصبي من مجامع ثوبه وهم أن يأكله، فصرخ الصبي فانتبهت له أمه وارتعدت وصاحت يا رب اللقمة، فألقاه الذئب من فمه وسمعت منادياً يناديها، لقمة بلقمة.

وقد ورد في السنة : " إن الصدقة تطفئ غضب الرب وتقي مصارع السوء وتطيل في العمر ".

وقد جاء في الأمثال " من أطعم اللقم تخطته النقم "، لقمة في فم الفقير ردها الله بلقمة من فم الذنب، ما أرحمك يا رب تجازي بالإحسان إحسانًا وبالإساءة عفوا وغفرانًا.

ملك يدعو لك:

" ما من يوم يُصبح فيه العباد إلا وفيه ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا ".

ملك لم يعص الله طرفة عين يدعو لك بالخلف كلما أنفقت، ودعوة الملك مجابة فيا حظ من كانت له، أحد أصدقائي كان يعمل في جريدة رياضية ومنذ راتبه الأول وهو يتصدق بثلثه، والله يعلم كم كان في حاجة ماسة لما يتصدق به، ولكنه رضي بالتجارة مع الله، فسنحت له فرصة للعمل في جريدة كبرى في الخليج، رغم كان من زملائه من هو أكفأ منه، ولكنها كانت مكافأة من الله له، وكثيراً ما أراه ضيفاً له طلة بهية في قناة رياضية شهيرة، فتحت له الصدقة قلوب الخلق محبة على إحسانه، وسطع نجمه وارتفع على أقرانه.

قال النووي: يُستحب لمن حصلت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه كربة جلية أن يتصدق بشيء من ماله شكرًا لله على جميل صنعه.

ورد في السنة:

" حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة ".

اذهب إلى الأطباء لو ألمت بك علة، وتناول ما أرشدوك إليه من العقاقير، ولا تمنع نفسك من تجريب بعض الوصفات آمنة العواقب، خذ بالأسباب وتشبث بكل قشة حدثوك عن نفعها، ولكن عليك بهذا الدواء المجرب " داووا مرضاكم بالصدقة ". أنفقت مالك عند الأطباء والصيادلة ومراكز الأشعة والتحاليل، هلا زدت على نفقتك خمس جنيهات، تغرسها في كف فقير وسترى نفعها، كان في بلدتنا رجل صالح، إذا مرض يذهب بالروشتة إلى الصيدلي ليسأله فقط عن ثمن الدواء ليتصدق به، وكان يبرأ ولم يعرف للدواء طعمًا، ولكنه اليقين بأن الشفاء من الله الكريم " وإذا مرضت فهو يشفين ".

جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك وقال: قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين، عالجتها بكل أنواع العلاج ولم تبرأ، فقال ابن المبارك: اذهب إلى مكان يلتمس الناس فيه ماء واحفر لهم بئرًا، وإني لأرجو أن ينبع عندهم الماء، وتجف عن قدمك الدماء، ففعل الرجل فبرأ.

تعامل بيقين مع الله رب العالمين، وسترى عجباً سينشرح صدرك وتغمرك السعادة، وستُقضى حوائجك ويُدخر لك الأجر، وسيخلف الله عليك بخير ما أنفقت، وقد ورد في إرشادات السنة " يا أسماء أنفقي ولا تُحصي فيُحصي الله عليك "، وقد أقسم لك الصادق الأمين ليمتليء قلبك بحسن الظن واليقين، " ما نقص مال عبد من صدقة "، وقد سمعت المليادير الراجحي يقول في لقاء مصور: بدأت تجارتي ببيع الكيروسين وتغيير العملة للحجيج ولما تاجرت مع الله وبدأت العمل الخيري نمت تجارتي.

قال تعالى" إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية أولئك يرجون تجارة لن تبور"، فبادر وتصدق أو اعقد النية وقبل أن تضع يدك في جيبك، تعال أخبرك بأثر الصدقه على صاحبها، في قبره ويوم الفزع الأكبر، بعد أن أخبرتك آنفا بأثرها في حياته.

.. " إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور".

من أجل أن يكون قبرك روضة لا حفرة يلفحك لهيبها، تصدق.

يوم القيامة تدنو الشمس من الرؤوس، والناس في كرب تغوص ويلجمهم العرق إلجامًا، فتأتي الصدقة لتحجب حر الشمس عن صاحبها، فتصدق.

.. " كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يُقضى بين الناس ".

يوم القارعة لن يكون لك بيت أو شركة أو سيارة، ظل صدقتك فحسب، فتصدق.

تناديك الملائكة: هلم للعرض على الله، فتمشي معهم وأنت مذعور.

.. " ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ".

من رهبة العبد بين يدي ربه، يلتفت يميناً وشمالاً كأنه يطلب العون، أو طريقا يجد فيه النجاة، فلا يرى إلا النار وقد تحول بينه وبينها شق تمرة، لو طلب منك وقتها شق راتبك لفعلت راضيا، ولو طلب منك شق مالك لتنجو لقدمته غير آسف، وربما وددت أن تأتي بملء الأرض ذهباً لتفتدي به نفسك، فلن تعجز الآن عن تمرة، فتصدق.

ـ قرار متأخر لا جدوى فيه، تجد المرء عندما تأتيه السكرات يتخذه عازمًا.

" وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ".

المحتضر اتخذ قرار بالمبادرة إلى العمل الصالح، لو أخر الله في أجله، فلماذا خص الصدقة بالذكر، وقدمها على أعمال البر والخير وهي من جنسها ؟

عند الموت يُصاب المرء بمصيبتين، أما الأولى فيترك ماله كله، والثانية يُسأل عنه كله، فلما تبصر الحقيقة بأنه سيخرج من الدنيا خالي الوفاض، أراد أن يتصدق، وقد بخل بالمال من قبل فهيهات ما أراد.

شرح الله حال عودتنا إليه" ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم "، ولم يقل الله في الدنيا لأنك لا تلقي خلف ظهرك إلا كل حقير. فستعلم حينئذ حقارة المال الذي حجب عنك نصيبك من الرحمة والمغفرة، " إن الشحيح بعيد عن الله بعيد عن الناس بعيد عن الجنة قريب من النار"

وليتك كنت من الناظرين إلى سفيان الثوري حين يأتيه السائل يطلب منه الصدقة، فيتهلل ويستبشر بقدومه، ويقول: مرحباً بمن جاء يغسل ذنوبي.

وهذا الفضيل بن عياض يرى أن للسائل فضلًا على المتصدق، وربما مدحه في ذلك، تحتج في نفسك وتريد أن ترد على الفضيل قوله، وتقول أنا صاحب اليد العليا، على رأسي ما تقول، فربما نظر الفضيل للأمر من زاوية بعيدة، فاستمع لقوله: نعم السائلون يحملون زادنا إلى الآخرة بغير أجرة، حتى يضعوه في الميزان بين يدي الله تعالى.

لا ترد الله في طلبه : فالله يستقرضك أي يطلب منك القرض، والمقترض مضمون لا ريب في ذلك، والقرض مردود وباق لك الأجر، " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم ".

كما كنت كريماً، وأنت تتصدق سيكون لك أجر كريم عند الله، جاءت قافلة تجارية قوامها ألف بعير لعثمان بن عفان، فجاء إليه تجار المدينة قالوا يا عثمان نعطيك الدرهم بدرهمين فأبى، فزادوا في مساومته حتى قالوا الدرهم بخمسة، وانتظروا أن يستجيب لهم، ويرضخ لشهوة الكسب وربح تمت مضاعفته خمس مرات، فأبي مجددا وقال: بعتها بأكثر من ذلك، فقالوا: يا عثمان ليس في المدينة تجار غيرنا، فلمن بعتها وبكم ؟ فقال : بعتها لله عز وجل الدرهم بعشرة " فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ". وأمر غلمانه بتوزيعها على الفقراء.

حتى لو كنت فقيرًا، ولا تملك من حطام الدنيا شيئًا فلا تحرم نفسك الأجر، فلن تك أشد فقرًا من بلال الحبشي وقد أرشده مرسوم النبوة "يا بلال أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً " وقد قال علي رضي الله عنه: " لا تستح من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقل منه "، فتصدق بتلك العملة المعدنية التي معك، فلك فيها خير.

جاء سائل إلى بيت عائشة فقالت للجارية تصدقي عليه فبحثت الجارية عن شيء تتصدق به فلم تجد غير حبة عنب، فقالت عائشة:

تصدقي بها، فاحتقرتها الجارية - أي استصغرتها - فقالت عائشة: كم فيها من ذرة " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ".

قال أحد السلف الصلاة توصلك إلى نصف الطريق والصوم يوصلك إلى باب الملك، أما الصدقة فتأخذ بيدك وتدخلك على الملك.

وقد قال صلى الله عليه وسلم:

سبق درهم مائة ألف درهم قالوا: كيف ذلك؟ قال: كان لرجل درهمان فتصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها.

قد يبخل البعض بالمال، ويقول تعبي وكدي وسعي وتجارتي، وما بقي له إلا أن يقول: "إنما أوتيته على علم عندي"، تكبّر قارون وقالها من قبل، فكانت عاقبته " فخسفنا به وبداره الأرض"، فالمال مال الله"وءاتوهم من مال الله الذي أتاكم " ونحن مستخلفين فيه ليس إلا، " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ".

" قيل لأحد الأعراب لمن هذه الإبل ؟ قال هي لله في يدي.

وقد توعد الله عز وجل من يبخلون بالمال ولا ينفقونه :

" يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ".

سيكوى البخيل بدرهمه في النار، وقد سئل أبو بكر الوراق :

لمَ خص الله الجبهة والجنب والظهر بالكي؟

فقال: الغني إذا رأى السائل قبض جبينه، وزوى ما بين عينيه وولاه جنبه، ثم يدير له ظهره.

على النقيض جاء سائل فقير إلى معروف الكرخي يسأله الصدقة، فلم يجد معروف شيء في بيته يتصدق به، فأعطى السائل نعله، ثم بلغه أن السائل باع النعل واشترى بثمنه فاكهة، فقال الحمد لله لعله كان يشتهي الفاكهة فواسيناه بثمنها.

يظن البعض أن السعادة في الأخذ، ولكن حين تجود يدك ستعلم أن السعادة الحقيقية في المنح والعطاء، جرب هذا الإحساس إن شئت الأن.

قال الله عز وجل في الحديث القدسي: " الأغنياء وكلائي والفقراء عيالي، فإذا بخل وكلائي على عيالي أخذتهم ولا أبالي".

خدعوك فقالوا، بل إثمًا وزورا وبهتاناً ما حدثوك به، بأن ما يحتاجه البيت يحرم على المسجد، وكأن الحسن البصري يسمعها منهم فيرد عليهم مقالتهم قائلا:

قرأت في تسعين موضعاً من القرآن أن الله قدّر الأرزاق وضمنها لخلقه، وقرأت في موضع واحد " الشيطان يعدكم الفقر "، فشككنا في قول الصادق في تسعين موضع، وصدقنا قول الكاذب في موضع واحد.

قال تعالى: " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ".

شحيح النفس يرى الزكاة مغرماً والصدقة خسارة، ولا يعترف بحق الله في ماله، لذا تجده يحب الدنيا ويخشى الموت، ولو قدم ماله لسره أن يلحق به، فتجده يتحسر لو أخرج صدقة، وإذا أتاه فقير "أعرض ونئا بجانبه" عن طريق فلاحه فقد تملكه الشح، وربما كانت حسرته يوم القيامة أشد، وأدع المجال للحسن البصري يُخبرنا بعلة الأمر:

إن هذا المال أتاك حلالا، فلا يكونن عليك وبالاً، واعلم بأن يوم القيامة ذو حسرات، وأشد الناس حسرة رجل وجد ماله في ميزان حسنات غيره، سعد به وارثه وشقي به جامعه، فيالها من حسرة لا تزال وعثرة لا تُقال.

بخل جامع المال به ولم يعلم لله فيه حقاً، فورثه عنه ابن صالح تاجر مع الله به.

وصدق من قال: " الصدقة برهان ".

برهان على ماذا ؟

على صدق إيمانك.

قال النووي: الصدقه حُجة على إيمان فاعلها.

" وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ".

يُخلفه عليكم بالبدل في الدنيا وفي الآخرة بالثواب والجزاء.

قال الحسن كلمة فضح بها أقوامًا، من أيقن بالخلف جاد بالعطية.

ياضيعة الأعمار إن مرت سُدى في غفلة وملذة وملاهي

إن الحياة تفنى ويفنى سعدها ويظل منها ما لوجه الله

قال عبدالله بن عباس: كان النبي صل الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدراسه القرآن، كان أجود بالخير من الريح المرسلة. فتهيأ لشهر النفحات وأطلق يديك بالخير فيه، " إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار ".

قال داوود عليه السلام: يارب بلغني أن كفة الميزان التي توزن فيها أعمال العباد، تسع طباق السموات والأرض، فكيف يملؤها العبد حسنات؟ فقال الله عزوجل: أملؤها للعبد حسنات بشق تمرة يتصدق بها إبتغاء مرضاتي.

البر والعقوق

قال صلى الله عليه وسلم :

" رأيت ليلة أسري بي أقوامًا في النار معلقين في جذوع من نار

فقلت : يا جبريل، من هؤلاء ؟

قال : هؤلاء الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا ".

وتأمل حال آخر :

عبد الله بن عون نادته أمه فأجابها، فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين.

قال ابن حجر رحمه الله:

العقوق مشتق من العق، أي القطع.

والمراد به : صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من فعل وقول.

قال صلى الله عليه وسلم:

" بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق ".

كان يُروى لنا ونحن صغار، أن رجلاً كان يقف في حقله وابنه إلى جواره، فتنازع معه جيرانه على من يكون له أسبقية ري أرضه أولاً، ثم رضخ الرجل وترك الأمر لأحد جيرانه، فغضب الابن وصفع أباه أمام الجيران، ثم دارت أيام ومرت سنوات، وتكرر المشهد في نفس البقعة بكل ما فيه من جحود، بعدما صار الابن العاق رجلًا كبيرًا، وله ولد فإذ بالولد يتجرأ ويصفع أباه ويكيل له بالمكيال نفسه، والجزاء من جنس العمل.

تأمل معي حال السلف لترى كيف كان مبلغهم من البر.

كان حيوة بن شريح يقعد في حلقته يعلم الناس، فكانت امه تطل عليه وتقول:

قم يا حيوة وضع الشعير للدجاج، فيقوم ويترك التعليم.

توفى عمر بن ذر الهمداني فقيل لأبيه: كيف كان معك ؟

فقال: ما مشيت معه بليل قط إلا كان أمامي، ولا بنهار قط إلا كان خلفي، وما علا سطحاً قط وأنا تحته.

يمشي أمام والده بالليل ليواجه الخطر عنه، وبالنهار يكون خلفه توقيراً له. أما الثالثة فتعجز لغتي عن شرح فضلها، فلم يكن يعتلي سطح بيت ليرتفع عن أبيه.

طالب من ريف الدلتا في كلية العلوم أبهرته حياة المدينة، فكان يُرهق والده بطلباته ورغباته، فقال له والده ابحث لك عن عمل وأنفق على نفسك، ودعني أكمل رسالتي مع إخوتك الصغار، فاستشاط الابن غضبًا وأضمر الشر في نفسه، وأحضر مادة كيمائية ونثرها على جسد والده وهو نائم، فاحترق جسده حتى بدت عظامه.

أي زمن نحن فيه، لقد وصلنا لقعر العقوق، وآخر الفجور وتمادينا في البغي والطغيان، وقد قال النبي لأصحابه: " من الكبائر شتم الرجل والديه قيل: وهل يسب الرجل والديه ؟! لم يرتقي وعي الصحابة بأن سوء الأدب سيصل لهذا المنحدر، لم تتخيل عقولهم أن الابن سيصفع والده وسيركل أمه، فأخبرهم بأن الرجل يسب رجلاً بأبيه، فيرد عليه بمثل ما قال،وقد ورد في السنة " لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر".

قال عطاء بن يسار كنت جالسا عند عبد الله بن عباس، إذ أتاه أعرابي فقال: إني خطبت امرأة فأبت وخطبها غيري فتزوجته، فغدوت عليه فقتلته، فهل لي من توبة ؟ قبل أن نتطرق لجواب ابن عباس، نحن بصدد جريمة قتل مكتملة الأركان، كبيرة من أكبر الكبائر، قتل غريم قلبه بدم بارد وجاء يسأل عن توبة.

فقال ابن عباس: ألك والدان حيان أو أحدهما ؟

قال : لا .

فقال ابن عباس : تقرب إلى الله عز وجل بما قدرت عليه.

فقلنا له بعدما خرج الأعرابي من عنده :

ما كنت ترجو له لو كان أبواه حيين أو أحدهما ؟

فقال ابن عباس : ليس شيء أحط للذنوب من بر الوالدين.

سُئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال: الصلاة على وقتها. قيل: ثم أي ؟ قال: بر الوالدين. قيل: ثم أي ؟ قال: الجهاد في سبيل الله.

انظر كيف جعل النبي صل الله عليه وسلم، بر الوالدين بين عملين عظيمين في الإسلام، الصلاة وهي عماد الدين وأول ما يحاسب عليه العبد من عمله، والجهاد في سبيل الله وهو ذروة سنام الإسلام.

كان حارثة بن النعمان يُطعم أمه بيده، ولم يستفهمها كلامًا قط تأمره به، حتى إذا خرجت سأل من عنده ماذا قالت أمي.

لا أرى أن مداد لغتي يوفي الرجل حقه، بلغ به البر أنه لا يراجع أمه كي يستفهم ما قالت ويعي منطقها، فلو رأى الأم الآن يضرب بكلامها عرض الحائط ماذا كان يصنع ؟ ربما لتجمد الدم في عروقه، أو مات كمدًا حين يرى دموع الأم وتوسلاتها لا تقابل إلا بالتجاهل والاستخفاف.

عن وهب بن منبه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : يا موسى وقر والديك فإنه من وقر والديه مددت له في عمره ووهبت له ولداً يبره، ومن عق والديه قصرت عمره ووهبت له ولداً يعقه.

قال هشام بن حسان قلت للحسن البصري: إني أتعلم القرآن وإن أمي تنتظرني بالعشاء.

فقال لي الحسن : تعش مع أمك تقر عينها بك، أحب إلي من حجة تحجها تطوعاً.

روى أحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال:

من سره أن يمد له في عمره ويزداد في رزقه فليبر بوالديه وليصل رحمه.

هل تريد التوفيق في كافة أمورك....

" وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا ".

هل تريد رضا الله عنك ؟

" رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين ".

هل ترجو لنفسك الثواب الجزيل ؟

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد،

فقال: أحي والداك ؟ قال: نعم.

قال: فيهما فجاهد.

لأن برهما يجمع من المحاسن أفضلها ومن المحاب أنفعها.

فإذا كنت تبحث عن الجنة، فهي تحت قدم أمك، وإذا أردت أن يقضي الله لك حاجة، فاهمس في صدر والدك ليدعو لك بها، وقد جاء في الحديث ثلاث دعوات مستجابات.. منها دعوة الوالد على ولده، وليعي الأبناء أن دعوة الوالد أو الأم للولد أو عليه مستجابة

قال الحسن: دعاء الوالدين ينبت المال والولد.

فلعل دعوة من والديك يعظم بها جاهك أو يزداد بها مالك، أو يكثر بها علمك أو يثمر بها قلمك أو يُرفع بها غمك أو ينجو بها صبيك.

كان رجل يقوم على خدمة والده، ثم سأم منه وملّه، فحمله على ظهر دابة، وخرج به إلى الصحراء، فاستشعر الأب من ابنه الريبة، فقال: ما تصنع بي هنا يا ولدي ؟

فقال: أريد أن أذبحك فقد ضقت بك ذرعاً ومللت من خدمتك.

فقال الرجل مستسلماً إن كنت فاعلا، فاذبحني عند تلك الصخرة.

فقال: يا أبتاه ما ضرك أن أذبحك هنا أو هناك.

فقال: اذبحني عند تلك الصخرة، فقد ذبحت أبي عندها، ولك بمثلها.

عاقبة العقوق مهلكة في الدارين والمشتكى إلى الله، فقد امتلأت قلوب الآباء حرقة من عقوق أولادهم، وانهمرت دموع لافحة مما لحق بها من الأذى،وقد اكتحلت بالسهر لتداوي وترعي صغيراً شب على الجحود، وقد غره شبابه أو ترفع بثقافته وتكبر بجاهه، فضلّ وذهب بضلاله لبعيد فأودع أبويه دار المسنين والعجزة، فمن أساء الصحبة بالهجر والجفاء فلينتظر من يسقيه مرارة الكأس ذاتها بالجحود والغباء.

ولعل دعوة جبريل عليه السلام تصيبه " رغم أنف رجل أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما ولم يدخلاه الجنة " أي خاب وخسر وعرض نفسه للذل والهوان، وقد أمن عليها خير الأنام، وقال: أمين.

رأى ابن عمر رجلا يطوف بالكعبة حاملاً أمه حول عنقه.

فقال الرجل: يا ابن عمر أترى أني جزيتها؟

فقال: لا، ولا بطلقة واحدة من المخاض، ولكنك أحسنت إليها، والله يثيبك على القليل كثيراً.

مرض الابن، فأنفق الأب المال الذي معه، واقترض وباع شيئًا من متاع بيته، وكان يدعو ويتضرع يا رب هب له من عمري.

كبر الابن واشتد عوده فمرض الأب، فتأفف الابن وضجر من سداد فاتورة الرعاية، وبذل الجهد والمال، وطلب من الناس أن يدعو لوالده بالرحمة، أي يُعجل الله بموته.

جاء رجل إلى النبي، وقال: إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي فقال: أنت ومالك لأبيك.

قال رجل لابن عباس: إني نذرت أن أغزو الروم، وإن أبواي يمنعاني.

قال: أطع أبويك، فإن الروم ستجد من يغزوها عنك.

وقال يزيد ابن أبي حبيب : إيجاب الحجة على الوالدين عقوق، أي الانتصار عليهما بالكلام.

قال علي رضي الله عنه: لو علم الله شيئا في العقوق أدنى من "أف" لحرمه.

فما بالك بمن يرفع صوته أو يحد النظر أو يُشيح بيده، والأسوأ من ذلك جريمة روعت الإسكندرية نشرتها الصحف، بأن شاباً أراد أن يأخذ مالاً من معاش والده عنوة، ليشتري المخدرات فمنعه الوالد، فأمسك الشاب بسكين وطعن والده ولما تصدت له والدته طعنها هي الأخرى.

قال صلى الله عليه وسلم: " الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه " هو لم يحفظ الباب أو ليته ضيعه فحسب، بل أتى على عاليه وسافله بالطعنات حتى أرداه قتيلا، وألحق به أمه قتلهما بدم بارد، بعد أن ماتت فيه كل معاني الإنسانية والوفاء، فانظر كيف تردى به البغي و العقوق، وتأمل على الضفة الأخرى ماذا صنع البر بالربيع بن خثيم.

كان الربيع يميط الأذى من طريق والديه قرب بيتهم ويقول: هذا لأمي وهذا لأبي.

يقول سعيد بن سفيان الثوري: ما دعاني أبي قط وأنا في صلاة غير مكتوبة، إلا قطعت صلاتي من أجله.

والآن تجد من يناديه والده فلا يأبه لقوله، وربما تهكم به أمام أقرانه، ويجف حلق أمه فيمضي ولا يلتفت، وتجد مراهقاً من سنه يناديه فيسرع ويلبي نداءه، أو أحمق على شاكلته يدعوه فيهرول نحوه.

وعلى وجه مشابه من الجفاء، تجد فتاة يافعة تتكئ على أمها في أعمال البيت، ولا تقدم لها يد المساعدة، ظناً منها أنها ملكة في بيت أبيها، فأخطأت وتعثر فهمها، وعادت لجاهلية حالكة كانت تلد الأمة ربتها، فعندما تتزوج ستجد نفسها في بيت الزوجية كتمثال، ينتظر تحية الجميع، ولن تقوى على رفع كوب من موضعه.

كان محمد بن سيرين إذا اشترى لوالدته ثوبًا اشترى ألين ما يجد.

ما زلت أذكر فلاناً وهو يهرول على الدرج، وكاد أن يتعثر حاملاً الفاكهة لأبنائه، ويدخل بها سراً حتى لا تراه أمه.

من مظاهر عقوق الوالدين :

- عدم الاعتداد برأيهما وترك استشارتهما.

- الضجر ورفع الصوت في حضرتهما.

- يبتدر الحديث ويتصدر المشهد في وجودهما.

- حجب النفقة عنهما وإيثار رضا زوجته وأولاده.

تعال أتحفك بباقة من الكلمات الندية عن أعمال البر:

سئل الحسن البصري: ما بر الوالدين؟

تبذل لهما ما ملكت وتطيعهما فيما أمراك به ما لم تكن معصية.

قال ابن عباس في قوله تعالى: " وبالوالدين إحسانًا ".

لا تنفض ثوبك فيصيبهما الغبار.

وقال عروة في قوله تعالى: " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ".

لا تمنعهما من شيء أحباه.

قال سفيان بن عيينه في قوله تعالى: "أن اشكر لي ولوالديك"

من صلى الخمس، فقد شكر لله، ومن دعا لوالديه عقبهما فقد شكرهما.

قال بعض السلف: ترك الدعاء للوالدين يُضيق العيش على الولد.

قال عون بن عبد الله: النظر إلى الوالدين عبادة.

قال سعيد بن المسيب : البار بوالديه لا يموت ميتة السوء.

قال محمد بن المنكدر: بت أغمز رجل أمي لتخفيف الآمها، وبات أخي عمر يصلي ليلته، فما تسرني ليلته بليلتي.

سمع عمر الفاروق برجل قتل نفساً بغير ذنب، فقال: والذي نفس عمر بيده لو كانت أمه حية فبرها وأحسن إليها، لرجوت ألا تطعمه النار.

لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى، وقال: باب إلى الجنة قد أغلق.

لعل مقصرًا يملأ الندم جوانحه على تفريطه في حق والديه، ويخشي غضب الله، ويخشى مثل ما صنع من أبنائه، لم تزل الفرصة قائمة اذهب إليهما وأحسن الصحبة بالمعروف، وابذل وقدم ولا تتلكأ كفاك ما مضى، دق الباب وقبل اليد والجبين، وتعطر من غبار أقدامهما وستجد الصفح واللين، ولا ماض يُذكر وكل قديم يُغفر وهكذا تستدرك ما فاتك.

قال رجل لكعب الأحبار :أحتسب عند الله ما فاتني من بر الوالدين.

فقال كعب: لم يفتك برهما استغفر لهما واجعل لهم حظًّاً من طاعتك تكن من الأبرار. فتصدق عنهما واذكرهما في دعائك.

روى البيهقي في شعب الإيمان :

" إن العبد ليموت والداه أو أحدهما، وإنه لهما لعاق، فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله بارا ". فلا تظن أن الحجر خرج من يد راميه والله ما كان، فمازالت صحيفتك مفتوحة فسجل فيها ما شئت من أعمال البر، كفكف دموعك واستغفر لهما وتصدق عنهما، وكن الولد الصالح الذي لا يفتر عن الدعاء لهما بالرحمة.

لقي ابن عمر أعرابياً بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه فقيل له: يا ابن عمر إن هذا من الأعراب، وإنهم ليرضون باليسير فقال: كان أبوه وداً لأبي عمر، وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم : " إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه ".

هل أقرأ عنهما القرآن ؟

اختلف الفقهاء في الأمر، ولكن اقرأ سورة، ثم بعد أن تنتهي ادع الله أن يجعلها في ميزان حسنات الوالد أو الوالدة، فإما أن يقبل الله دعاءك أو يبقى لك الأجر.

العُجب

طلب التلميذ من شيخه أن يدعو له،

فدعا الشيخ قائلاً : أسأل الله ألا يُذيقك طعم نفسك.

فهل تذوقته من قبل ؟

روي أن عابدًا من بني إسرائيل أمضى ليلته متعبدًا، فلما أصبح وجد الناس في غفلة، فقال: نعم الرب أنت ونعم العبد أنا، فلما كانت الليلة التالية وأراد أن يتعبد، ضرب عليه عرق في يده، فظل يتأوه الليل كله ولم يُصل ولم ينم.

فلما أصبح انتبه، وقال يا رب عبدتك بحسن توفيقك، ولولا حسن توفيقك لكنت من الغافلين.

رحم الله المطرف بن عبد الله، فقد كان من كلامه :

لئن أبيت نائماً وأصبح نادماً، أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً.

لعل في نفسك هذا السؤال:

ما معنى العجب وما الفرق بينه وبين الكبر ؟

أطرح سؤالك برمته على عبد الله بن المبارك.

العجب : أن تنظر لنفسك بعين الكمال، وترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك.

الكبر: أن تزدري الناس.

هل المعنى قريب وتريد مثالاً توضيحيا يفض اشتباكا بين المعنيين.

تخيل أن رجلاً عاش في جزيرة لا يقطنها سواه، فهل سيشعر بالعجب أم يكون في صدره الكبر ؟

يقينًا سيشعر بالعجب وينظر لنفسه بعين الكمال، ولن يشعر بالكبر أو يزدري أحدًا حيث يعيش بمفرده.

روي في الصحيح عن أبي هريرة :

بينما رجل يمشي في حلة تُعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته، إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

لم تكن البلية في زينته، فإن الله جميل يحب الجمال، ولكن طامته كانت في العجب والاختيال، فهذا حال المعجب يزهو بنفسه، وينسب كل نعمة إلى ذاته وينسى المنعم، ولا ينكسر بين يدى ربه ومولاه، ولا يشعر بعبوديته لله جل في علاه.

معبد بن زرارة كان جالساً في الطريق فسألته امرأة: أين موضع كذا يا عبد الله ؟

فقال: أمثلي يكون من عبيد الله يا امرأة؟

رأى ذنوبه تحول بينه وبين شرف العبودية لله، فتمام العبودية لله في الذل والانقياد والانكسار بين يديه عز وجل .

قال عبد الله بن المبارك: لا أعلم في الناس شيئاً شراً من العجب.

قال كعب الأحبار لرجل حضر مجلسه ليأخذ عنه الحديث، وكان يتخطى الناس ليدنو منه: اتق الله، وارض بدون الشرف من المجلس، ولا تؤذين أحدًا فإنه لو ملأً علمك ما بين السماء والأرض مع العجب، ما زادك الله به إلا سفالاً ونقصاً.

لعلك تريد أن تسأل عن أمارات يجدها المعجب في نفسه لتطمئن أنك بمنأى عنها.

-الاختيال في مشيته :

مشى المهلب متبختراً فقال له المطرف بن عبد الله: هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال له المهلب: ألا تعرفني ؟

فقال المطرف : بلى أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة وفي بطنك تحمل العذرة. فاعتدل المهلب في مشيته ومضى.

التفاخر بالحسب والنسب وجمال الخلقة :

جلس رجل عند نبي الله موسى، وظل يفتخر بأهله وعشيرته فأوحى الله إلى موسى، بلغ صاحبك بأن تسعة من أجداده في النار وهو عاشرهم.

ـ توقع الجزاء الحسن والمغفرة :

قيل لعائشة رضي الله عنها : متى يكون الرجل مسيئاً ؟

قالت: إذا ظن أنه محسن.

فالملائكة التي لا تفتر عن العبادة يقولون ربنا ما عبدناك حق عبادتك.

وإبراهيم الخليل الذي كان أمة يُفصح عن أمنيته التي يرجوها:

" والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ".

ـ رد الحق والإصرار على الخطأ :

حتى لا يلحق بنفسه العيب تجده يكابر ويعاند ويبرر، ولا يرجع عن خطئه وتجده يتعمد مخالفة الناس ترفعاً، وربما افتعل المواقف ليبرز نفسه.

قال خالد بن يزيد بن معاوية: إذا رأيت الرجل لجوجاً مماريا معجبًا بنفسه، فقد تمت خسارته.

عبد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة سألوه في مسألة فأجاب، فنبهه بعض الحضور إلى خطئه، فأطرق رأسه ثم نظر لمن حوله وقال: إذاً أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنبًا في الحق خير لي من أن أكون رأسًا في الباطل.

تعال نضع نقطة ونطرح سؤالًا أنتظره منك: ما حكم العجب ؟

من الأندلس تأتيك الإجابة:

قال ابن حزم : إن العجب من أعظم الذنوب وأمحقها للأعمال.

فتحفظوا وتواضعوا وتفقدوا صدوركم ، حفظنا الله وإياكم من الرياء والعجب.

قال كعب الأحبار: إياكم والعجب، فإنه الذبح والهلاك.

شفاء الصدور من داء العجب والغرور :

اعلم يرحمك الله أن كل نعمة أو موهبة عندك هي من عند الله.

فكل خير تتمتع به، هو فضل من الله ومنة " وما بكم من نعمة فمن الله".

فالعبد لا يملك من أمره شيئًا، لذا تجده يصيب ويخطىء، فأناشدك بالله ألا تنسى ذنوبك واجعلها نصب عينيك، حتى تجتهد في العبادة وتواجه تقصيرك بحزم وهمة، وألا تغتر بثناء الناس عليك مهما بلغ بك الصلاح، فلن تكون أكرم في نفوس الناس من الإمام أحمد، حين أخبره المروذي ما أكثر الداعين لك، فامتلأت عين ابن حنبل بالدموع وقال: أخشى أن يكون هذا استدراجاً.

واحذر عافاك الله، أن يأتيك العجب من باب القوة، وكأنك بها تجهر" من أشد منا قوة "، وتغتر بقوة الجسد والعشيرة والمنصب، فلن يغنوا عنك من الله شيئًا، والمال الذي به تفتخر ويغذي أوردتك بالغرور إلى زوال، "وما يغني عنه ماله إذا تردى"، فلا تأخذك به عزة زائفة، وتقول: "أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا" ،ولا تدع إعجابك بشهادة نلتها أو علم وعيته في صدرك ينسيك الحقيقة، " وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "، ولو كان إعجابك بوسامة افترشت وجهك أو عقل رجح على أقرانه، فأسألك بالله هل لك في ذلك فضل ؟.

بشر بن منصور من مشاهير العباد، أطال الصلاة يوماً ورجل خلفه ينتظره، فلما سلم من صلاته انتبه للرجل وقال: " لا يعجبنك ما رأيت مني، فإن إبليس عبد الله مع الملائكة، ثم صار إلى ما صار".

تجفيف المنابع وقاية لا غنى عنها ..

لا تصاحب المداحين ولا تناولهم أذنك، فحديثهم يغذي روافد العجب في نفسك، فاحذر أن تفتنك جموع المتملقين من حولك، فلو كان بي قوة لحثوت في وجوههم التراب، فالويل لهم كادوا يقطعوا عنقك.

قال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن أبيه :

يا خير الناس وابن خير الناس.

فقال: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس، ولكني عبد الله أخافه وأرجوه، ولا تزالوا بالرجل حتى تُهلكوه.

ربما يمنحك الناس وشاحاً ليتدثر به زهوك، فألقه خلف ظهرك وامض ولا تلتفت لتنجو إن أردت النجاة،خرج ابن مسعود ذات يوم، فأتبعه بعض الرجال، فسألهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك. قال: ارجعوا، فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.

قيل للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إلي من أن أرى نفسى أهلا لذلك. وكان رحمه الله إذا تكلم وأعجبه كلامه قطعه وعدل إلى كلام لا عجب فيه.

قال إسحاق بن خلف رحمه الله: ليس شيء أقطع لظهر إبليس، من قول ابن آدم ليت شعري بما يختم لي، فييأس منه ويقول متى يُعجب هذا بعمله.

الآن أطلب منك تكرماً، أن ترجع بعقارب التاريخ إلى العام الثامن من الهجرة، لنرى ماذا فعل العُجب بمعسكر الإيمان، حين بلغ جيشهم اثني عشر ألفاً، حتى قال أحدهم لن نُغلب اليوم من قلة، ولو استحضر قوله تعالى: "وما النصر إلا من عند الله" لسكت وكان خيراً له، دارت رحى الحرب وأتت ضربة البداية عنيفة من معسكر الكفر، فتقهقر الصحابة وولوا مدبرين وضاقت عليهم أرض المعركة، حين اغتر البعض بالعدة والعتاد كانت الكرة عليهم، ولم يثبت منهم إلا نفر قليل "ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا "،كاد العُجب أن يهلكهم لولا أن أدركتهم رحمة الله، فجاءهم النصر بعد بداية تعثرت فيها الخطى.

يقول ابن مسعود الهلاك في شيئين: العجب والقنوط

جاء في بعض الأخبار:

"يا داود بشر المذنبين، وأنذر الصديقين" فتعجب داود وقال: يا رب كيف أبشر المذنبين، وأنذر الصديقين؟

فقال عز وجل: "يا داود بشر المذنبين ألا يتعاظمني ذنب أن أغفره، وأنذر الصديقين ألا يُعجبوا بأعمالهم".

حيث يظن المعجب أنه ظفر بمراده وبلغ الكمال، فيتجرع مرارة الحسرة فكلما أعجبتك نفسك واستحسنت شيئًا منها فازجرها، وأنت لها رابح.

نادى عمر بن الخطاب الصلاة جامعة، فاجتمع له الناس.

فقال: لقد كنت أرعى الغنم على حفنة من التمر.

فقال له ابن عوف لقد حقرت نفسك.

فقال عمر: حدثتني نفسي بأني أمير المؤمنين، فأردت أن أؤدبها وأعرفها قدرها.

رضي لنفسه بالإهانة وهو خليفة المسلمين،لينزع حظ نفسه فمن أنا ومن أنت ؟!

مر رجل بمجلس فأثنوا عليه خيراً، فلما جاوزهم وسمع قولهم،

قال: اللهم إن كان هؤلاء لا يعرفوني فأنت تعرفني.

اعترف بذنبه وأقر بتقصيره وألزم نفسه أرض العبودية، حتى لا يرفعه الغرور ويلقي به في الهاوية، فما زلت أذكر نفسي وإياك لا شيء أفسد للطاعات من العجب ورؤية النفس.

قال محمد بن واسع ذهب أصحابي.

فقال له جليسه الحارث بن نبهان :

أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون في سبيل الله؟.

قال: بلى، ولكن أفسدهم العُجب.

وفي الختام دعني أكرر سؤالاً طرحته عليك في البداية،

هل تذوقته من قبل ؟؟؟

سلامة الصــدر

قيل لأبي البشر : حدثنا عن عمل السابقين.

قال : كانوا يعملون قليلًا ويؤجرون كثيرًا.

قيل : بمَ ذلك ؟

قال : بسلامة صدورهم.

يقول عبد الله بن عباس: إني لأسمع أن الغيث أصاب بلدًا من بلدان السلمين فأفرح، وليس لي فيها إبل ولا سائمة.

المطر خير ينتفع به الزرع والضرع، وحين يرتقي لسمعه أن الغيث قد وقع على بلدة فيفرح، وليس نفعًا يعود عليه من ذلك، ولكنه يفرح لأن الخير أصاب المسلمين.

قلوب تقية لا تحمل غشاً ولا حسدًا، بل تفرح حين يدرك الخير مسلم يعيش في أقصى المشرق، وتحزن لو جرح آخر يحيا في أقصى المغرب، فما بينها وبين الناس كما بين العين واليد، تبكي العين فتمسح اليد دمعها، وتتألم اليد فتبكي العين على وجعها.

يقول عبد الله بن المبارك: ما رأيت أحدًا ارتفع مثل الإمام مالك وليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون السريرة.

قال الله تعالى :" يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ".

قلب سليم من الشرك والنفاق والحقد والحسد والضعينة ....

سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الناس أفضل ؟

فقال: كل مخموم القلب صدوق اللسان.

فقالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب ؟

فقال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد.

وكان صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه، بعدما أساء له قومه ويدعو : " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ".

تأخر الإمام مالك عن حلقة الدرس، فقام تلميذه محمد بن إدريس الملقب بالشافعي، وجلس مكانه وأخذ يُحدث الطلاب، فأقبل الإمام مالك فوجد الشافعي قد أخذ مكانه فما وبخه ولا نهره، بل جلس إلى جوار سارية يستمع إليه وكتب على السارية :

من أراد العلم النفيس، فليجلس إلى محمد بن إدريس.

فلما انتهى الشافعي انتبه إلى ما كتبه شيخه، وكتب أسفل منها،

كيف يكون ذلك والشافعي تلميذ مالك.

ليت بعض من يعظ يسكن صدره مثل هذا، عبد الله بن المبارك كان إذا سمع الفضيل يتكلم ويعظ الناس قبّل جبهته، وقال: يا معلم الخير من يُحسن هذا غيرك.

قلوب نقية لم يُفسدها التنافس، ويُلقي بها في جب الحسد، أو تسلك الغيرة بها مسلكاً لتنال منها، فعاشوا دنياهم بسكينة ورحلوا بضَيّ يكسو محياهم، تهلل وجه أبو دجانة عند موته فسألوه في ذلك.

فقال: ما عملت في الإسلام عملاً أرجى عندي من شيئين: كان قلبي للمسلمين سليماً، ولم أكن أتكلم فيما لا يعنيني.

بعض الناس يريد أن يضع أنفه في كل شيء، ليعرف أدق التفاصيل في حياة من حوله، فليته يعي " من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يَعنيه ".

وقع شيء من الشر بين ابن السماك الواعظ وأحد أصحابه، فقال له صاحبه الميعاد بيني وبينك غدا نتعاتب.

فقال له ابن السماك :غدًا نتغافر.

قال ابن العربي: لا يكون القلب سليمًا إذا كان حقودًا حسودا معجبا متكبراً، وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان: " أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ".

فكل من حمل على متن قلبه، الحقد والحسد وملأ جوانبه بالشحناء والتدابر، فقد امتدت خسارته وفاته أجر عظيم، فليته أسرها في نفسه وعمل بها، أن النجاة يوم القيامة، لمن أتى الله بقلب سليم من الضغائن وكافة علل القلوب.

قال صلى الله عليه وسلم : " تُعرض الأعمال كل يوم اثنين وخميس، فيغفر الله عز وجل لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا، إلا امرئ بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: انظروا هذين حتى يصطلحا ".

من الثمرات الطيبة التي يجنيها صاحب الصدر السليم:

راحة البال وتجنب العداوات، وصفاء النفس وخلوها من الكدر، فسامح وتغافل وتجاهل وتناس، وأحسن الظن بإخوانك، وقد قال الفاروق: لا تحمل كلمة أخيك على محمل الشر، طالما وجدت لها من الخير محملاً. فامض في طريقك ولا تلتفت للعداوات، فقد تكون عقوبة من الله لبعض خلقه، أن يشغلهم بالخصومة والتشاحن وتصيد الهفوات، تَمَنَّ الخير لمن حولك فرزق الناس لن يكون من مالك، وعافية الناس لن تكون على حساب صحتك، وقد قال أحد الدعاة: قد تأتيك النعمة لأنك تمنيتها لغيرك.

دخل رجل يشتري من دكان، فقال له صاحب الدكان البضاعة التي تريدها عندي، لكن أرجو منك أن تشتريها من عند جاري، فتعجب الرجل و سأله لم تأبى أن تبيع لي؟ فقال: قد بعت اليوم وأكرمني الله وربحت وأوشك النهار أن ينتهي، وجاري ما باع شيئًا منذ الصباح، والبضاعة التي عندي مثلها عنده، وسيبيعها لك بنفس الثمن !!!!!!. علامة تعجب واحدة لا تكفي فوضعت الكثير لاسترعي انتباهك

قال الحافظ بن رجب :

المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن من الخير ما يريده لنفسه، وهذا كله إنما يأتي من سلامة الصدر. فما صنعه هذا التاجر في نظر خبراء الإقتصاد سفه وهراء، ولكنه في نظر الشرع الحنيف من أوثق عرى المحبة والإخاء.

قال أحد السلف : ما حسدت أحدًا منذ أن قرأت قوله تعالى: " نحن قسمنا بينهم معيشتهم " فقد علمت أن القسمة من الله.

في العام الثامن من الهجرة رجع النبي صلى الله عليه وسم إلى مكة فاتحاً منتصراً، بعد أن خرج منها متخفياً ودمعه على خده، ويقول: لولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت، فعاد وراية الإسلام خفاقة في عشرة آلاف فارس أو يزيدون، ولا طاقة لأهل مكة بقتالهم، فاجتمع أهل مكة حوله، وقال لهم ما تظنون أني فاعل بكم ؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وحين سمع أحد أصحابه يقول: اليوم يوم الملحمة، أي إعمال السيف والثأر ورد الاعتبار، فقال صلى الله عليه وسلم: اليوم يوم المرحمة، يوم العفو والصفح.

يُنادى يوم القيامة : أين الذين وقع أجرهم على الله، فيقوم جماعة من الناس، فيُقال لهم: من أنتم ؟ فيقولون: نحن الذين ظُلمنا فعفونا، " فمن عفا وأصلح فأجره على الله ".

فامض ولا تلتفت "ولا يحزنك قولهم"، ولا تجعل من قلبك قبراً يختبئ فيه الشر والعداوات، " فاصفح عنهم وقل سلام " وقد علمتنا السيرة بأن العفو من شيم الكرام.

يريد البعض أن يسمو بروحه، ويصل إلى هذا النقاء، ولكن تغلب عليه شرور نفسه فيرجع وهو حسير، فيمل ويبقى السم بأحشائه. والأمر يحتاج إلى صبر ومجاهدة لننزع ما اكتسبته القلوب من حقد، فتعالَ نبحث عن تِرْيَاق.

خطوات الشفاء

١ـ إفشاء السلام.

" أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم "

تحية الإسلام السلام، ليس صباح الخير أو كيف الحال، وإلقاء السلام له أثر السحر في النفوس، حيث يستل منها الحقد والضغينة، فلا تعرض بقلبك وتقاسيم وجهك وكن خيراً من صاحبك، واظفر بهذا الفضل وابدأ بالسلام، فهذا موضع حفظ الدين من القطيعة وليس حفظ الكرامة.

٢ـ "تهادوا تحابوا".

مهما كانت قيمة ما تهديه يسيرة، فقد تفتح لك مغاليق القلوب وتجعلها لك ممتنة وأسيرة، وتجلب لك التلطف والشعور بالأنس.

٣ـ " وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ".

فالعفو والتجاوز والموادعة تنزع فتيل الشر، فمن عصا الله فيك أطع الله فيه، وكنت أصنع هذا الأمر كلما نشب خلاف بيني وبين صديق، أستحضره بخيالي وأتعاتب معه، فأقوم خفيفاً ولا أدع الشيطان يوغر صدري تجاهه، ثم أدعو الله راجيًا له كل نفع، وإن بقي في نفسي شيء أذكره بالخير بين الناس، فهكذا كنت أنقض كل الأحكام الجائرة بالهجر والقطيعة من تبعات المواقف.

دع الجدل وأنت الرابح :

يقول أبو الدرداء: إن كان لك أخ في الله فلا تماره.

فالجدل يُعكر الصفو ويقطع حبل المودة، ومن يفتح على نفسه باب الجدل يُغلق بينه وبين الناس باب المحبة، فالجدل والمغالبة بالرأي حول الكرة والسياسة والدين وتريند الأحداث، سيصل بنا إلى الحبل المقطوع، حبل الصداقة الذي كان مجدولاً سيغرق في وهنه كخيط عنكبوت، والرحم التي تعوذت من القطيعة ستشكو هجر أهلها.

سُئل الإمام مالك الرجل العالم بالسنة أيجادل بها ؟

فقال: يُخبر بها، فإن قبلت وإلا فسكت.

إياك والظن فإن الظن أكذب الحديث وشر بضاعة الألباب، فليس كل من يقف في شرفة منزله يسرق النظر إلى ابنة الجيران، وليس كل من تأخر في تهنئتك كارها لتفوقك وأخذك بالأسباب، ولا كل من خانته كلماته يضمر لك الشر المكتوم.

مرض الشافعي رحمه الله فأتاه أحد إخوانه يعوده، ودعا له قائلا: قوى الله ضعفك يا إمام، فقال الشافعي: لو قوى ضعفي لقتلني، قال: والله ما أردت لك إلا الخير. فقال الشافعي حتى لو شتمتني ما ظننت بك إلا الخير.

فإن فسدت مفردات الناس فأصلح نواياك،وإن خانهم التعبير فالتمس العذر وكن بصير،ولا تحمل كلمة أحد على محمل الشر، طالما وجدت لها من الخير محملاً.

لا تناول أذنك لأحد.

من نمَّ لك سينم عليك، فلا تعط فرصة لأحد أن يكلمك عن آخر بسوء: " ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم "، ولا تنتبهي أختاه لقول حمالة الحطب فالفتنة أشد من القتل، فاقطعي حبالها بإعتزال مجلسها وإلإعراض عنها، فإن أبت إلا وصالك فاهتفي في أعماقك أو لو كنا كارهين.

قال صلى الله عليه وسلم : لا تخبروني عن أحد من أصحابي شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم سليم الصدر.

عن الفضل بن أبي عياش قال: كنت جالساً مع وهب بن منبه، فأتاه رجل فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك، فغضب وهب وقال: ما وجد الشيطان رسولاً غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الرجل الشاتم، فسلم على وهب، فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جواره، فبارك الله في صنيعه أطفأ نار عداوته وتلاشي الخصومة معه، وأجهز على الفتنة في مهدها، وهكذا يقول العامة في بلدي الشر إذا بات مات.

فض اشتباك بين المعاني :

هل معنى سلامة الصدر أن أكون شخصاً مغفلاً تطل من عينيه السذاجة، فيقع في شراك الناس ويكون ضحية مكرهم؟.

سلامة الصدر معناها عدم إرادة الشر بعد معرفته.

الغفلة معناها قلة المعرفة بالشر، فيلحق بالمرء الضرر.

دع السواد الذي يغشى ضمائرهم وعش نقياً بلا زيف وتضليل

الدعاء دواء فعال:: كان من دعائه صلى الله عليه وسلم :

" اللهم إني أسألك قلباً سليماً ولسانا صادقاً "، رددها في سجودك وألح بها على ربك، فليتك تعي إنما يريد الله منك قلبك.

قال ابن الجوزي: لقد رأيت من يُكثر الصوم والصلاة والصمت، ويتخشع في نفسه وثيابه والقلوب تفر منه، ورأيت من يلبس فاخر الثياب وليس له كثير نفل ولا تخشع، والقلوب تتهافت على محبته، فتدبرت السبب فوجدته السريرة.

فمن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، وهكذا حال الصالحين سرائرهم أنقى من صورهم، تعرفهم بسيماهم فتنجذب وتطمئن إليهم من الوهلة الأولى، على غير رحم بينكم أو نفع مشترك يميل إليهم قلبك. وحين تراهم ترتسم على محياك ابتسامة تلقائية، فتطمئن روحك سريعاً وتأنس بقربهم، أما من يدعي ويتظاهر فخدعته لن تدوم طويلاً، والمواقف وحدها تكشف معادن الناس، وتأمل معي حال هؤلاء القوم الذين نزعوا حظ الشيطان من صدورهم، وضنوا بقلوبهم أن ترتع فيها الأحقاد فلعلنا نلحق بركبهم أو نسير على دربهم.

النفس تأنس إن رأت أحبابها ورتبة الود تعلو رتبة النسب

لصوص في ساحة الأولياء :

الله عز وجل يقول: " وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ".

فنعفو ونصفح، ليس عن عجز وضعف، ولكن رغبة فيما عند الله من الثواب ورجاء المغفرة، ولعل الله يتجاوز عنا ويعفو عن خطايانا وتكون الفردوس نزلا.

كان عمر رضي الله عنه يمشي في السوق، فاقترب منه لص على دابة وسرق عمامته وجرى، فركض عمر خلفه ونادى عليه بصوت جهوري: أشهد الله أني وهبتك إياها، فقل قبلت حتى لا تمسك النار.

ظننت أن عمر سيركض خلفه ليرد اعتباره ويستعيد عمامته، ولكنه كان يخشى عليه من مغبة الذنب، فبحث له عن مخرج فوهبها له عن طيب خاطر.

إن الله لا ينظر إلى وسامتك أو هندامك أوعقلك الراجح، بل ينظر إلى قلبك فاحرص على سلامته، وشد عليه حزام الأمان فلا تضره تعاريج النفوس ويبقى نقياً، وتعهده بما يُصلحه وقاوم فيه الآفات، ونق من تربته الحشائش الضارة فيبقى لك خالصا غضاً طرياً، فلو صلح القلب صلح الجسد كله.

عبد الله بن مسعود كان من فقراء الصحابة، حتى إن زوجته زينب كانت تعطيه من زكاة مالها، وفي أحد الأيام ذهب ليشتري من السوق، فلما وقف عند البائع لم يجد كيس نقوده، فتيقن أن اللص قد استله منه، وحين علم الناس في السوق أن الصحابي الجليل ابن مسعود سُرق ماله اغتموا ودعوا على اللص، فقال ابن مسعود من الذي سُرق ماله؟ قالوا: أنت، قال: أنا أدعو وأنتم تؤمنون على دعائي، فقال: اللهم إن كان عبدك هذا في حاجة إلى مالي فبارك له فيه، وإن لم يكن في حاجة إلى مالي فاجعلها آخر معصية له وتب عليه.

لمْ يدعو على اللص بأن ينفق المال عند الأطباء، أو تصرعه دابة ويهلك، تملكني الذهول فمع فقره وحاجته لم ينقم على اللص، ودعا له بالبركة والهداية.

بسند متصل عن كل رواة الحب والفضيلة،ورد أنه كان لأحد الصالحين زوجة سيئة الخلق، بكل ما تحمله الكلمة من معاني الغلظة والجفاء وقسوة الطبع، فناشده أهله أن يطلقها، فقال أخشى أن أطلقها فيتزوجها غيري فتؤذيه، وأنا لا أريد الأذى لمسلم.

هنا سأسكت قليلا إحتراما لذاك النجم النقي، ولعل كلماتي لا تُحسن الثناء عليه.

....

كانت رابعة العدوية تصلي قيام الليل فاقتحم لص بيتها، وظل يبحث عن شيء يسرقه، ولم يكن عندها إلا متاع قليل فهمّ بالخروج، فانتبهت له ونادته إن كنت لصاً فلا تخرج إلا بشي، قال إني لم أجد شيء، قالت يا مسكين توضأ من هذا الإبريق وصل ركعتين، فلما قام يصلي رفعت بصرها للسماء وقالت يا مولاي: قد أتى هذا إلي فلم يجد عندي شيء، وقد أوقفته على بابك فلا تحرمه جزيل ثوابك، فلذت له العبادة فلم يزل يصلي حتى آخر الليل، فلما انتهى سألته كيف كانت ليلتك؟ قال:بخير حال، وقفت بين يدي مولاي بذلي وفقري فجبر كسري وقبل عذري، ثم خرج هائماً على وجهه.

مسعود الهمذاني كان رجل كثير الصفح، فكلما اعتذر له أحد بعد خصومة وخلاف قال: الماضي لا يُذكر، فلما مات رآه أحد أصحابه في منامه وسأله ما الذي صنعه الله بك؟، قال أوقفني بين يديه، وقال يا مسعود الماضي لا يُذكر، اذهبوا به إلى الجنة.

والله ما كنا سُذّج حين عفونا، ولا معدومي الكرامة حين جُهل علينا فأعرضنا، ماهي إلا فطرة نقية لا يبلغ عمقها إلا أصحاب القلوب السليمة، حتى لو قل أشباهنا وعشنا بين الناس غرباء، يكفينا أن طهراً تدفق في قلوبنا فدمنا أنقياء.

مخالفة الفعل للقول

قال تعالى :

" يا أيها الذين ءامنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون "

قال أحد السلف : عظوا الناس بأفعالكم لا بأقوالكم.

فمن سمع منك الكلام الجميل فليرى منك الفعل النبيل.

جاء جماعة من العبيد إلى الحسن البصري، وقالوا: يا إمام حدّث الناس في خطبة الجمعة عن عتق الرقاب، فقال: إني فاعل إن شاء الله، فاستبشروا وكان كل منهم يطمح في الحرية، فانتظروا حديث الإمام في الجمعة، ثم التي تلتها فلم يتحدث فأيسوا، وبعد عام خطب الحسن من على منبره عن عتق الرقاب، فجاءوه يعاتبونه جئناك منذ عام ولم تتحدث إلا اليوم.

فقال الحسن: انتظرت حتى أتاني مال فاشتريت به عبدًا وأعتقته، ثم حدثت الناس عن العتق.

خالد بن صفون كان جار الحسن وجليسه في مجلسه فشهد له:إنه امرئ سريرته كعلانيته وقوله كفعله، إذا أمر بمعروف كان أمر الناس به، وإذا نهى عن منكر كان أترك الناس له، ولقد رأيته مستغنياً عن الناس زاهدًا عما في أيديهم، ورأيت الناس محتاجين إليه طالبين ما عنده.

قيل لعبد الله بن عمر: توفي فلان الأنصاري.

قال: رحمه الله.

فقالوا: ترك مائة ألف.

فقال: لكن هي لم تتركه.

وقد وافق فعله قوله جاءته أربعة آلاف درهم وقطيفة، وفي اليوم التالي رأه أيوب بن وائل يشتري علفاً لراحلته بثمن مؤجل.

فذهب ابن وائل إلى بيت ابن عمر، وسأل أهله عن عطائه الذي جاءه بالأمس.

فقالوا: فرقها البارحة ولم يبت منها شيء، وألقى القطيفة على ظهره، وخرج وعاد وليست معه فسألناه، فقال: وهبتها لفقير.

فخرج بن وائل يضرب كفاً بأخرى، ثم أتى السوق وارتقى مكاناً عاليًا، وصاح في الناس يا معشر التجار ما تصنعون بالدنيا، وهذا ابن عمر تأتيه أربعة آلاف درهم فيوزعها في ليلة، ثم يصبح يستدين علفاً لراحلته.

روى البخاري في مصنفه :

يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه ـ تخرج أمعاؤه ـ فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول: بلى، كنت أمر بالمعروف ولا أتيه، وأنهى عن المنكر وأتيه.

قال سليمان الداراني: الخاسر من أبدى للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو عليل

وأنا في المرحلة الثانوية كان أحد المشرفين يتعهدنا بالنصح والتوجيه، وكان كثيراً ما يُحذرنا من خطورة التدخين، فكان يحدثنا بحماس بالغ، فكان كلامه يملأ أذني ودخانه يملأ أنفي، ما كلف نفسه أن يلقي لفافة التبغ من يده قبل أن يقتحم علينا الفصل، كنا ننتظر منهم أن يضيئوا لنا الطريق فأخذتهم العتمة لبعيد.

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي بمثله عار عليك إذا فعلت عظيم

قال ابن مسعود : من خالف قوله فعله، فإنما يوبخ نفسه.

تحضرني الآن كلمة للإمام أحمد قليلة اللفظ كبيرة المعنى، لمن يعي قلبه جدوى العمل لا القول فحسب: ما بلغني حديث إلا عملت به وما عملت به إلا حفظته.

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟

قال: هؤلاء خطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون.

كحامل لثياب الناس يغسلها وثوبه غارق في الرجس والنجس

وقع الذم هنا على تركهم لفعل المعروف مع قدرتهم عليه، وليس عن أمرهم به، وكذلك الذم لارتكابهم للمنكر،وليس عن نهيهم عنه." يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم".

فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه :

إني لآمركم بالأمر ولا أفعله، ولكن لعل الله يأجُرني فيه.

كان واعظ بالقرب من محمد بن واسع يقول:

ما لي أرى القلوب لا تخشع، والعيون لا تدمع، والأبدان لا تقشعر !

فقال له محمد بن واسع: ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك،فإن الوعظ إذا خرج من القلب وقع على القلب، وإذا خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان.

سئل ابن المبارك أي الورع أشد ؟،قال : حفظ اللسان.

فكان رحمه الله يتحفظ في كلامه وكان لا يجالس الناس إلا لحاجة،

قال له أصحابه إذا فرغت من صلاتك لما لا تجلس معنا ؟

قال أرجع إلى بيتي وأجلس مع الصحابة والتابعين وأنظر في كتبهم وأطالع آثارهم، فما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس.

الستر

قال ابن القيم :

للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس، فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

أتِيَ برجل إلى الخليفة عمر بن الخطاب ليقام عليه حد السرقة.

فقال الرجل للخليفة: دعني، فإنها المرة الأولى.

فقال عمر: كذبت ليست المرة الأولى.

فأراد الرجل أن يحرجه وينكر عليه مقولته.

وقال متجهما : هل اطلعت الغيب؟

فقال عمر : لا، لكن الله لا يفضح عبده من المرة الأولى.

أقاموا عليه الحد، وتبعه علي بن أبي طالب.

وقال: أناشدك بالله، هل هذه المرة الأولى حقا.

فقال الرجل: نعم ،إنها المرة الأولى بعد العشرين.

ربما تطمع نفسي في معصية ما، ويزين الشيطان لي الأمر، ويلقي على خواطري بظلال ستر الله الذي لا يفضح عبده من المرة الأولى.

وسبحانه ربي حيي ستير، يحب الحياء والستر.

لا أخفيك سرًا الكثير تحدثه نفسه بمثل هذا.

ولكن خطورة الأمر تكمن في شيئين.

ربما مات العبد مقيمًا على هذا الذنب، أو لا يوفقه الله للتوبة بعد الذنب.

عندما تجد رجلاً من الوجهاء يسرق من مول أو يتحرش بفتاة في مصعد، ويفتضح أمره وتكون معصيته ملء السمع والبصر، فاعلم بأن رصيده من الستر قد انتهى، وقد تجرأ على معصية الله مرارًا، فهتك الله الستر الذي بينه وبين الناس، وأصبح حديث الخلق.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة.

لا تقل رأيته البارحة يسرق أو يختلي بفلانة، حتى لا تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم، فلو سترت عليه ربما عاد إلى معسكر الشرفاء، وتلك المرأة لو هتكت سترها وحدثت الناس بأمرها، ربما سكبت ما بقي من حيائها وتمادت في فجورها، فيربح الشيطان عاهرة يغوي بها الكثير، ممن جلسوا على قارعة الهوى رهن الإشارة.

ماعز كان عبداً لسيده هزال وارتكب جريمة الزنا مع جارية لسيده، فلما لفحت حرارة الذنب قلبه، شاور أصحابه فقالوا له: تب إلى الله. ولكن هزال قال له: اذهب إلى النبي ليطهرك، فلما أقر بفعله وذهبوا به ليرجموه، قال لمن ذهبوا في رجمه دعوني، ولكنهم أقاموا عليه الحد، فلما عادوا أخبروا النبي، فقال صلى الله عليه وسلم: هلا تركتموه لعله يتوب فيتوب الله عليه.

قال الفضيل: المؤمن ينصح ويستر، والفاجر يهتك ويُعير.

لم يتحرَّ النبي عن الطرف الآخر في الجريمة، فلم يسأل ماعز بمن زنيت، ولم يسأل المرأة الغامدية عمن واقعها من باب الستر، فالأصل في الكبائر التوبة ما لم يصل أمر فاعلها إلى الحاكم. وتأمل معي في جريمة القتل تكفي الشهادة من اثنين لإثبات التهمة على القاتل، أما في جريمة الزنى، فالشهادة من أربع يصفون الفعل وصف مشاهدة فلو شهد ثلاثة وامتنع الرابع عن الشهادة، فإنه يُجلد معهم فطالما أنه يأبى الشهادة فما الذي أتى به ؟

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

" لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة "

فمن يستر على مسلم ويواري عثرته، ستر الله عليه ذنوبه ولا يفضحه بها أمام من في أرض المحشر.

ولكن هناك فرق بين الستر والتستر.

الستر :على من تاب أو يُرجى له توبة مع زجره.

التستر :على فاجر يبارز بالمعاصي ولا يرتدع.

وعن الشعبي: أن رجلا أتى عمر بن الخطاب وقال:

إن ابنتي أصابت حداً، فعمدت إلى الشفرة فذبحت نفسها فأدركتها،وقد قطعت بعض أوداجها فداويتها فبرأت، ثم إنها تنسكت وأقبلت على القرآن، وقد جاء من يخطبها، أفأخبره بما كان من شأنها ؟

فقال له عمر: أتعمد إلى ستر ستره الله فتكشفه، لئن بلغني أنك ذكرت شيئًا من أمرها لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة.

هل تساورك الدهشة وتُحدثك نفسك بشيء، ويدور في خلدك ما ذنب هذا الخاطب في أن يرتبط بمن يظنها بكرًا، وقد أسلمت نفسها من قبل للغواية ؟

أتظن أنك أغير على الدين من الفاروق عمر رضي الله عنه ؟

فقد تنسكت الفتاة وتابت والتوبة تُجب ما قبلها، وإني لأرجو أن يكون الله عز وجل قد سدد عمر في اجتهاده.

قابل النبي صلى الله عليه وسلم هزالا بعدما رجموا ماعزا، وقال: يا هزال، لو سترته بثوبك، لكان خيراً له مما صنعته به.

فينبغي على المسلم أن يتدارك إخوانه، الذين زلت أقدامهم في وحل الذنوب بالستر والنصيحة، وألا يكشف زللهم للناس حتى لا يتجرأ غيرهم على المعاصي.

يقول دخين كاتب عقبة بن عامر : كان لنا جيران يشربون الخمر، وقد نهيتهم فلم ينتهوا، فقلت لعقبة: أنا داع لهم الشرطة فقال عقبة: لا تفعل ولكن عظهم وهددهم، فوعظهم ولم ينزجروا، فجاء دخين، وقال: إني قد نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشرطة فتأخذهم، فقال عقبة: ويحك لا تفعل فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة في قبرها.

ربما يكون بينك وبين جارك شيء من الشر، ثم ينكشف لك شيء من فحشه، فتحدثك نفسك بأن تنتقم منه وتفضحه وتكشف عواره للناس، ولكنك تأبي حسبة الله فتأتيك المكافأة.

قال العلاء بن بدر :

إن الله عز وجل لا يعذب قوماً يسترون الذنوب.

فاحمد الله الذي عافاك مما ابتلى به غيرك،

واجعل كلمتي هذه نُصب قلبك قبل عينيك،

عيوب الناس تُطوى لأ تُروى.

هتك ستره بيديه

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه.

فالمجاهر بالمعصية استحق العقوبة، لأنه استخف بحق الله الذي عصاه، وبحق المجتمع في العيش في ظل الفضيلة، فمن عصى ولم يجاهر يرجى له العفو، وكثيرا ما نرى شاباً يتباهى على أقرانه، بذنوب خلواته ويهتك ستره بيديه، فلو سكت لكان خيراً له ولغيره، حتى لا يتجرأ أحد على معصية الخالق.

كانت الإذاعة المصرية في التسعينات تقدم برنامج "اعترافات ليلية"، كان المتصل يكشف ستره ويبث شكواه أو خيانته أو مجونه، وكان البرنامج يتناول مشاكل الشباب والمراهقين العاطفية والاجتماعية، حتى تم منع البرنامج في أكتوبر عام ١٩٩٨.

ومن هتك الأستار أن تضع المرأة ثوبها في غير بيت زوجها، في صالة الجيم أو في محلات الأزياء، وربما يحدث ما لا يحمد عقباه وتكون العاقبة وخيمة، في زمن انحرفت فيه الضمائر وعم الفساد.

إنّ نساء من الشام دخلن على عائشة رضي الله عنها فقالت: أنتن اللاتي تدخلن الحمامات، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها.

وفي الحديث تحذير شديد للنساء من هذا الأمر، حتى لا يقطعن ما بينهن وبين الله من الستر، والتي تبتغي رضا الله تتورع عن هذا.

خاصية تتبع:

لعلك تمتلك هذه الخاصية على هاتفك، فتشعر بالأمان سيتم رصد جهازك في حالة فقده، أو يتيسر لك مراقبة خطى أولادك على سبيل الاهتمام والحماية، ولعلك تقول في نفسك، ما داعي الحديث عن هذه الخاصية في سياق الحديث عن الستر، لعلك تصل للإجابة عندما تسمع هذا النداء.

صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ونادى:

يا معشر من أمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته.

فمن راقب الناس، وتتبع زلاتهم وتصيد هفواتهم ليفضحهم بها، سيسلط الله عليه من يتتبع عورته، ويشيع مساوئه على الملأ، فالجزاء عند الله من جنس العمل.

روي عن بعض السلف أنه قال:

أدركت أقواماً لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس فذكر الناس لهم عيوباً، وأدركت أقوامًا لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم.

قال سفيان بن عيينه: لولا ستر الله عز وجل ما جالسنا أحد.

فلك أن تعلم أن الإنسان ابن الخطيئة، والعصمة ليست إلا للأنبياء، فلو كانت بقاع الأرض حلالا، وما حُرم علينا إلا موضع خف لوقعنا فيه، فكل ابن آدم خطاء فاحمد الله الذي عافاك من خطايا غيرك، ودع أمر العباد لربهم، فلم يبعثك الله رقيباً عليهم، فخل بينهم وبين خالقهم عساه يرحمهم.

كان شرحبيل بن السمط على رأس جيش، فقال لجنوده إنكم نزلتم أرضاً كثيرة النساء والشراب ــ الخمر ــ فمن أصاب منكم حداً فليأتنا نطهره، فأتاه بعض جنوده، وبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب إليه أتأمر الناس أن يهتكوا ستر الله الذي سترهم به.

خبرني بربك، ما الذي يجنيه هاتك الأستار من كشف سوءات كان يجب أن تُصان؟ وكسر هامات طالما رفعت بعز الطاعة، فهل ينتظر من الدولة تكريم؟ أنه فضح هذا أو شهّر بتلك، بل عليه من الوزر ما الله به عليم، بعدما هيأ لحوم إخوانه لتلوكها ألسنة اللئام، بل ليته يعي أن الأيام دوارة، ولا أحد يثبت على شيء، فكم من متورع زلت قدمه وبالشهوات هام، وكم من عاص تنسك وتابع التهجد والصيام، فلو اغتر كاشف الأستار بحال عبادته، فليعلم أن الدنيا لا تثبت على حال، فلو صدرت منه هفوة فلن يجد من يمد مظلته ليستره، فكل ساق سيُسقى بما سقى.

قال صلى الله عليه وسلم: أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود.

أهل الفضل ومن يندر منهم الشر، نتجاوز ونستر هفواتهم حتى يبقى ماء وجوههم، فلا تسقط هيبتهم ويبقى فضلهم.

قيل لرجل من التابعين اسمه أبو تميمة :

كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل، ذنوب سترها الله علي لا يستطع أحد أن يُعيرني بها، ومحبة في قلوب الخلق لا يبلغها عملي.

قد يستر الله على عبد ذنباً، بينما يفضح غيره على نفس الذنب، موظف أخذ من عهدته مالاً لظروف طارئة، فستره الله ومر الأمر بسلام ، والآخر صنع الشيء نفسه فأحالوه للتحقيق، ولا عجب في ذلك، فقد جاء في الحديث:

"من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة " فطالما أنك لا تفضح الناس بزلاتهم، سيرخي الله عليك ستره لو زلت قدمك مثلهم.

بل دعني أنقل لك هذا المشهد الجليل من عرصات يوم القيامة.....

الله تعالى يُدني العبد المؤمن منه يوم القيامة، ويقربه إليه ليعرض عليه ذنوبه فيضع عليه كنفه أي ستره، حتى لا يفتضح أمره بين الناس، ويقول له: أتعرف ذنب كذا ؟ يسأله عن ذنوب تلطخ بها في دنياه فيعترف ويُقر، ويظن في نفسه أنه هالك، فيتداركه عفو الله وتأتيه النجاة، ويقول الرحمن سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم.

يروي أحد الدعاة إلى الله، بأن رجلاً حين دخل على إمراته ليلة العرس، لم تكن بكراً بل كانت تحمل في أحشائها ثمرة خطيئتها، فرضي بقدره وعاش معها حياة منعزلة عن الأهل والجيران، وحين اقترب موعد الولادة أتى بقابلة من بلدة بعيدة ،ثم اخذ الولد ووضعه على باب المسجد في صلاة الفجر، وتمهل بعدما انتهى من صلاته، ثم خرج فوجدهم يتحدثون عمن يكفله، فقال أنا والله اشتهي الولد وأعاده إلى أمه كي تقر عينها، وقد جاءته البشرى من إمام المسجد، فقد رأى النبي صل الله عليه وسلم في منامه، وقال له بلغ صاحبك فلان بأنه رفيقي في الجنة.

لو حدّث الأنام بما صنعت، ووضع رأس أهلها في الوحل ما استحق البشرى، ولكنه أحسن إليها فأحسن الله إليه، بجوار نبيه في الفردوس الأعلى.

ولعل الله أن يسترنا إن زلت بنا الأقدام،فقد كان في بني إسرائيل من يرتكب ذنبًا في ستر الليل، فيُصبح مكتوباً على بابه الذنب الذي ارتكبه والكفارة المطلوبة.

فالحمد لله الذي رآنا على الذنب فسترنا، ورحم عجزنا وضعفنا، وأسأله سبحانه ألا يكشف ستره عنا يوم أن نلقاه.

الخشية

توفى عمر بن عبد العزيز ، وكان له منزلة في قلوب الناس فأتى رجل إلى بيته ، وسأل زوجته فاطمه عن عمله.

فقالت: والله ما كان بأكثر الناس صلاة ولا بأكثرهم صيامًا، ولكن ما رأيت أحدًا أخوف لله من عمر، فقد كان يذكر الله في فراشه فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف، حتى أقول : ليُصبحن الناس ولا خليفة لهم.

قال الحسن البصري :

إن المؤمن يُصبح حزينا ويمسي حزينًا، ولا يسعه غير ذلك، لأنه بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيبه فيه من المهالك.

جزع محمد بن المنكدر عند موته، فقيل له: لم تجزع ؟ فقال: أخشى آيه من كتاب الله " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون "،فأخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

لما احتضر سفيان الثوري جعل يبكي، فقيل له: يا أبا عبد الله عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك.

فقال: أَوَعَلَى ذنوبي أبكي؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

بكى الحسن ذات مرة فقيل له: ما يُبكيك ؟

قال: أخشى أن يطرحني غدًا في النار ولا يبالي.

ولما عوتب في كثرة بكائه قال: بلغني أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة، حتى تعتق رقبته من النار.

كان وسيم البلخي يقول:

أوه للقبر وظلمته، وللحد وضيقه، كيف أصنع ؟!

لم يكن الخوف مجرد كلمات تلوكها الألسنة، بل كان واقعاً تحياه القلوب، فبكت العيون وانطرحت الأرواح على أعتاب النعيم تارة، وعلى أعتاب الجحيم تارات.

كان يحيى بن سعيد يقول في مجلسه: " اللهم سلم، سلم " يخشى حصاد لسانه.

رأى الفضيل بن عياض ابنه يمسح كفة الميزان بطرف ثوبه، فسأله لم تفعل ذلك ؟ فقال: حتى لا أبيع غبار الطريق للمسلمين.

قال ابن المبارك : استعرت قلماً بأرض الشام، فذهبت على أن أرده فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام حتى أرده على صاحبه.

قال الحسن رأيت في منزل ابن المبارك حماما طيارة، فقال لي ابن المبارك: كنا ننتفع بفراخ الحمام من قبل أما اليوم فلا. فقلت: ولم ذلك؟ قال: اختلطت بها حمام غيرها فتزوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

كان لأبي الدرداء رضي الله عنه جمل يُقال له دمون، فلما حضرته الوفاة قال: يا دمون لا تخاصمني عند ربي، فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق.

سردت لك كلمات عميقة عن الخشية ولكن استوقفني ما قاله يوسف بن أسباط :

كان سفيان الثوري إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم من خشيته لله عز وجل.

رحم الله سفيان فقد تجاوز دموع العين ووجل الفؤاد،فخشع وتصدعت أركانه.

تنفس الحسن في المسجد تنفسًا شديدًا ثم بكى حتى ارتعدت مِنكَبَاهُ ثم قال:

لو أن بالقلوب حياة لو أن بالقلوب صلاحًا، لبكيتم من ليلة صبيحتها يوم القيامة.

إلهي لستُ للفردوس أهلًا ولا أقوى على نار الجحيم

فهب لي توبة واغفر ذنوبي فإنك غافر الذنب العظيم

قال عمر بن عبد العزيز في خطبته: أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عبثاً ولم تتركوا سُدى، وإن لكم معادًا يحكم الله فيه بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحُرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واعلموا أن الأمان غدًا لمن خاف الله اليوم وباع قليلاً بكثير وفانيًا بباق.

فكان رحمه الله يجمع العلماء كل ليلة ويذكرون الموت وأهوال القيامة، ويبكون كأن بين أيديهم جنازة.

روى النبي عن ربه جل وعلا أنه قال:

" وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ".

قال أحد السلف : المؤمن جمع إيمانًا وخشية مع عمله، والمنافق جمع إساءة وأمنًا مع تفريطه.

ما الخشية إلا خوف أتى ملتحفاً بعباءة الحب، والخوف باعث على العمل، فكان ابن الخطاب يقول: إذا نمت بالنهار ضيعت الرعية، وإذا نمت بالليل ضيعت نفسي، وكان في وجهه خطان أسودان مما بكت عينيه من خشية الله.

تختلف أراء الناس ونظرتهم نحو مقام الوجل والخشوع، وكأن أحدهم يقول ما داع البكاء ونحن أقرب للطاعات ونجتنب ما استطعنا المنكرات، وقد قال صل الله عليه وسلم" لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً وما تلذذتم بالنساء على الفرش.." وقد قال الحسن البصري اغسلوا أربعاً بأربع، اغسلوا وجوهكم بدموع الندم، واغسلوا ألسنتكم بذكر خالقكم، واغسلوا ذنوبكم بالتوبة واغسلوا قلوبكم بالخشية. فمهما كان المرء ذا شخصية مرحة، فعليه أن يدع الفرصة للوجل أن يشق الطريق إلى قلبه، فقد كان محمد بن سيرين يضحك بين الناس قهقهة بالنهار، وإذا جن عليه الليل بكى كأنما قتل أهل القرية جميعاً.

عابد من بني إسرائيل عبد الله عشرين سنة، ثم انتكس وزلت قدمه في حفر الذنوب فعصى الله عشرين سنة، فنظر يوماً في المرأة فوجد الشيب يزحف في رأسه، فقال: يا رب أطعتك عشرين وعصيتك عشرين فإن عدت إليك تقبلني ؟

فلما نام من ليلته سمع هاتفاً يناديه أحببتنا فأحببناك، وعصيتنا فأمهلناك، وتركتنا فتركناك، وإن عدت إلينا قبلناك.

قيل لعمر بن عبد العزيز: ما كان سبب إنابتك إلى الله ؟

قال: أردت أن أضرب غلاماً لي.

فقال لي: اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة.

سمع الفاروق رضي الله عنه تالياً يقرأ: " إن عذاب ربك لواقع ".

فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعاده الناس، وما كحلت بالسهد جفونه ولا أمرضته إلا آية، نسمعها ليل نهار ولا نلتفت لوعيد الله فيها، وكأن معنا صك أمان بالنجاة من غضب الله يوم أن نلقاه.

قال الحسن البصري لأحد ولاة يزيد بن عبد الملك بن مراون :

خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، فإن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، ويوشك أن يبعث إليك ملكا يزيلك عن عرشك، ويُخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك.

قال مطر الوراق: كأن الحسن كان في الآخرة فجاء يتكلم عنها وعن أهوالها.

قال ابن القيم - رحمه الله - :

الوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة.

قال صلى الله عليه وسلم :

لا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع.

قال أحد السلف :إن الله توعدني إن عصيته أن يحبسني في النار، ولو توعدني أن يحبسني في الحمام لكان حرياً ألا تجف لي عين.

قال الحسن البصري: ابك في ساعات خلوتك، لعل مولاك يرحم عبرتك، وتكون من الفائزين.

مر رجل من الصالحين على رجل من الأثرياء، وهو يشوي شاة على النار، وظل ينظر للشاة ويبكي، فسأله صاحب الشاة لم تبكي هل تريد شيئًا من اللحم أعطيك إياه؟ فقال: أنا أبكي على ابن آدم، فتعجب صاحب الشاة وسأله وما علاقة ابن آدم بتلك الشاة التي تشوى على النار ؟ فقال: تلك الشاة دخلت النار وهي ميتة، وابن آدم يدخل النار وهو حي.

قال ابن عمر : لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار.

رمدت عين رجل من السلف فقال له الطبيب أعالجك بشرط ألا تبكي قال: لا خير في عين لا تبكي، فقال الطبيب تصاب بالعمي. فقال: العمى لها شهادة.

قال ابن رجب رحمه الله : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك الحرام إذا قدر عليه.

قال عمر بن عبد العزيز للحسن البصري عظنا يا تقي الدين.

فقال الحسن : يا أمير المؤمنين صم عن الدنيا وأفطر على الموت، وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة.

تعال أخبرك كيف كات التطبيق العملي لهذه الوصية، ولو أذنت لي سأدع المجال لربة البيت تخبرك بأمر زوجها،قالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان : اشتهى عمر بن عبد العزيز عسلاً ، ولم يكن عندنا فوجهنا رجلًاً على دابة من دواب البريد إلى بعلبك، فاشترى لنا وأخبرت عمر فشرب منه، ثم سأل: من أين لكم هذا العسل؟ فقلت وجهنا رجلًاً على دابة من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك فاشترى لنا.

فأرسل عمر إلى الرجل فجاءه فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه واردد لنا رأسمالنا، وانظر الفضل فاجعله في علف دواب البريد، ولو كان ينفع المسلمين قيء لتقيأت.

رتعت أيديهم على أموال الناس وما تحرك فيهم ساكن، وقد أخرج أبو بكر لقمة من فمه أتى بها غلامه من كهانة، ولم يكن يعلم فأجهد نفسه كي يُخرجها وقال: والله لو لم تخرج إلا وروحي لأخرجتها وروحي، فقيل له: ترفق بنفسك لم تكن تعلم فقال: أخشى أن تنبت في جسدي. وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " أي لحم نبت من سحت فالنار أولى به ".

املاً بها صدرك، الخوف المحمود ما يكون باعثاً لك على فعل الطاعات، مانعا لك من فعل المحرمات، فقد كان عمر يضع يده على النار، ويقول: ألك صبر على هذا يا ابن الخطاب؟ وليس المراد بالبكاء الصراخ والصياح ورفع الصوت، ولكن زجر الجوارح حتى تكف عن المحارم، فيقمع العبد شهوته ويخشع قلبه.

وقد قال عبد الله بن مسعود في قول الله عزوجل " إنما يخشى الله من عباده العلماء "،ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية، فالعلم الحقيقي نور يقذفه الله في القلب فينتفع به صاحبه، فقد تجد الرجل يحفظ الأدلة والأحكام وربما تجرأ وأباح ما حرم الله، أو أنكر معلوم من الدين بالضروره فيضطرب الناس في أمر دينهم، وقد قال مجاهد رحمه الله: الفقيه من يخاف الله وإن قل علمه.

أخذ بعقلي وبقيت مندهشاً من قول فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز: ما اغتسل عمر من جنابة أو احتلام منذ تولى الخلافة. ثقل الأمانة الملقاة على عاتقه وشعوره بوطأة الأمر، أحرق في قلبه مواضع الشهوة المباحة فتزكى، كان قد اقترب من الاربعين حين تولى الخلافة، وطيلة عامين وخمسة أشهر لم تحركه بواعث الشهوة ليأتي زوجته، فقد آثر ماهو خير وأبقى وعمل لما بعد الموت،بالرغم كان أيام شبابه يرتدي الثوب مرة واحدة، ويمشي بتدلل حتى كانت الجواري يتعلمن مشيته، ويضع العطر ويمشي في الطرقات ويمضي فيقول الناس مر عمر من هنا، فتبدل حاله وصار له مع الله حال، فرعى الذئب الغنم في عهده وفاض المال فقضى ديون الغارمين وتزوج الشباب، فكان بورعه وتقواه مجدد الدين في القرن الأول الهجري.

سعيد بن جبير قبل موته بسنة لم يره أحد يضحك أو يبتسم أبدًا.

فسئل عن ذلك، فقال: كيف أضحك والنار قد سعرت؟، والسلاسل والأغلال قد أعدت، والصراط قد مد على جهنم، ولا أدري أناج أنا أم لا.

أنسيت لقاء الله واللحد والثرى ويوما عبوسًا تشيب فيه النواصيا

فلا تغتر بطول الأمل، وتهيأ للرحيل فقد دنا الأجل، " واقترب الوعد الحق "، ولا تكن شاة الراعي أعقل منك، تزجرها الصيحة وتطردها الإشارة،فكم من إشارة تأتيك ولا تُبال، مات الجار والرفيق وتردى الأخ والصديق، وتبدل الحال ووهنت الجوارح " واشتعل الرأش شيبا "، وما زلت بدنياك معتصماً، حتى" الهاكم التكاثر " فاحتوشتك الغفلة وأخذت في التفريط، وكأنك في بحر الدنيا غريق، فانتبه وعد إلى مولاك، ومهما عظمت ذنوبك " أقبل ولا تخف "، واجتهد في الطاعات واتخذ صحبة صالحة تُعينك على أمر دينك ودنياك،" إني لك من الناصحين " فما هي إلا أيام ونمضي، وستنتهي حياة جيل بعد جيل، ويقف الجميع بين يد الملك الجليل، " وقفوهم إنهم مسئولون " عن الكثير والقليل.

قد جاء في الأثر: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

فهلا انتبهنا الآن، فمن مات اليوم شيّع معنا جنازة البارحة،وكفى بالموت واعظاً.

قال حاتم الأصم: عرضت على نفسي عرضين الجنة وما فيها من نعيم، والنار وما فيها من عذاب. فقالت: أريد أن أتوب إلى الله.

فحق لها أن تتوب وترجع عن الذنوب، فقد قال النبي صل الله عليه وسلم لأصحابه " لو أن في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من جهنم فتنفس فأصابهم نفسه لأحترق المسجد بمن فيه "

أغمض عينيك بعد هذا المشهد المروع، وسل الله العافية، فإن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان من نار يغلي منهما دماغه.

عبد الملك بن مروان سأل منصور بن عمار :

من أعقل الناس؟ ومن أجهل الناس ؟

فقال: أعقل الناس محسن خائف.

وأجهل الناس مسيء آمن.

ثمرات الخشية :

قيل لأحد العباد: أتعبت نفسك. فقال: راحتها أريد.

يرجو الكرامة يوم الحسرة والندامة، فتجده يجتهد في الطاعة مع ترك المحارم.

قال تعالى: " ولمن خاف مقام ربه جنتان ".

قال تعالى : " ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ".

قال تعالى: " إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ".

قال ابن القيم : من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيه، وقره الله في قلوب الخلق أن يذلوه.

قال محمد بن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده، ويحفظه في داره وفي دور حوله، ولا يزالون في حفظ وعافية مادام بين ظهرانيهم.

قال سعيد بن المسيب لإبنه: والله لأزيدن في صلاتي رجاء أن أحفظ فيك.

يقول الله عز وجل : " وعزتي وجلالي ما من عبد أثر هواي على هواه، إلا أقللت همومه وجمعت له ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واستجرت له من وراء كل فاجر ".

المؤمن كطائر له جناحان الخوف والرجاء، فيخلط حياته بمزيج منهما مع تغليب جانب الخوف، فإذا نزلت به السكرات هبط هبوطاً اضطراريًا على جناح الرجاء، " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ".

كان عتبة الغلام خاشعاً قانتاً كثير البكاء، فعاتبه أحد أصحابه في ذلك

فقال عتبة : إنما أبكي على تقصيري.

إلهي إن كنت لا تعفو إلا عن أهل طاعتك، فلمن يفزع المذنبون ؟

وإن كنت لا ترحم إلا أهل تقواك، فبمن يستغيث المسيئون ؟

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على القبر بكى، فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي، وتبكي من القبر؟ فقال سمعت النبي صل الله عليه وسلم يقول:

" القبر أول منازل الآخرة فمن نجى منه كان ما بعده أيسر، ومن لم ينج منه كان ما بعده أشد "،،اللهم ارزقنا الخشية منك كأنا نراك، وفي الآخرة متعنا برؤياك.

فتنة النساء والخمر والمال

قال علي بن أبي طالب:

بُنيت الفتنة على ثلاث:

النساء، وهن فخ إبليس المنصوب.

والخمر، سيفه المرهف.

والدرهم والدينار، وهما سهماه المسمومان.

فتنة النساء:

سعيد بن المسيب صلى الفجر طيلة خمسين سنة بوضوء العشاء، وكان يقول وقد تجاوز الثمانين من عمره: ما شيء أخوف علي من النساء.

قال صلى الله عليه وسلم:

"ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء".

المرأة أخت وأم وزوجة وابنة وذات قرابة، وقد أوصانا بها النبي خيرا.

وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " ومن يتأمل سير السلف الصالح يجد أن الكثير من العلماء ربتهم أمهاتهم.

وتأمل حال الإمام البخاري فقد بصره وهو طفل صغير، وعجز الأطباء عن علاجه، ولو عاش هكذا ربما ما انتفعنا بعلمه ولا سمع به أحد، ولكن أمه لم تعجز عن الدعاء، فتوسلت إلى الله كثيراً، وكانت امرأة عابدة صالحة، فرأت في المنام الخليل إبراهيم عليه السلام وقال لها: " قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك ".

قد يتوهم البعض من أحاديث فتنة النساء، بأن المرأة خطر مميت أو لغم قابل للانفجار، إنما حقيقة الأمر أن الشارع أراد أن تكون علاقة الرجل بالمرأة منضبطة بالدين، وانظر إلى حال موسى عليه السلام مع الفتاتين، " فسقى لهما ثم تولى إلى الظل" سداً للذرائع ودفعاً لكل الخواطر السيئة، وكرماً منه فلم ينتظر جزاءً للخير الذي صنع ومضى مسرعاً، أما نحن فنقف ونتمهل ونتبادل النظرات والضحكات وأرقام الهواتف، فكان لنا مآرب أخرى، توكأنا على عصى المعروف لنظفر بها.

وقد حذرنا رسولنا الكريم: إياكم والدخول على النساء قال رجل من الأنصار: أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت.

فبدعوى التحضر والثقة وقعت الفتنة وانتهكت الأعراض، من هذا الإختلاط الآثم حتى اشتكت إحداهن بعين باكية وقالت:

يأتي والد زوجي إلى بيتنا وفي غالب الأحيان يكون زوجي حاضراً، فيتلطف معنا في حديثه ومداعباته، وأحيانًا يستأذن ليدخل بيت الخلاء، وقد لاحظت أمرا غريبا مرة بعد أخرى، لا أجد ملابسي الداخلية التي كانت معلقة أو خصلات شعري على الفرشاة، وأنا أخشى عواقب الأمور.

ما معنى الحمو ؟ هو قريب الزوج يدخل البيت بدعوى القرابة، وجاء وصفه بالموت لأن في دخوله الهلاك ووقوع الفاحشة التي يُرجم فاعلها.

تفضل بالعودة معي إلى شكاية المرأة، يأتي والد زوجها إلى البيت فتجلس معه غير متحفظة في ثيابها وتبسمها ومرحها، فنظر لها والد زوجها بعين الشهوة وتمناها لنفسه، وتأججت فيه رغبته فذهب إلى كاهن ليصنع له تميمة، تجعلها تتعلق به وتجيبه إلى رغبته، ويكون ما بينهما مواقعة بالرضا، فطلب منه الكاهن شيئًا يخصها كملابس أو خصلات شعر ليعقد عليها سحره، والآن تخشى من عاقبة الأمور بعدما فطنت لمراده الخبيث، وقد شرعت له الباب أولا وتساهلت في وجوده غير عابئة بشيطانه، ولم تظن بأن الطعنة ستأتيها ممن تناديه أبي، وقد أودى الرجل بدينه من قبل حين ذهب للساحر. وقد روي: " من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ".

قرأت في بعض المصادر، أن الأميرة ديانا كانت على علاقة بمدرب الخيول والحارس الشخصي والسائق، ثلاثة يعملون في خدمتها وهي أميرة، ولكنها سقطت معهم في خلوتها.

طالعتنا الصحف في الأيام القليلة الماضية، بأن محكمة جنايات فوه بمحافظة كفر الشيخ، أصدرت حكمًا بإعدام زوجة قتلت زوجها بعد علاقة أثمة مع شقيقه، المرأة تنصلت من معان الشرف، والآخر طوعت له نفسه قتل أخيه، فكان القصاص الرادع منهما.

دخل الشيطان بينهما من هذا الباب وتساهل المجتمع في نظرته للحمو، وألبسوا الأمر ثوب الدين وقالوا صلة رحم وتزاور، وما هكذا تورد الإبل.

جريمة هزت المرج بالقاهرة زوجة تقتل زوجها بمساعدة عمها، كيف بدأت خيوط الجريمة؟ لم تبدأ بكلمة نابية أو وشاية كاذبة، بل كانت البداية بصلة رحم، ذهب العم ليزور ابنة شقيقه فاستقبلته، وكان زوجها في العمل، وقبل أن أسرد لك بقية الوقائع دعني أذكّرك بما قاله عمر بن عبد العزيز: لا تخلون بامرأة ولو كنت تحفظها القرآن، أنا لا أعلم من أشعل الحطب في البداية، فطيلة ستة أشهر بينها وبين عمها كما بين الزوج وزوجته، وفي إحدى الأيام عاد الزوج المخدوع إلى بيته مبكرًا.

فتح باب الغرفة فصعق بهول ما رأى، فأسرع إلى المطبخ ليأتي بسكين، فأفرغ العم الرصاص في رأسه، وارتدى ملابسه سريعًا وطلب منها أن تصرخ وتستدعي الجيران وتقول قتل اللصوص زوجي، ذهبت إلى قسم شرطة المرج وقدمت بلاغا فبدأ التحقيق والتحري، وتم تفريغ الكاميرات فتأكد كذب الزوجة، وتم القبض على عمها، بعدما رصدته الكاميرات يخرج مسرعًا من العقار، وبعد التحريات والمواجهة اعترفا بالجريمة.

وأي هلاك بعد هذا؟ وأي موت أشد مما رويت؟ وما كان ذلك إلا بعدما تخلينا عن تعاليم الدين والشرع الحنيف، " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"، لو سلم الزائر من على الباب ومضى، بعدما علم أن البيت يخلو من سيده لكان خيراً له، ولو كان قد أتى من آخر الدنيا يرجع اتقاء الفتنة.

قال سفيان الثوري: ائتمني على بيت مملوء مالاً، ولا تأتمني على جارية سوداء لا تحل لي.

قال أنس رضي الله عنه:

إذا مرت بك امرأة فأغمض عينيك حتى تجاوزك.

قال محمد بن سيرين: إني لأرى المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي، فأغض طرفي عنها. فقال قائل ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين وهو نائم.

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

أحد الدعاة كان ضيفاً على قناة الناس الفضائية، فتحدث بأسى عن امرأة لعوب بالحي الذي يسكنه، وقال غوت الكثير من الشباب وسقتهم من بئرها العكر، فكانت مرحاضاً لنفايات غرائزهم، فأراد أحد مشايخ الحي أن يتصدى لمجونها، فذهب لبيتها وذكرها بالله غير مرة، لتكف أذاها عن الناس ودعاها لتسلك سبيل الفضيلة، فاستبشر البعض بصنيعه فلعلها تنتهي عن فجورها، وتتابعت زيارته لها حتى كاد يقع في فخها وتلحق به أذاها، لولا أن أدركناه.

قال صلى الله عليه وسلم : " إن المرأة تقبل في صورة شيطان ".

وقد جاء بالتشبيه لها بالشيطان في صفة الوسوسة والإضلال والغواية.

..." ألا في الفتنة سقطوا ".

ذكر ابن حزم الأندلسي في كتابه "طوق الحمامة" قصة امرأة باحت بجرمها قائلة: ركبت بحر القلزم عائدة من الحج، وأنا خامسة نسوة كلهن قد حججن، وكان في بعض ملاحي السفينة رجل مديد القامة واسع الأكتاف، فرأيته أول ليلة قد أتى إلى إحدى صواحبي فأمكنته من نفسها، ثم مر عليهن كلهن في ليالي متواليات، ولم يبق له غيري فقلت في نفسي لأنتقمن منه، فجاء إلى غرفتي فضربته بحديدة على رأسه، فارتاع وسقط وقام لينهض فأمسكته، وقلت حتى أخذ نصيبي منك.

قال ابن القيم : العشق مرض من أمراض القلب، فإذا تمكن واستحكم عز على الأطباء دواؤه، وأعيا العليل داؤه، ولا يُبتلى بعشق الصور إلا القلوب الفارغة من محبة الله المعرضة عنه.

ربما على جوالك بعض من هذه الصور، ومثل هذه المشاهد التي تؤجج رغباتك، فبادر بحذفها ليسلم لك دينك، ويستقيم على الطاعة قلبك،فلا تك عوناً للشيطان على نفسك، " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ".

في القرن المنصرم ارتقى مؤذن منارة المسجد ليؤذن لصلاة العصر، فاطلع في البيت المجاور فرأى فتاة جميلة، فنزل ولم يؤذن ودخل عليها الدار، فقالت: ما شأنك؟ قال: أريدك، قالت: أنا لا أجيبك إلى ريبة. قال: أتزوجك. قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك. قال: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل، فتنصر ليتزوجها وأقام معهم في الدار، وعند المغرب طلبوا منه أن يرتقي السطح ليأتي لهم بحاجة، فسقط مغشياً عليه، فلا بقي على دينه ولا بالحسناء ظفر.

هل وجدت في نفسك شيئًا وخشيت الفتنة وسوء الخاتمة؟ فربما كان يعاني هذا الأخير من دسيسة باطنة كالحسد والكبر، أما من حقق الإخلاص وخالطت قلبه بشاشة الإيمان، فالله تعالى أعدل وأرحم من أن يخذله عند موته.

قد يقول قائل: الناس غرقى في الهوى لم ينج غر أو إمام، فقد عمت الفتن واستشاط البلاء، واحترق الجميع بشرر الغواية.

ولكني سمعت من قصص الثبات الكثير، وقرأت عدداً ربما وفير، ولكني توقفت عند قصة أبي بكر المسكي، التي ذكرها ابن الجوزي في كتاب "المواعظ والمجالس".

كان بطل القصة شاباً وسيمًا قال له أصحابه: إنا نشم منك رائحة المسك على الدوام، فما سببه ؟

فقال: منذ سنوات لم أضع مسكاً ولا طيباً، ولي في ذلك قصة، فقد كنت أتجول ببضاعتي، فاحتالت علي امرأة وقالت: معك البضاعة الفلانية؟ قلت: نعم. فقالت: تعال أشتري منك، فدخلت الدار فأسرعت إلى الباب وأغلقته وقالت: إما أن تقع علي أو أصرخ فتأتي الشرطة فتقتادك، ويزج بك إلى السجن، فتحيرت في أمري، وضاقت بي الحيل فقلت: دعيني أدخل الخلاء، فأخذت القذارة ولطخت بها نفسي وخرجت، فتقززت مني المرأة وطردتني من بيتها، وقالت: اخرج يا مجنون ومضيت إلى بيتي فاغتسلت ونمت، فسمعت هاتفاً يقول لي: فعلت ما لم يفعله أحد غيرك لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة، فأصبحت والمسك يفوح مني.

ما كان الرجل نبيًا معصومًا ليمتنع عن مواقعتها، ولا مسلوب الرجولة ليعجز عن وطئها، ولكنه كان يخشى الله ويطمع فيما عنده من النعيم، فلم ير برهان ربه، ولكنه أبى وصرخ في نفسه مرددا: إني أخاف الله، أعيته الحيل حتى لطخ جسده راضيًا مترفعا عن أذاها، فنجا من تنورها وأتته المكافأة وفاح المسك.

إجراءات احترازية :

ـ الصيام وقاية من هياج الشهوة :

" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء ".

ـ تجنب الخلوة بالمرأة: " لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما "

ـ دفع الخواطر السيئة والأفكار الشهوانية، وتذكر عذاب الزناة ونعيم المتقين.

ـ احذر كل الحذر من المواقع والصور.

ـ صدق اللجوء إلى الله رب العالمين، فهو يجيب من دعاه.

سُئل النبي عن نظر الفجأة، فقال: " اصرف بصرك ".

أنشد عنترة الذي عاش في الجاهلية

أغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يُواري جارتي مآوبها

فما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع، فلا تستبعد المسافة بين زنا العين وزنا الفرج، فالمسافة قد تطول أو تقصر على قدر عزمك ورحلة صمودك، والشيطان لا يمل وله سياسة بارعة في استدراجك، فيضع في مخططه أهدافاً صغيرة توصله لغايته، كما فعل مع برصيص العابد، فكم من نظرة فتنت عابدًا وجرته بأهدابها إلى الحرام، وبدّلت حاله من العفة إلى الآثام.

قال ابن القيم:

العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته، وإذا أطلق العبد بصره أطلق القلب شهوته.

قالت أستاذة جامعية تدرس الجنس في إحدى جامعات أوروبا وجدت علاج الزنا في الكتاب المنزل على محمد في قوله: " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ".

قدّم الله عز وجل غض البصر على حفظ الفرج، حيث النظر بريد الزنا،فمن غض بصره خمدت شهوته واستقام له قلبه وحفظ غريزته، وقد انتشرت في هذه الآونة الصور الفاتنة في الإعلام والهواتف والمجلات والمنتجات التجارية، فنسأل الله السلامة من فتن العصر.

وقد قال صلى الله عليه وسلم :

" لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية ".

فمن غض بصره أنار الله بصيرته، وحباه الله بنور العلم وصدقت فراسته.

جائزة ملكية لمن غض بصره، تجعل للحرمان لذة وطعم لا تقاومه القلوب.

روى الحاكم فيما أخبر به النبي عن الرب العلي : " إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها من مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه ".

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من غض بصره عن النظر الحرام، زُوج من الحور العين.

في بلدة ريفية نشأ شاب في طاعة الله، يجتنب المنكرات ويغض قلبه عن الشهوات، عاش ملتحفاً بالفضيلة حتى مات في مقتبل عمره، أراد أصحابه أن يُعجلوا بدفنه، فأبى عمه القيّم على أمره وقال سنرجيء الدفن إلى الغد، حتى يتسنى الحضور لأقارب بعدت ديارهم، ثم غلب النوم عيناه فلما انتبه من نومه قال ادفنوا ابن أخي الأن، فإني رأيت إمراة جميلة في المنام، تقول عجّل بدفنه فقد اشتقت إليه.

قال صلى الله عليه وسلم:

".... فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ".

إجراءات وقائية لسلامة المرور:

ـ لا تستديم النظر إليها.

ـ تحفظ في كلامك ولا تمزح.

ـ ولا ترفع التكليف بينكما في الخطاب.

لم يبق في جعبتي إلا سؤال لدعاة التبرج :

هل في كشف المفاتن من حضارة بها نفاخر؟ أم ظننتم بإثارة الغرائز سنبني صروح المجد وعلى الأعداء نكاثر؟ فلو تمايلت عندنا كل مليحة فلن يتعكر صفو أوروبا، أبداً لم يكن التعري عنوانًا للرقي، ومهما تشعبت الأراء فلن نجد سبيلاً للعزة إلا على درب الفضيلة، فبعدما تخلى الغرب عن منظومة القيم، وقع الرجل على ابنته ومحارمه فانتهى بهم الحال إلى قعر الفجور،عواقب المساكنة ومقارعة الخمر وصلت بهم إلى الدرك الأسفل من الانحطاط، فلن تعرف أوروبا للطهر أمكنة إلا في رحاب الأندلس، وبيني وبينكم صفحات التاريخ.

وقد قال أحد الدعاة:

(رأيت أمريكا بيت مهدوم العفة، وإمراة مسفوكة الكرامة، وقطيع بلا راع).

وأنا أقول لبني جلدتي لو أردتم أن تستعيدوا أستاذية العالم، ربوا النساء على الحياء، ولتجعلوا مادة الأخلاق واقع ولتتفقدوا التطبيقات والمواقع، لنستعيد مجداً تليداً بأيدينا أضعناه، فالعهر تخطى بيوت تعلوها الرايات الحمر، والأن ترعاه دول وماسونية عالمية، فماذا تصنع الفلبين؟ غير أنها تتاجر بفروج نسائها تحت مسمى عمالة منزلية.

هل في التبرج من ربح يغتنمه المجتمع ؟

فالتبرج وإثارة الغرائز وتأجيج الأفكار الشهوانية، نيران مستعرة يتلظى بها الجميع، وقد قال ابن خلدون في مقدمة كتابه: الجنس العربي لو تلبّس بالشهوات فقد يومه وغده. وقد رأينا الجيل الذي تربى على أفلام السندريلا عصفت به رياح النكسة.

وتبقى همسة :

أختاه لك في سترك رونق، فلا تتخلي عن حشمتك وتجري الويلات على نفسك، من أجل أن تُشبعي رغبة أو تحظين بنظرة، ولعلك تدركين بأنك صرت دمية أغلظوا لها الحبل، فما عدت تملكين خلاصًا من أيديهم، بدءًا من صاحب العمل الذي أرادك حسنة المظهر، مرورًا بنفس ترغب في الشهرة وحب الظهور، انتهاء بصفوة زائفة أبدوا تعاطفهم وقالوا معك حتى تتحرري، وما أرادوا حريتك إنما حرية الوصول إليك، ذئاب جائعة من حولك إلا من كان له حظ من وازع يحفظه، فانتبهي إني لك من الناصحين.

فتنة الخمر :

الخمر السيف المرهف.....

روى ابن ماجه في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يُعزف على رؤوسهم بالمعازف يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير.

لو لم يأت في الخمر إلا هذا الحديث لكفى به زاجرا، ولكن حتى لا تختلط علينا الأمور سنضع نقاط هامة تتعلق بالحكم الشرعي:

-" كل مسكر خمر وكل خمر حرام ".

-" ما أسكر كثيره فقليله حرام ".

قال الحسن البصري: لو كان العقل يُشترى لتغالى الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسد عقله.

أذكر وأنا في المرحلة الثانوية اشتريت زجاجة مياه شعير، فلم أتحمل رشفة منها فمججتها وسكبت الزجاجة على أثرها، فمذاقها غير مقبول تماماً، فما الذي حمل الناس على تناولها ؟

الإجابة أوردها ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر:

النفس راغبة فيما مُنعت منه، ولو نُهي الناس عن تفتيت البعر لرغبوا فيه.

الخمر أم الخبائث ومفتاح الشرور، أوقعت شاربها على محارمه وختمت حياته بالهلاك، وقد روى النسائي وابن حبان في صحيحه، أن عثمان رضي الله عنه قام خطيبًا فقال: أيها الناس اتقوا الخمر، فإنها أم الخبائث وإن رجلاً كان ممن كان قبلكم من العباد، وكان يختلف إلى المسجد فلقيته امرأة سوء.

فأمرت جاريتها فقالت: ندعوك للشهادة فأدخلته المنزل وأغلقت الباب، وعندها باطية خمر وعندها صبي فقالت له: لا تفارقني حتى تشرب كأساً من الخمر أو تواقعني أو تقتل الصبي، إلا صرخت وقلت: دخل علي في بيتي.

فضعف الرجل عن ذلك، فقال: أما الفاحشة فلا أتيها، وأما النفس فلا أقتلها، فشرب كأساً من الخمر، فقال: زيديني فزادته، فوالله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبي.

فقال عثمان رضي الله عنه: فاجتنبوها فإنها أم الخبائث، وإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر في قلب رجل، إلا يوشك أحدهما أن يذهب بالآخر.

ولا يفوتني أن أعرج على شيء أخر، ربما كان ضرره أعظم،

أستهل الحديث عنه بحديث أم سلمه رضي الله عنها:

" نهى النبي صل الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر "

فإن تناول الحشيش وغيره من المخدرات يسكر ويخدر ويفتر

فمن يريد أن ينسى فشله وإخفاقه ورسوبه وضغوط الحياة وخلافات الأسرة،

يلجأ إلى المخدرات ظنا أنها الحل، فتتفاقم خسارته ويزداد هروباً من المواجهة،

فيتهاوى رشده ومن بعده إدراكه ويتردى عقله، ولم ينتبه أنه يرجع إلى الخلف.

تعال نبحث عن أسباب إنتشار ظاهرة التعاطى:

× السينما في قفص الإتهام

تربينا صغاراً على أفلام حقبة الستينات وما بعدها،وهذا ليس من باب المجاهرة بالذنب بل توطئة فحسب، كان بطل الفيلم إذا زادت عليه أوجاع الحياة ودقت طبول الدنيا على رأسه، يذهب إلى البار ويتناول كأسًا بعد أخرى، وبالإيحاء ينتقل الأمر إلى المشاهد، فيظن أن هنا طوق النجاة أو استراحة المحارب، قصد صناع السينما ألا يلجأ البطل المكروب، إلى المسجد والتضرع وقراءة القرآن والدعاء "رب أني مغلوب فانتصر".

في إحدى المعارك اشتدت الحرب علي معسكر الإيمان فسأل الجنود

خالد بن الوليد إلى سلمى أم إلى أجا

يسألون قائدهم المشورة نحتمي إلى جبل سلمى أم نلجأ إلى جبل أجا

فقال خالد : لا إلى سلمى ولا إلى أجا، بل إلى الله الملتجى.

× رفيق السوء، رقعة لثوب أبداً لم تكن مثله.

ليت من صاحب الأشرار انتبه في البداية لإرشادات الطريق:

ـ لا تصاحب الفاجر فإنه يُزين لك الفجور ويود لو أنك مثله.

ـ المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل.

ـ لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي.

× البطالة والفراغ

النفس إن لم تنشغل بالحق إنشغلت بالباطل،

وقديماً قالوا الفراغ مفسدة،

وأقل ما تصنعة المطالعة وقراءة ما يفيدك وممارسة الرياضة.

× غياب الرعاية والقدوة الحسنة

التدليل مفسدة أخرى، تُضاف إلى سجل أخطائنا في التربية.

وعلى المربي أن يعي، أن الحرية الشخصية لها ضوابط في الشرع الحنيف، فعلى الرحيم أن يقسو أحيانا على من يرحم، وأن يوجه ويرشد ويتلمح عواقب الأمور، فإن الرائد لا يكذب أهله.

فتنة المال:

الدرهم والدينار سهمان مسمومان:

قال صلى الله عليه وسلم:

ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم.

لم يخشَ النبي علينا من الفقر، بل خاف علينا أن ننشغل بالمال ونفرط في جنب الله، وقد قال الله عز وجل : " ألهاكم التكاثر، حتى زرتم المقابر".

أي شغلتكم التجارة حتى صرتم موتى في القبور، يوهمك البعض بوعظه المزيف بأن المال مذموم، وخير لنا أن نفتقر فإذا كثر المال كثر الحساب، وأن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، ولا يخبرك بدعاء جمع فيه النبي بين شرين : " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر " وقد قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة "، وربما تشدق ذاك الواعظ وقال بملء فيه ليسكن رغبة الناس في زهرة الحياة وطيب عيشها.

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنى يطغيها

غنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها.

ولا أجد على هؤلاء ردًا يُلجمهم إلا قول سفيان الثوري: كان المال فيما مضى يُكره، أما اليوم فهو ترس المؤمن، ولأن أخلف ورائي عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عز وجل عليها، أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس.

وقد قال القائل والصواب معه :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لا يبنى ملك على جهل وإقلال

كيف نصنع الموازنة؟

في أحد البرامج الفضائية، سمعت الرجل الفاضل محمود العربي، مالك ومدير شركة " توشيبا"، يقول: ما تعلمناه في الكتاب ونحن صغار، أن تكون الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا. وقد كان رحمه الله يعلم حق الله في ماله، فكان من أهل الجود والكرم والتواضع، وقد سكنت محبته قلوب الناس، فلما مات تبع جنازته نصف مليون إنسان.

وسأقدم لك مثالاً آخر من عهد السابقين تعمدت ألا أبدأ به، عبد الله بن الزبير كان له حلقة تجارية ممسكًا عليها بقبضة يده، فيقول من يراه هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، فإذا ذهب إلى الحرم ليصلي بالناس إمامًا ،يقول من يراه هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين،فإذا صلى النافلة أطال في سجوده، فتحط طيور الحرم على ظهره تظنه جذع شجرة.

لعلك مازلت تنتظر الإجابة كيف نجمع الدين مع الدنيا؟

خذها ولاتخف واملأ بها صدرك، واجعلها دستور تحتكم إليه أفكارك،

موعظة لقمان الحكيم وكانت لإبنه أولا:

يا بني لا تدخل في الدنيا دخولا يضر بآخرتك، ولا تتركها تركا تكون كلا على الناس. كلاً بمعنى ثقلاً وعالة

وعلى نحو هذا قال سفيان الثوري: ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا، أو عمل للدنيا وترك الآخرة، ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه.

|| عماد زعيتر ٢٠٠ ||

ربما تتعجب في نفسك حين أخبرك بأن ستة من العشرة المبشرين بالجنة، كانوا رجال أعمال لهم حظ وافر من الثراء، وقد قال صلى الله عليه وسلم: نعم المال الصالح للرجل الصالح .

تعال نذهب بالكلام ناحية السهم المسموم، فالمال وسيلة ولكنه أصبح عند غالب الخلق غاية، فارتكبوا الجرائم وتقاطعوا وتدابروا وفجروا في خصومتهم، بل تطاولت أيديهم ورتعت في الحرام، وفتح الموظف درج مكتبه ليتلقى رشوة وسماها بغير اسمها: " ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء مما أخذ ماله من حلال أم من حرام "

من هنا أصبح المال فتنة، " إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم". قال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لا يفيق إلا في معسكر الموتى. فمن سكر بالخمر لو صب الماء على رأسه لعاد إليه وعيه، أما من سكر بدنياه فلن يفيق إلا تحت التراب،" رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت "، فالعاقل من يتركها قبل أن تتركه كما فعل عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا راغمة وبركت على عتبة داره فمضى وتركها.

ربما ورث زهده من جده عمر بن الخطاب، الذي قال يوما لأصحابه: والله لولا مخافة أن ينقص من حسناتي يوم القيامة لشاركتم في لين عيشكم،فقد سمعت الله تعالى عيّر أقوامًا فقال: " أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ".فأعرض عنها ونئا بقلبه، ومضى لم يبال برغد العيش وشظفه، فطوبى للزاهدين فرغت قلوبهم من زخارفها، فما انتبه الجد لدنياه ولا اهتز لها قلب الحفيد.

على الضد من ذلك والبون بينهما شاسع، قال ابن القيم:

أخبرني بعض التجار، عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده، فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله، فكان يقول هذه قطعة رخيصة وهذا مشتري جيد، حتى قضى ولم ينطق بالتوحيد.

عاش على التجارة وحب المال فخرج خال الوفاض، ولم يدخر شيئا لأخرته وليته صنع الموازنة، فما جدوى لو ربح الإنسان الدنيا وخسر الآخرة.

صعد أبوالدرداء منبر المسجد الأموي بدمشق وقال: أيها الناس إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون قصوراً ويأملون بعيداً، فاصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً.

بنى أحد الملوك قصراً، وقال لحاشيته انظرو من عاب فيه شيئاً فأصلحوه وأعطوه درهمين، فأتاه رجل وقال إن في هذا القصر عيبين، قال وما هما ؟ قال يموت الملك ويخرب القصر، قال الملك صدقت، وأقبل على العبادة وزهد الدنيا.

إذا الناس قد مالوا إلى القصور الفاخرة فقل اللهم لاعيش إلا عيش الأخرة

عبدالله بن عمر كان إذا رأي أحد غلمانه يصلي بخشوع، ينتظره حتى ينتهي من صلاته ويقول له إذهب فأنت حر،فتناقل الموالي هذا الأمر فكان أحدهم إذا رآه قادماً من بعيد صلى وتظاهر بالخشوع فيعتقه بن عمر.

فقال له إبنه: يا أبتاه إنهم يخدعونك.

قال: يا بني من خدعنا في الدين خُدعنا له.

على النقيض من ذلك، أذكر يوما كنت في مبنى حكومي، فاحتد صوت موظف وقال لو تعارض عملي مع ديني، لقدمت عملي أولاً.

بشير الطبري كان له مزرعة للماشية على حدود بلدته مع الروم، هجم جنود الروم على المزرعة فاستاقوا منها الماشية، ولم يكن عنده من صنوف المال شيء آخر، فزع العمال وأرسلوا إليه يا سيدنا إئتنا ،فأسرع إليهم مع إبنه فاستقبله العمال يبكون وقالوا سُرقت الماشية ، فقال وأنتم أيضا أحرار لوجه الله، فقال له إبنه يا أبتاه أفقرتنا، حتى العبيد الذي كان بوسعنا أن نبيعهم أعتقتهم !!! قال يا بني إن الله أحب أن يبتليني فأحببت أن أزيده.

لم يكترث أحدهم بوجود المال أو فقده، فالدنيا كانت عليهم هينة، فلم تكن فرحتهم بالظفر قدر فرحتهم الجارفة بالعطاء، فلم يرى أحدهم قيمته في سيارة فارهة، أو هاتف غال الثمن أو ثوب نسجته أرقى المصانع، فما ذاك إلا عزاء التافهين.

أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بحقيقة الأمر: إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتى المال.

فإذا رأيت الرجل قد تغيرت طباعه بعدما بسطت له الدنيا، ونسي أيام فقره وحرمانه، ولسان حاله: قد ورثت هذا المال كابراً عن كابر،فاعلم بأنه مفتون.

إذا رأيت الرجل قد شغلته دنياه وتجارته وأمواله عن الصلاة، فجمع الصلوات وأخرها عن وقتها، أو صلاها بغير خشوع أو تركها، فاعلم بأنه مفتون

إذا رأيت الرجل يُعادي ويوالي من أجل المال والمصلحة التي تعود عليه، ويقطع رحماً ويهجر صديقًاً محتكماً بقانون المنفعة، فاعلم بأنه مفتون.

إذا رأيت الرجل غالب حديثه عن أشهى المأكولات وأحدث السيارات وآخر الأزياء والصيحات، ويشتري كل أنيق من الأثاث والماركات، فاعلم أنه مفتون.

إذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور

دخلت حفصة بنت عمر على أبيها، فرأت ما هو فيه من شدة العيش،فقالت: إن الله أكثر من الخير وأوسع عليك من الرزق، فلو أكلت طعامًا أطيب من ذلك، ولبست ثيابًا ألين من ثوبك.

فقال عمر: سأخاصمك إلى نفسك، فذكر لها أمر رسول الله وما كان يلقى من شدة العيش حتى بكت، وقد ورد في هذا الشأن " إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب ".

قالت عائشة رضي الله عنها :

ما أكل آل محمد صلى الله عليه وسلم أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر .

وكان يدخل على أهله بعد صلاة الصبح ويقول: هل عندكم من طعام؟

فيقولون: لا. فيقول: إني إذا صائم.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه :

اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب ؟

قال: أن يكون لي في كل واد مال.

السهم يخترق الحرس :

أتى واعظ إلى أحد الأمراء فوعظه موعظة بليغة، فأرسل إليه الأمير مالاً فقبله.

فقال الأمير: كلنا صياد، ولكن الشباك تختلف.

والزمان لا يخلو من أشباه هذا الواعظ، يأكلون على كل الموائد ويقتاتون بوعظهم، كالمطرب الذي ينتظر أجره آخر السهرة.

فكم من فتاوى تضخمت بها أرصدة، وكم من مراجعات كان ثمنها منتجعات، وكم من تملق ونفاق زج بهم على الفضائيات.

وفي شأنهم قال ابن حنبل رحمه الله :

عزيز علي أن تُذيب الدنيا أكباد، رجال وعت صدورهم القرآن.

قال سفيان الثوري: المال داء هذه الأمة، والعالم طبيب هذه الأمة، فإذا جر العالم الداء إلى نفسه فمتى يبرئ الناس.

لص أتى متنكرًا بعمامة واعظ كلما انتفخت جيوبه راق منطقه، ولكن عندما يحدث الاستثناء يكون رائعًا، فإئذن لي أن أسرد عليك ما حدث في الجامع الأموي بدمشق، كان الشيخ سعيد الحلبي يجلس مع تلاميذه يشرح لهم من تعاليم الدين، وقد استرخى الشيخ في جلسته ومدّ رجليه، وإذ بحاكم متجبر يدخل المسجد وحوله حرس مدجج بالسلاح، يأمرون الناس بالقيام لتحية الأمير، فبقي الشيخ جالسا ماداً رجليه فاغتاظ الأمير وأراد أن يبطش بالشيخ، ولكنه تمهل وعاد إلى قصره وأخذ يفكر في حيلة لينتقم من الشيخ الذي أهانه، ثم استدعى كبير الحرس وأعطاه ألف ليرة ذهبية، وقال اذهب بها إلى الشيخ وأعطها له أمام تلاميذه، وما قصد بذلك إلا ليحطم رمزه في أعينهم، أتى كبير الحرس إلى الشيخ، وقال بصوت عال: أرسل لك سيدي ألف ليرة، ربما كان الشيخ في بيته لا يملك ليرة واحدة، ولكنه في عزة وإباء قال: عد بالمال إلى سيدك وقل له: إن الذي مد رجليه لا يمد يديه.

المال فتنة، فلا يكن غاية قصدك أن تجمع منه الكثير، وتغض الطرف عن مصدره، رأيت نفرًا غير قليل يحرص أحدهم على صلاة الجماعة، بل يصوم النوافل ويغض بصره اتقاء فتنة النساء، وأمام المال يضعف ويأخذه من حله وحرامه غير مكترث.

قال أحد السلف : الطاعات يفعلها البر والفاجر، ولا يترك الحرام إلا صِدّيق.

فالعبرة ليست بفعل الطاعة بل بترك المعصية، فأكبر موائد إفطار في رمضان تصنعها راقصة، حجيج في مكة بينهم اللصوص والمرتشون يطوف خلفهم ذئب القطيع، فالطاعات يقوى عليها الجميع، إنما العبرة بمن يدع الحرام خشية أن يهوى في النار صريع.

" افرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون "،حب المال أعمى بصائرهم وأشقاهم، وظنوا أن الظل لن يزول والعارية لن ترد، ومن تمام النصيحة أن أخبرك، فور دفنك سيتقاسم الأهل مالك ولن يُقدموا لك شيئا يجري عليك ثوابه، وستبقى مرتهناً بأعمالك، حلاله حساب وحرامه عذاب، فاحذر أن يفتنوك بغرور دنياهم، أو تتبع هوى نفسك فتهلك.

وقد قال وهيب بن الورد :

لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل في بطنك، حلال هو أم حرام.

قال سهل التستري : من أكل الحرام عصت جوارحه، شاء أم أبي علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلال أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات.

ولعل سفيان أراد بمقولته نفر غير قليل،

ممن يعيشون تحت مظلة هذا الدين الأثير:

انظر درهمك من أين هو وصل في الصف الأخير.

.....

قال ابن القيم :

إذا أردت أن تعرف مدى إيمانك ، فراقب نفسك في الخلوات.

إن الإيمان لا يظهر في صلاة ركعتين أو صيام نهار، بل يظهر في مجاهدة النفس والهوى.

يحيى بن معاذ قال:

إذا أحب القلب الخلوة أوصله حب الخلوة إلى الأنس بالله، ومن أنس بالله استوحش من غيره، كان الإمام الأوزاعي يُحيي الليل صلاة وذكرًا وتسبيحاً واستغفاراً، وفي أحد الأيام دخلت امرأة أجنبية بيته، ثم دخلت مصلاه فوجدت به موضع بلل، فنادت على زوجة الإمام، وقالت لها: إنك امرأة سوء.

فتعجبت زوجة الأوزاعي وقالت: لم ؟

قالت: تركت الصبي يبول موضع صلاة الشيخ.

قالت: إنها دموع الشيخ بالليل.

الخلوة معناها أن تجلس منفردًا.

وشتان بين خلوة مع الرحيم الرحمن، وخلوة نبارز فيها الله بالعصيان.

قال صلى الله عليه وسلم :

لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا.

قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا، ألا نكون منهم ونحن لا نعلم.

قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام كانوا إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها .

يقول ابن عباس:

وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته.

في الخلوة بعيد عن أعين الخلق، وباب الغرفة مغلق والأهل قد ناموا.....

هل تُشعل سيجارة ملفوفة ...؟

هل تشاهد صورًا ومواقع إباحية...؟

هل تفترش جبهتك وتشكو بثك لله ...؟

هل تقرأ وردك وتعيش في معية الله ...؟

كلاهما كان مختليًا بعيدًا عن أعين الناس، الذاكر والعاصي...

فما الذي حمل أحدهم على سكب عبراته، وجعل الآخر يتردى في هفواته؟

إنه الإيمان الذي سكن في القلوب فأينعت ثماره المحبة واستوت على سوقه الخشية والمراقبة، فظهر ذلك جلياً في القول والفعل.

وقد قال صلى الله عليه وسلم :

" اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ".

في عام ٢٠١١ حين غابت دولة القانون، انتشرت جرائم السرقة والقتل والتعدي على الملكيات، فانتشرت اللجان الشعبية لضبط الشارع الذي كثر فيه الكر والفر والسرقة وترويع الآمنين، ولو كان المُتجرئ على المعصية يخشى الله ما أقدم على فجوره، " وقد أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذ لم تستح فافعل ما شئت ".

لو أن لصاً دخل مكانا ليسرق فرأى فيه كاميرات مراقبة، لتراجع خشية الفضيحة وسوء العاقبة، فليعلم كل مختل بذنبه أنه مراقب، والفضيحة مدوية يوم القيامة.

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

قال علي بن أبي طالب: إني لأعلم أقوامًا سيسقط لحم وجوههم خجلاً عندما تعرض قبائحهم على الله.

لو أنك أتيت فعلاً قبيحاً وعاتبك والدك، ستعلو وجهك حمرة الخجل، فما بالك لو كان الذي يُعاتبك الله، ستزداد حمرة وجهك وسيندفع الدم بغزارة في شرايين الوجه، فلا تتحمل الشرايين اندفاع الدم فتنفجر ويسقط لحم الوجه خجلاً !! أين كان هذا الحياء في الدنيا ؟.

صورة حيه أنقلها لك بث مباشر من أرض المحشر، وأرجو أن تتماسك من شدة هولها، وقد مهدت لها من قبل تهيئة للطامة.

تخيل جبالاً من الحسنات يجعلها الله هباء منثورا، " كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف " أعلى قوة تدميرية لا يتخيلها عقل بشري، ففزع ثوبان وخشي على نفسه سوء المصير، فسأل النبي عن حالهم، فجاءه الخبر بأنهم إخوان لنا، لهم ورد من قيام الليل، ولكن العلة تجرأهم على الله ومبارزته بالمعاصي.

قال لقمان لابنه وهو يعظه :

يا بني إياك أن تُري الناس أنك تخشى الله ليكرموك، وقلبك فاجر.

وهنا سؤال أعلم يقينا بأنه يجول في صدرك.

جاء في الصحيح " كل أمتي معافي إلا المجاهرون ".

في حديث ثوبان أصحاب المعاصي أخفوا معاصيهم، ولم يجاهروا بها، وبمقتضى الحديث الثاني "معافون " فلم ذهبت حسناتهم سدى ؟؟؟ مما قيل في هذا الأمر ربما لم يخلوا في بيوتهم، بل مع غيرهم ممن على شاكلتهم، فالمراد خلوا بالمحارم وليس خلوا بأنفسهم، وربما كانت خلوتهم بالمحارم لم يعقبها ندم ولا توبة.....

قلبي تعلق بالمعصية

يريدك الشيطان عاصياً بأي نوع من الذنوب لتكتسب إثماً، أما لو نفس الذنب يتكرر منك فاعلم أن هذا من نفسك، فادع الله في سجودك أن يُخرج حب هذه الخطيئة من قلبك.

عليك بصحبة الصالحين....

قال مالك بن دينار: إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار، خير لك من أن تأكل الحلوى مع الفجار.

وقد ذكر في هذا الشأن فضيلة الشيخ ابن باز رحمه الله :

من أسباب التوبة والاستقامة عليها، صحبة الأخيار والتأسي بهم في أعمالهم الصالحة، والبعد عن صحبة الأشرار.

|| عماد زعيتر٢١٢ ||

اسمع واقرأ عن نعيم الجنة وعذاب النار.

قالت عائشة – رضي الله عنها - :

"لو كان أول ما نزل من القرآن لا تشربوا الخمر.

لقالوا لا ندع الخمر أبدا.

ولو نزل: لا تزنوا.

لقالوا: لا ندع الزنا أبدا.

إنما نزل سورة فيها ذكر الجنة والنار.

بيان عملي إن لم يك فيه مشقة

ضع يدك بالقرب من مصدر اللهب قداحة أوغيرها وابدأ العد ١ و ٢ و ...

ألك على هذا صبر؟؟؟ نسأل الله العافية وإن كنت تُحسن الظن فأحسن العمل.

وتذكر دوماً شؤم المعصية ومغبة الذنب، وفضيحة الدنيا و حساب الأخرة ،

وقد يمتد لهيب الحسرة لأجيال، فتضيع البركة من المال والعافية من الولد

والأدهى من ذلك، أن رياح المعصية تكون عاتية على شجرة الإيمان

قال ابن القيم: أجمع العارفون بالله أن ذنوب الخلوات سبب الانتكاسات.

أنا الذي أغلق الأبواب مجتهدا على المعاصي وعين الله تنظرني

ما أحلم الله عني حين أمهلني وقد تماديت في ذنبي ويسترني

قال الحافظ بن كثير:

إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت، مع خذلان الشيطان له فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان فيقع في سوء الخاتمة.

فاجعل خلوتك بالله لا عن الله "وهو معكم أينما كنتم"، وتأدب في خلوتك ولا تجعل الله أهون الناظرين إليك "ألم يعلم بأن الله يرى"، وهذا معنى المراقبة: علم القلب بقرب الرب.

اتصلت امرأة لعوب بأحد الشباب لتتحدث معه بكلام الغرام، فقال لها الشاب إن هاتفي مراقب، فاندهشت وقالت من يراقبك ؟ فتلى على سمعها

: " وكان الله على كل شيء رقيباً ".

لكل إمرىء نقطة ضعف يشتد سعيرها حين تخترق الرغبة حصونه، يتلذذ بها تارة ويحتقر ضعفه تارة أخرى، فتجده يقوم ويحبو فيغشاه النور أحيانا وتكتنفه الظلمه أوقاتاً، فالذي لم يواجه ضعفه لم يتعلم بعد درس الحياة، فاستراتيجية الدفاع تبدأ بحماية الثغرة التي تمثل نقطة ضعفك، مال أو شهوة أو مخدرات وأنت أعلم بشأنك، وستجد أعدائك من الإنس والجن قد شرعوا في إستهدافك و نصبوا لك الكمائن، ووضعوا سياجاً حولك من الحديد و الحرير وفقاً للمخطط المرسوم، فلا تركن إليهم وتغذي ضعفك، ولا تنبطح فتعلو رايتهم على حطامك، بل قاوم مستعيناً بالله ليصرف عنك السوء، إنما النصر صبر ساعة.

سُئل يحيى بن معاذ ما العبادة؟

قال: حرفة حانوتها الخلوة وربحها الجنة.

الحانوت هو محل التجارة وقد قيل: خذوا حظكم من العزلة، فالعاقل لا يجعل وقته كله للعمل أو للسمر، فلا بد أن يختلي بنفسه،يتبصر عيوبه ويبكي ذنوبه، ويُقبل على ربه، فبيننا وبين الله عز وجل مسافات لا تُقطع بالأقدام إنما بالقلوب.

وقد جاء في مدارج السالكين " قوة الأنس تكون على حسب قوة القرب، فكلما كان القلب من ربه أقرب كان أنسه به أقوى، وكلما كان منه أبعد كانت الوحشة بينه وبين ربه أشد ".

قال سلمة بن الأعرج : قد رضيت من أحدكم أن يتفقد دينه، كما يتفقد نعله.

لو أنك ذهبت تصلي في مسجد كبير ترمق متاعك مرة وأخرى، تخشى عليه السرقة فهلا رمقت إيمانك لتتفقد حاله.

جاء رجل إلى ابن القيم وقال: دخل اللص بيتي وسرق متاعي.

فقال ابن القيم : احمد الله لو دخل الشيطان قلبك وسرق منك إيمانك، ماذا كنت تصنع ؟

بعض الشر أهون من بعضه.....

تفقد إيمانك في الخلوة، وانظر هل سرق الشيطان شيئًا من نوره وبشاشته،أو فرشه ومتاعه أو عبث بزينته.

يوم تدنو الشمس من الرؤس وترى الناس في كرب تغوص، ستجد أصنافا من الناس في ظل العرش، منهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

ذرف الدمع حنيناً واشتياقاً وسكب عبراته خوفا واحتراقاً، ومضى في خلوته غير عابيء بزخارف الدنيا، فقد وجد في خلوته الرضا والنور وتحققت غايته بالسعادة والسرور.

قال بعض أهل العلم : ولا تزال بركات الخلوة بالله تتنزل على العبد، حتى يصل إلى نعيمها ولذتها يختلي بربه فيُرزق نعمة السلامة، ثم تأتيه غنيمة القرب، فيغمره غيث الفهم عن الله سبحانه، ثم يأتيه نعيم الأنس بالله، فلا يعرف نعيماً ولا لذة إلا في الخلوة بالله جل وعلا.

متى تجد قلبك وتشعر بإيمانك؟؟

قال ابن القيم اطلب قلبك في ثلاثة مواطن:

عند سماع القرآن ... وفي مجالس الذكر ... وفي أوقات الخلوة.

فإن لم تجده في هذه المواطن، فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك.

ولا عجب إن وضعت لك العنوان في السطر الأخير، الخلوة مع الله مفتاح السماء.

لا تغضب

جارية كانت تصب الماء لعلي بن الحسين، فسقط الإبريق من يدها فشجّ وجهه، فرفع رأسه مغضبًا.

فقالت : " والكاظمين الغيظ ".

فقال لها : قد كظمت غيظي.

قالت : " والعافين عن الناس".

قال لها : عفوت عنك.

قالت : " والله يُحب المحسنين ".

قال : اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

معنى الغضب لغة : اشتداد السخط.

ومعناه اصطلاحًا: غليان دم القلب طلباً للانتقام ممن قدم الأذى.

جاء رجل إلى النبي يطلب الوصية، فقال: لا تغضب.

والرجل يستزيده ويقول: أوصني.

فقال النبي: لا تغضب، ولك الجنة.

أي اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه.

فقال الرجل بعدها، وجدت الشر كله في الغضب.

أخبرتك بها من قبل وعن قصد أكرر، لعلك من سطوة الغضب تتحرر.

خرج زين العابدين بن الحسين بن علي من المسجد، فتعرض له رجل بسوء فأراد الناس أن يتصدوا له فقال زين العابدين دعوه ثم نظر للرجل، وقال:

ما ستره الله عنك من عيوبي أكثر مما تعلمه عني،

ألك حاجة أعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل.

فخلع عباءته وأعطاها له، وأمر له بألف درهم.

فكان هذا الرجل كلما قابله في الطريق قال: أشهد أنك من أولاد الأنبياء.

" ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ".

لو قابل السب بالسب لدارت رحى الحرب وقامت الدنيا ولم تقعد، زين العابدين رجل له فضل ويكفيه نسبه الشريف، وربما كغيره لا يريد أن ينتقص أحد من شأنه أو يخدش كرامته عابر، فلو ذهب لينتصر لنفسه ربما عاد بخسارة جديدة، فتكون الطامة أكبر، فكبت غضبه ولا يفعل ذلك إلا عاقل، فكل أحمق بوسعه أن يندفع ويثور ويتوعد غريمه بالويل وعظائم الأمور، ولكنه تجرع غيظه حسبة لله العفو الغفور.

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله، من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله.

وذو سفه يخاطبني بجهل فأكره أن أكون له مجيبًا

يزيد سفاهة وأزيد حلماً كعود زاد بالإحراق طيبًا

وقد قال أحد الساسة: لا أحب الانتقام، لأني لا أستطيع قضاء عمري في الجري وراء كلب لأعضه كما عضني.

تبع رجل الأحنف بن قيس في طريقه وظل يسبه ويشتمه، ولما اقترب الأحنف من ديار قومه قال للرجل: هات ما بقي عندك حتى لا يسمعك أهل الحي تسبني فيؤذونك، فاستحيا الرجل وانصرف.

" وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا "،فالإعراض عن الجاهلين عقل ورجاحة، فإن كان للدنيا فهو حكمة ورشد، وتجنب لتبعات الخلاف وحفظ للنفس مكانتها، وإن كان للدين فهو أجر ورفعة منزلة وخلق كريم.

قال ابن عبد البر:

من كظم غيظه وردّ غضبه أخزى شيطانه وسلمت مروءته ودينه.

معيار القوة

ما تعدون الصرعة فيكم ؟

النبي يسأل أصحابه، فأجابوا بما يقتضيه المنطق.

قلنا : الذي لا تصرعه الرجال.

قال: ليس ذلك، إنما الذي يملك نفسه عند الغضب.

فالإنسان القوي الذي يقوى على نفسه ويتحكم في انفعالاته، ولا يدع نفسه لرياح الغضب تهدم بنيانه.

قال ميمون بن مهران :

جاء رجل إلى سلمان الفارسي، وقال: أوصني.

قال: لا تغضب.

قال: أمرتني أن لا أغضب، وإنه ليغشاني ما لا أملك.

قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك.

صارحه الرجل بحقيقة أمره، أنه يغشاه من الهياج والرغبة في الثأر ما لا يقوى على كبحه، فأوصاه سلمان: أملك يدك ولسانك.

قال عمر: من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

قال صلى الله عليه وسلم :

ليس المؤمن بضراب ولا طعّان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء.

تذكر حفظك الله، هذه الصفات جيدا، حين تشعر ببوادر الغضب تسري في جسدك.

قال الحسن: المؤمن حليم لا يجهل وإن جُهل عليه، وتلا قول الله عز وجل : " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ".

قيل لعبد الله بن المبارك: أجمل لنا حسن الخلق.

قال: لا تغضب.

أتى ابن المبارك بكلمة واحدة في جعبتها مكارم الأخلاق، فانظر في حال المغضب ينطلق لسانه بالقبح والشتائم، وتضطرب حركته وتمور كلماته وترتعد أطرافه، وربما عاد بالغضب على نفسه فمزق ثوبه، أو خفق رأسه بنعله أو حطم أشياء حوله، ولو رأى الغضبان صورته وهو ثائر لإستعاذ من قبح صورته، أوقعتني الظروف مرة وسط مشاجرة بين الشباب وكان أكثرهم هياجًا يحمل عصى، ولا يقوى أحد على مواجهته، فسقط فجأة مغشياً عليه وأصبح عاجزاً عن الحركة، بينما كان في قوة عنفوانه فخانته حماسته وسقط ببدنه وهيبته.

وقد قال ابن القيم : الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.

تذكر هذه المقولة جيداً وربما أكررها لك لتبلغ معي عمقها،ومن المشكاة نفسها خرجت علينا كلمات ابن المبارك، كاد الأدب يكون ثلثي الدين.

قد جاء في أمثال العرب : الغضب أوله جنون وآخره ندم. جمرة من النار يعمد الشيطان ويلقيها في جوف ابن آدم، فيشتعل غضبًا ويتشاجر وربما تجرأ وقتل، فيزج به في السجن ويُحمل غريمه إلى القبر.

قال علي بن أبي طالب: دم على كظم الغيظ تُحمد عواقبك.

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يصطرعون فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله فلان الصريع لا ينتدب له أحد إلا صرعه، فقال صلى الله عليه وسلم : ألا أدلكم على ما هو أشد منه ؟ رجل ظلمه رجل فكظم غيظه، فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه.

قال الحسن: أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحرمه على النار،

من ملك نفسه عند الرغبة.. والرهبة ..والشهوة.. والغضب.

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

كلّم رجل الخليفة عمر بن عبد العزيز حتى أغضبه، فهمّ به عمر ثم أمسك نفسه، وقال للرجل أراد الشيطان أن يستفزني بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا، قم عافاك الله لا حاجة لنا في مناوشتك.

قال تعالى : " فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين".

دعوة كريمة:

قال صلى الله عليه وسلم :

من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يُخيره من الحور العين ما شاء.

لو أن جارك أقام عرساً، ولم يوجه لك دعوة لوجدت في نفسك شيئًا نحوه، وانتابك الحزن لأنه استقل بشأنك وتجاهل دعوتك، فلو فاتتك دعوة الملك لكان حزنك أشد وخسارتك أكبر وأنت من فرط أولاً وآخراً.

بحثت عن حظ نفسك، وهرولت خلف عنترية زائفة لم تبق إلا ساعة، ثم ذهبت أدراج الرياح، فلو أغمضت أذنك عن كلام الناس وكظمت غيظك وتعوذت من الشيطان، وتمهلت قليلا في ردة فعلك، لمرت العاصفة بسلام وكان خيرٌ لك، فالناس لن ترضى منك بحال لو ثأرت لقالوا: أرعن وأهوج، ولو أثرت السلامة لقالوا عاجز رضي لنفسه بالهوان، وليس الأمر كما زعموا فالمؤمن هين لين والمجتمع يبنى على الترابط "رحماء بينهم".

فلا تفرط في الأجر " وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ".

فالحور العين في انتظارك وهذا مهرها، فمن الخاطب منكم؟

سأل عبد الله بن عمر النبي صلى الله عليه وسلم:

ما الذي يباعدني عن غضب الله ؟

قال: لا تغضب.

فالله عز وجل يغضب ويعاقب بالذنب، وأشد غضبه يوم القيامة فخشي ابن عمر أن يقع عليه غضب الله، فدله النبي على طريق النجاة وقال: " لا تغضب ".

تعال نبحث سوياً عن مبررات الغضب: حماقة وسوء تصرف ،، اندفاع وطيش ،، رغبة في تصدر المشهد ،، من اجل حظ النفس ،، رداً للإساءة ،، طباع سيئة ،، وشاية وفرية ،، كبر وغرور ..

بينما لم يغضب النبي صل الله عليه وسلم لنفسه قط، إلا إذا انتهكت محارم الله.

يتوهم البعض أن الصوم من موجبات الغضب، وتجد أحدهم يغضب ويثور لأتفه الأشياء بدعوى أنه صائم، وحقيقة الأمر أن الصيام شُرع لتهذيب النفوس، وقد قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك، ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

علاج الغضب :

من الصيدلية المحمدية أتيك به على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم.

استب رجلان عند النبي وقد احمر وجه أحدهما وانتفخت أوداجه، فقال صلى الله عليه وسلم : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. :

فقالوا للرجل: ألا تسمع ما قاله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إني لست بمجنون.

الغضب مفتاح الشر، فأرشدنا النبي لما نستجلب به السكينة بعيدًا عن المهدئات ومشاهدة الطبيعة وتأمل الغروب.

فقط تحتمي بالله " وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله "

فالغضب من نزغات الشيطان، فقد انتفخت عروق عنقه واحمر وجهه، وربما اشتد غليان قلبه وارتعشت جوارحه، فلو قالها بصدق ويقين لذهب غضبه، فالله يعين من التجأ إليه واحتمى به، وحين أخبروا الرجل بما قاله النبي اعترض قائلا : " لست بمجنون "، وهماً منه أن الاستعاذة حكرٌ على المجانين، وأنت أعقل من الرجل الذي رد على النبي أمره، فربما كان منافقاً أو من جفاة الأعراب.

فعندما تستشعر بوادر الغضب تسري في جسدك ردد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

يأتينا أحمد من مسنده بالعلاج الثاني :

" إذا غضب أحدكم فليسكت "

الغضبان تتفلت منه كلماته ويجلب على نفسه العداوة، وربما أفشى أسرار الناس أو شهّر بهم لينتقص من حقهم، فعكّر مياه لن تصفو أبداً، وربما قال عبارات كفرية أو اشتد غيظه فقذف محصنة وهدم بيتها، وربما بيته وحلف بالطلاق وأغلظ الأيمان ثم وطئ من بانت منه.

مس الحزن قلبي، وتأسفت على حال الناس في بلدي، حين علمت بوقوع حالة طلاق كل ست دقائق، مما يهدد نسيج المجتمع،فبقيت أسأل بدافع الاهتمام وشيء من الحذر، هل لغياب الحب أم لإفتقاد الحكمة ؟

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، وقال: إني لا أحب زوجتي.

وظن الرجل أن عمر سيقول طلقها ولا تذرف عليها دمعة، ولكن عمر فاجأه بقوله: إن البيوت لا تُبنى على الحب. فالعاقل إذا تصدع بيته لا يهرع إلى هدمه بل تحين الفرص لترميمه.

" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة "،لم يقل الله عز وجل وجعل بينكم عشقًاً وولهاً، فيكفي بيتك المودة والرحمة ليبقى، وسأصطف في معسكرك وسأكون إلى جوارك وأعتبرك ضحية، ولكن ما هكذا تورد الإبل، فالمرأة خلقت من ضلع أعوج.

ولو ذهبت تُقيمه كسرته، وأفرغت ما في جعبتك من أيمان الطلاق، فاقبل الضلع على عوجه حتى لو صرخت في وجهك غاضبة "طلقني"، لا تواجه غضبها بغضب مثله، اذهب إلى غرفة أخرى أو انحدر مع درج المنزل أو طلّ من الشرفة، وعلى الزوجة أن تلتزم بالعلاج إذا غضب أحدكم فليسكت، لا ترد الكلمة بمثلها أو بعشرة كما أخبروها، وأنا على يقين بأن أهلها لن يكونوا سعداء، حين تعود لهم ابنتهم بحطام جهاز تكبدوا ثمنه، وبأطفال تعلقوا بذيل ثوبها.

فالصمت دواء فعال، كماء أسكبوه على نار فأخمد جذوتها، فالبيوت تحتاج إلى الحكمة والرحمة قبل الكساء والغذاء، فإن كان الأب دائم الغضب والأم لا تكف عن الصراخ، والطبع لص كما نعلم والقدوة قد غابت، فسيكون لنا في الغد جيل من الحمقى لن تحمد عواقبه، فقبل أن تحتج بضغوط الحياة وترفع يديك ملوحًا بقميص عثمان، وتضع "لحظة الغضب" في قفص الاتهام، اسكت عافاك الله فالوقاية خير من العلاج.

قال ابن القيم رحمه الله: دخل الناس النار من ثلاثة أبواب

- باب شبهة أورثت شكاً في دين الله.

- وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعة الله.

- وباب غضب أورث العدوان على الناس.

وقد قال رحمه الله : الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، والبعض يختزل الدين في لحية كثة وثوب قصير فتجده فظاً غليظاً، قد انفضت جموع الناس من حوله لتجهمه وسوء خلقه، وقد قال صلى الله عليه وسلم " إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق "، فمن انساق خلف جموح نفسه وأطاع غضبه، هوت منزلته وتردى شأنه وضاع أدبه، وقد حذره من حوله إياك أن يؤتى الإسلام من قبلك، فلم يأبه لقولهم وكانت الطامة أنهم قدحوا في دين الله لا فيه.

يروي أبو ذر العلاج الثالث:

" إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع".

بدّل الهيئة التي أنت عليها. فاجلس إن كنت واقفا، ولعلك تسأل في نفسك: ما الداعي لذلك ؟

القائم متهيئ للبطش وتوجيه الضربات والقاعد أبعد عن ذلك، وإن بقي في نفسك شيء من الغضب، فاضطجع إن تيسر وكان بمقدورك فعل هذا، إن كنت في بيتك أو مكان نحوه ولا تستثقل الأمر، فالنبي يرود انفعالك ويكبح جماح غضبك بالقعود والاضطجاع، حتى تخرج من ثورتك سالماً، وكذلك لو تيسر لك الوضوء لتطفيء نار غضبك ونار شيطانك فلا تتردد، فماء الوضوء سيُعيدك للحالة التي كنت عليها قبل اشتعالك.

لم نخرج من الصيدلية بعد....

والعلاج الرابع ناولنا إياه الإمام مسلم من صحيحه :

" ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ".

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً يُرمى بصخر فيجود بأطيب الثمر

وقد رغبنا بن القيم في هذا الصنيع قائلا:

من رفق بعباد الله رفق الله به ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، فاصفح عنهم وسيقع أجرك على الله، وامض ولا تلتفت وتجاوز لعل الله يتجاوز عنك، وقد تعلمنا من السيرة العفو عند المقدرة.

متاجر السعادة

قال الحسن الصري رحمه الله :

اطلبوا حلاوة العبادة في ثلاث :

في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر

فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب بينكم وبين الله مغلق.

وقفة مع الصلاة:

الصلاة صلة بين العبد وربه، يجد فيها الراحة ويستدر منها السكينة، وقد قال صلى الله عليه وسلم : أرحنا بالصلاة يا بلال.

وما جعلها الله لك في اليوم خمس مرات إلا لحاجتك للراحة، فلو أمضيت حياتك كالآلة لأصابك العطب، ولحدث لك خلل في برمجتك الداخلية " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير". فقد خدعونا بقولهم: العمل عبادة، كلام ليس له أصل في الدين ولم يرد به نص مبين، وأي عمل أعظم من الجهاد حتى لو احتمى القتال، لا تسقط الصلاة عن المجاهد فيصلي ولو بالإيماء، فما بالك وعملك دون الجهاد.

يقول ثابت البناني كابدت قيام الليل عشرين سنة، ثم تلذذت به عشرين سنة أخرى، والله إني لأدخل الصلاة لا أحمل إلا همّ الخروج منها.

من يحتاج إلى الآخر ؟

الله غني عن عباده ولا يحتاج إليهم، فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، فلو كان العباد على أتقى قلب ما زاد في ملك الله شيئًا، ولو كان العباد على أفجر قلب ما نقص في ملك الله شيء،فالعبد حاجته إلى الله لا تنقطع، وينبغي على العبد أن يُدرك ذلك فحين يدعوه ربه إلى لقائه، فليعلم أنه الرابح من هذا اللقاء.

وقبل أن أحدثك عن الربح، تعال نبحث في أصل الإنسان، سنجده مخلوقاً

من قبضة أرضية من أدمة الأرض ونفخة سماوية، حيث قال تعالى:

" ونفخت فيه من روحي "،

فالجسد غذاؤه الطعام والشراب،أما الروح فلها غذاء آخر،

سأذكره لك بعد سرد تلك القصة.

يحكي أحد الدعاة وسأدع له خيط الكلام، فهو أفصح مني لساناً:

ذهبت إلى السويد في رحلة دعوية، فرأيت في أحد تنقلاتي طوابير من الناس، فتعجبت ما حاجتهم للتزاحم ومعدل دخل الفرد يضمن لهم كفلاً من الرفاهية، فاقتربت من أحدهم، وسألته علام اجتمعتم؟ فقال: جئنا لنسجل أسماءنا فسألته هل تذهبون في رحلة ترفيهية أم تتطوعون في عمل جماعي؟ قال: لا، ولكنا أخذنا قرارًا بالانتحار فقد سئمنا الحياة.

وما الداعي إذن لتسجيل أسمائكم ؟

قال : حين تجد الشرطة جثة أحدنا ستتبع الأمر، وتظن أن هناك شبهة جنائية، فجئنا لنيسر عمل الشرطة، كل منا سيسجل اسمه ومكان الانتحار ووقت التنفيذ والأداة المستخدمة !!

ما الذي جعلهم يقبلون على زهق أرواحهم ؟ حتى إن سويسرا بلد المال والأعمال بها عيادات تقدم لك الطريقة المثلى للانتحار، ما الذي وصل بهم إلى سأم الحياة حتى زاد ضجرهم وتعجلوا الموت ؟

هم أشبعوا الجسد بالشهوات والملذات، أما الروح فلم تجد لها غذاء، فتبرمت وتعست وشقي صاحبها، وقد انتقل إلينا الداء حين حذونا حذوهم، وحق لي أن أقول بملء فمي :عار على بلاد الإسلام أن يوجد فيها مريض نفسي،

وعندنا الصلاة " أرحنا بها يا بلال ".

وعندنا القرآن " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ".

وعندنا اليقين بالأجر " وبشر الصابرين ".

سُئل الحسن البصري: أين تجد الراحة ؟

فقال: سجدة بعد غفلة، وتوبة بعد ذنب.

لعل الكلام أثار دهشتك وما زلت عالقا بخاطرك في السطر الأول، وبصرك وحده وصل إلى هنا.

هل للروح غذاء ؟؟ :

الروح من نفخة سماوية فتميل إلى موطنها وتتطلع نحو السماء، فتجد غايتها في الصلاة والذكر وقراءة القرآن والدعاء، وهم يقيناً لم يجربوا هذا العلاج، ولم يُشبعوا الروح بغذائها فضجرت وتعجّلت الموت، فلا تندهش حين أخبرك أن خمسمائة طفل ينتحرون سنوياً في اليابان، فراراً من قسوة الحياة، فلم ينظر لهم المجتمع إلا كآلة فعطبت أرواحهم، براكين تفور في صدورهم مثل التي في أرضهم، ولي أن أقول حدثوك عن كوكب اليابان فكان وهم، أرواح خاوية فحسب فلا تنظر لهم بعين كبيرة، تباً لحضارة جعلت البشر مجرد آلات لم يبقى فيها وتر.

بينما ستجد آخر اصطف معهم في معسكر الكفر، ولكنه تشبث بالعلاج،يقول غاندي: لولا الصلاة لصرت مجنوناً منذ زمن بعيد. لم يكن مسلمًا، ولكنه كان يمارس تطلعات إلى السماء، استمد منها القوة وناضل ضد أعدائه.

قال تعالى: " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين"،حينما تساورك الهموم ويتناولك الناس بألسنتهم، ويحل بساحتك ظلام دامس،اهرع إلى الصلاة وعليك بالتسبيح، وأبشر بالخير والرضا والسكينة.

رمدت عين ابن عباس وكاد يذهب بصرها، فقال له الطبيب أُدَاوِيك على أن تصلي مستلقيًا، أي لن تصلي في جماعة، ولن تسجد أو تركع بضعة أيام، فأبى رحمه الله واختار العمى، فلذة قربه من الله ساجداً ونشوة فؤاده أكبر من تمتعه ببصره.

قال ابن القيم: لا يزال المرء يعاني الطاعة حتى يألفها ويحبها، فيقيّض الله له ملائكة تؤزه إليها وتوقظه من نومه إليها ومن مجلسه إليها. ولعل هذا حدث معك في مرات كثيرة فأبشر.

كان منصور بن المعتمر يُصلي على سطح بيته، فلما مات قال غلام من بيت جيرانه لأمه، الجذع الذي كان في سطح المنصور لست أراه.

فقالت أمه : لم يكن جذعًا بل كان المنصور يصلي وقد مات.

قال ابن وهب : رأيت سفيان الثوري في الحرم بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة، فلم يرفع حتى نودي بالعشاء. قال تعالى: " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا "

كلما اقترب العبد من الله، وجد طعم الطاعة وشذاها يملأ عليه حياته، حتى يتحقق وعد الله له: " فلنحيينه حياة طيبة "، وهذا من بديع كلام ابن القيم رحمه الله.

قالت زوجة عثمان رضي الله عنه للثوار الذين حاصروا داره: إن تتركوه أو تقتلوه، فإنه كان يُحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن.

الصلاة نور:

نور للعبد في قلبه فتمنعه من المعاصي،

" قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ".

أجرها لصاحبها يكون كالنور يوم القيامة.

نور لصاحبها في القبر، ونور له في الحشر.

نور لصاحبها تفتح له باب العلم والمكاشفة.

نور لصاحبها يرشده إلى الخير فيتبعه.

نور في وجه صاحبها، ويكون عليه من البهاء.

" سيماهم في وجوههم من أثر السجود "

سُئل الحسن البصري: ما بال المتهجدين بالأسحار أحسن الناس وجوّهاً ؟

قال: لأنهم خلوا بالرحمن بالليل فألبسهم الله من نوره.

قال صلى الله عليه وسلم :

" اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله "

ويبقى مصدر النور في حياة العبد من تجلياتها وتمام حرصه عليها، فتقوى روحه وتتجرع فواجع القدر،كان ابن عباس في سفر فبلغه أن ابنته قد ماتت، فحمد الله واسترجع ثم نزل من على الدابة وصلى ركعتين، وقال: هكذ ا أمرنا أن نصنع ،ثم تلا قوله تعالى " واستعينوا بالصبر والصلاة ". فالصبر ضياء والصلاة نور، وستنجلي الظلمات ويهون كل مصاب" وبشر الصابرين "،وهذا عزاء كل موجوع، بينما في الغرب يموت جرو أحدهم، فيُلقي بنفسه من فوق ناطحة سحاب.

التهيئة والمبادرة

يقول عدي بن حاتم :

ما نُودي للصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء.

قال أحد السلف: إذا رأيت الرجل لا يبالي بتكبيرة الإحرام فاغسل يديك منه.

من السبعة الذين هم في ظل العرش يوم القيامة، رجل قلبه معلق بالمساجد، ينتظر الصلاة بعد الصلاة ليذهب إلى المسجد، ويستعيد قلبه المعلق هناك.

لما حضرت الوفاة سعيد بن المسيب اجتمعن بناته حوله وبكين فقال:

أحسنوا الظن بالله، فوالله ما فاتتني تكبيرة الإحرام في المسجد منذ أربعين سنة.

عبد الله بن مسعود يقول : سألت النبي صلى الله عليه وسلم:

أي العمل أفضل ؟ قال: الصلاة لوقتها.

قلت: ثم أي ؟ قال: بر الوالدين.

قلت: ثم أي ؟ قال: الجهاد في سبيل الله.

إبراهيم بن ميمون المحدث كان يعمل صائغاً يطرق الذهب والفضة،

فإذا رفع المطرقة وسمع النداء، وضعها ولم يطرق بها.

هز النداء كيانه فاستخف عمله وغلبه اليقين أن الله أكبر.

سُئل أحد الصالحين لماذا تذهب إلى المسجد قبل الآذان ؟

قال الآذان لتنبيه الغافلين وأرجو ألا أكون منهم.

روى الشيخان عن أبي هريرة " لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلموا ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا".

لو يعلم الناس فضل الأذان، لكانت بينهم قرعة على من يرفع الآذان، ولو يعلم الناس فضل الوقوف في الصف الأول لاقترعوا مرة أخرى، ثم أرشدنا النبي لفضل التبكير إلى المسجد، وما في صلاة العشاء والفجر من أجر.

روى مسلم في مصنفه " لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله ".

قال النووي: يتأخرون عن الصفوف الأولى حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته وعظيم فضله ورفع المنزلة.

فما بالك بمن لا يخطو باب المسجد إلا ليشهد جنازة صديق أو ليستريح من عناء الطريق أو ليرتاد مرحاضا.

يقول ابن عمر رضي الله عنه:

كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء وصلاة الفجر أسأنا به الظن.

فكيف لو كانوا معنا وافتقدونا في كل صلاة،أما يستحي أحدنا من ربه حين لا نجب دعواه، وليس لنا عذر إلا سخف الحديث وشواغل لا تنتهي، بيوت أذن الله أن تُرفع تشتكي هجر المصلين وقلة الوافدين، أخذتهم المضاجع والمقاهي وجلسات السمر، وتجد أحدهم يضبط تنبيه الهاتف لوقت العمل لا لوقت الصلاة،لو جرفه الحنين لأنتبه وكان من الساجدين، ولكنه أبى إلا أن يكون من أهل الغفلة،في الغد سيأتي لا ليُصلي ولكن ليُصلى عليه، وبئس العبد عبد سهى ولهى،ولم يدر المبدأ والمنتهى،" ما سلقكم في سقر، قالوا لم نك من المصلين ".

فحساب العبد يوم القيامة سيبدأ بصلاته، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت بتهاونه وتقصيره فسد سائر عمله.

خرج عبد الله بن عمر إلى حائط له أي بستان نخيل، فرجع وقد صلى الناس العصر فاسترجع قائلا: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاتتني صلاة العصر في الجماعة أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة.

وفاتته في إحدى الليالي صلاة العشاء في جماعة، فأحيا ليلة كاملة وأعتق رقبة، وأصبح صائمًا وتصدق بصدقة.

والله إني لأجد حسرة في نفسي، حين أرى شبابًا يتسكع في الشوارع وقت الصلاة هائماً على وجهه، ليس له طموح أو رغبة أو سعي نحو آخرته، في مثل عمرهم كان أسامة بن زيد يقود الجيش، وأكبر منهم قليلاً كان محمد الفاتح يدك حصون القسطنطينية، "رضوا بأن يكونوا مع الخوالف"، لو تأملت أعمار المصلين في المساجد لوجدت جلهم على أعتاب الأربعين، وشيوخ قد هرموا لم يكن في عصيهم مآرب أخرى غير أن يتكئوا عليها.

" إن الله لينادي يوم القيامة أين جيراني أين جيراني، فتقول الملائكة ربنا ومن ينبغي أن يجاورك، فيقول أين عمار المساجد ". صححه الألباني.

كان في بلدتنا رجل كبير يعاني عجزاً في إحدى قدميه، كان حريصاً على التبكير للمسجد فلم يأخذ وحل الطريق من عزمه مره، ولم يرده حر الظهيرة عن غايته أبدًا، إذا انتبهت من نومي لصلاة الفجر ووسوس لي الشيطان أن أتوانى قليلا ، فإذ بي أقف فزعاً وأقول سبقني إلى المسجد.

كان الربيع بن خثيم قد سقط شقه في الفالج، وأصيب بشلل نصفي، وكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين. وقد عذره الله الذي يحب أن تؤتى رخصه، ولكنه لم يعذر نفسه، كيف لا يلبي حي على الفلاح.

وغيره صحيح البدن معافى، لا يدخل المسجد إلا يوم الجمعة أو في الأيام الأولى من شهر رمضان، وكأن الحسن يضرب قلوبهم بسياط وعظه لو كانت بالقلوب حياة : يا ابن آدم وماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك.

يقول حاتم الأصم فاتتني صلاة العصر في جماعة فعزاني بعض أهل المدينة، ولو مات أحد أبنائي لعزاني كل أهل المدينة، والله لموت أبنائي جميعًا أهون عندي من فوات صلاة الجماعة، كانوا يعزون أنفسهم في فوات صلاة الجماعة وكأنها مصيبة، بل كانت بالفعل حتى قال الشافعي: لا أنسى يداً امتدت إلي تعزيني لأني فاتتني تكبيرة الإحرام خلف الإمام، لم تفته صلاة الجماعة، فربما أدركهم في الركعة الثانية، ولكن فاتته تكبيرة الإحرام فعزاه أصحابه، فكيف ترديا في هذه الهوة السحيقة من الكسل والتفريط والغفلة.

انتبه معي أن مسألة تارك الصلاة لم يبحث فيها علماء القرون الأولى، فلم يتخيلوا أن مسلماً لا يصلي، بينما مساجدنا تشتكي هجر العباد، فأين يا قوم زاد المعاد، وقد بلغ بنا الحال، بأن أحد الشباب حين توفى والده أبى أن يصلي عليه صلاة الجنازة، ونهرني وقال أنا لا أصلى، فتركته وكأن زلزال بداخلي رجف بقلبي.

قال ابن القيم : للعبد بين يدي ربه موقفان، موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بموقفه في الصلاة ولم يوفه حقه، شدد عليه موقفه يوم القيامة.

ترى الذي يعض إصبعه يتأوه،فسلّه لم يتأسف على حاله والأمر بيده، لو توقف عن عض إصبعه لزال عنه الألم، وكذلك تارك الصلاة تجده يعاني من الضنك والتعاسة، فلو سجد جبينه لسعدت نفسه وامتلأت بالخير يمينه، ولا عزاء فقد جر الويلات على نفسه بتفريطه، فلن يهنأ بحياته ويحالفه التوفيق إلا بإقامة صلاته، ولو أن لي قوة لهمست في صدر كل تارك، ويحك ألا تشتاق نفسك للسكينة، "أرحنا بها يا بلال " فهلم إليها، وكفى جفاءً بينك وبين الله " واسجد واقترب ".

لص في المسجد :

أصارحك عن نفسي بشيء، ربما لا أحسن الصلاة ولا أطيل فيها بقدر يُحمد، لكن أحيانًا يُسلم الإمام وقد بقي لي ركعة وكذلك من بجانبي، فأقرأ الفاتحة وقبل أن أنتهي منها أجد من بجواري قد ركع وسجد وجلس للتشهد.

قال أبو هريرة: إن الرجل ليصلي ستين سنة، ولا تقبل منه صلاته.

فقيل له: كيف ذلك ؟

قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا قيامها ولا خشوعها.

فالعبرة ليست بحركة الجسد، بل بحضور القلب وتحصيل الخشوع فاركع حتى تطمئن راكعًا، واسجد حتى تطمئن ساجدا.

وستكون خسارتنا أكبر حين نعهد برايتنا لجيل لقادم، نظرته لنا حطمت فيه كل معاني الشعور والوجل، رأى مالك بن دينار رجل يسيء صلاته، فقال ما أرحمني لعياله، فتعجب من حوله من قوله، فأرشدهم إلى مراده، إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي :

إن الرجل ليسجد السجدة يظن أنه تقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، ولو وزع ذنب هذه السجدة على أهل بلدة لأهلكتهم.

سئل: كيف ذلك ؟ قال: يسجد بين يدي مولاه، وهو منشغل باللهو والمعاصي والشهوات وحب الدنيا، فأي سجدة هذه ؟

لم أنس وعدي لك، سأخبرك عن اللص لاحقاً.

حكى لي أحد الشباب أنه يسهو في صلاته، وتأتيه أفكار شهوانية حتى تنتصب فيه رغبته، وآخر يُخرج من جيبه فاتورة الحساب ليراجعها، فقد وسوس له الشيطان بأن التاجر قد أخطأ، فصار الإمام يكبر وهذا يجمع ويحسب أي صلاة هذه ؟!!

ودعني أسألك: لم لا تنشغل بتلك الأفكار،وأنت تشاهد المباراة أو حين تتناول طعامك؟ الشيطان يُعطيك الخيط وأنت تجره، فانتبه ولا تذهب بعيدًا، فأنت في حضرة الملك فدع ما يُشينك، وصل صلاة تليق بمعبودك، وحقق الخشوع واذرف الدموع واخلع نياشينك.

وينبغي أن تعلم، انك لو استحضرت عظمة الله في قلبك، وانتبهت لقراءة الإمام أو تمعنت قراءتك ما جال خاطرك في كل واد، ولشعرت بالراحة وملأت جوانحك السكينة، ولكنك لم تبال بما تصنع، فازداد عدد اللصوص في المسجد.

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته.

قيل: كيف يسرق من صلاته ؟

قال: لا يتم ركوعها ولا خشوعها ولا سجودها.

أسوأ اللصوص الذي يسرق من صلاته، لا الذي يسرق المال العام أو يقطع الطريق ليلاً ليسطو على المارة، لص الدين شر من لص الدنيا.

بعض الأئمة عافاهم الله تجدهم يقرأون في الصلاة الجهرية بأحكام متقنة ومدود مستوفاة حتى إذا جلس للتشهد الأوسط وقام ليكمل صلاته سراً شككت في أمره، هل حقاً قرأ الفاتحة أم لا ؟

هل الفاتحة جهراً تختلف أحكامها عندما تسر بها ؟ هل كان في حوار مع الله أم تعجل من أجل دنيا يُصيبها ؟

يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال عبدي " الحمد لله رب العالمين " قال الله: حمدني عبدي

فاذا قال: " الرحمن الرحيم ". قال الله: أثنى علي عبدي.

فإذا قال: " مالك يوم الدين ". قال الله: مجدني عبدي.

فإذا قال: " إياك نعبد وإياك نستعين " قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.

الله عز وجل خاطب موسى: " وما تلك بيمينك يا موسى، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مأرب أخرى".

لم يكتف موسى بقوله: "هي عصاي" كإجابة على السؤال حيث في الكلام مع الله لذة، فأراد موسى أن يستزيد لنفسه، فلم زهد الإمام أو من يصلي منفردًا في تلك اللذة؟ ثم تسمع من يشتكي صليت ولم أجد الراحة، ولم أشعر بالسكينة، ولم أنته عن سوء صنيعي.

تعال نتفق أن الصلاة كما هي لم يطرأ عليها أي تغيير، ولكن العبرة ليست بالحركات إنما بالنبضات،" قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون "، والخشوع في القلوب وليس في المناكب والرقاب، فهذا خشوع النفاق.

كيفية تحصيل الخشوع :
زين العابدين بن الحسين كان يُصلي في المسجد، فانهدم أحد أركان المسجد فلم ينتبه، ومضى في صلاته، فلما سلم منها. قال: ما هذه الغبرة ؟

قالوا: أما سمعت ؟ قد سقط جانب المسجد!

قال: لم أشعر بذلك كنت في شغل عنها.

أراد الأطباء أن يقطعوا ساق عروة بن الزبير، فقال لهم: انتظروا حتى أدخل في الصلاة، ثم اصنعوا ما بدا لكم.

واجب عملي لتخشع في صلاتك:

على باب المساجد اخلع الدنيا مع نعليك، وفرغ قلبك للقاء الله.

لا تكرر السور القصيرة التي تقرأها بعد الفاتحة.

حين تصلي منفردا أطل في سجودك مااستطعت وعش لذة القرب.

صل في أكثر من مسجد، وأكثر من موضع في المسجد الواحد.

تدبر ما تقرأ، ولو عينت الآيات والسور القصيرة سلفاً لكان أفضل،

وأرجو منك ألا تكررها إلا بعد أيام.

أحد الشباب يقول: هممت أن أدع الصلاة، فلم أنتهي عن المحرمات وقد جاء في الحديث: " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ".

فقلت له: لا تدع صلاتك، وهذا الحديث لا يحتج به، فقد أورده الإمام الألباني في السلسلة الضعيفة، وقال: حديث باطل لا يصح من قبل إسناده ولا من جهة متنه.

وآخر يقول: أحيانًا أفرح بالصلاة، وأحيانًا أشعر بثقل الصلاة، وكأنها جبل قابع على صدري. القلوب تموت وتحيا والنفس لها إقبال وإدبار، فاغتنم إقبالها وصل النافلة عقب الفريضة، وعند إدبارها فاحملها فقط على الفريضة.

ويكفيك أن تعلم أن الله يفرح بقدومك إلى بيته لتأنس به وتُكثر من الزيارة، وقد جاء في السنة: " ما توطن رجل المسجد للصلاة والذكر إلا تبش الله تعالى إليه، كما يتبشش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم ".

توطن :أي جعل المسجد كالوطن يألفه، تبشش: أي فرح به وأقبل عليه بإكرامه.

سامحني يا الله إذا صليت بذهن شارد وأقبلت عليك بنصف قلب، وارزقني يا الله لذة الأنس بك وثبتني على الصلاة حبًا وليس فرضًا.

وقفة مع القرآن

قال خباب بن الأرت رضي الله عنه:

تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

طبيب له صيت ذائع في مجال الطب النفسي ....

قال : زارني في عيادتي كل أطياف المجتمع إلا حملة القرآن.

ثلاثة ملايين في رصيدك :

قال صلى الله عليه وسلم: من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: "ألم" حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف.

عدد حروف القرآن تزيد عن ثلاثمائة ألف حرف، ولك عشر حسنات عن كل حرف تقرأه، سيكون أجر الختمة الواحدة أكثر من ثلاثة ملايين حسنة في رصيدك.

فما الذي يشغلك عن قراءة القرآن ؟

عمل .. دراسة.. سفر .. تجارة .. ضغوط الحياة .." فاقرءوا ما تيسر منه "،

قال صلى الله عليه وسلم : " ما زاحم القرآن شيئًا إلا باركه ".

اغتنم أوقاتك وإقرأ في الحافلة وبين شوطي المبارة، وحتى يحين دورك عند الطبيب، وقبل أن تبدأ في مراجعة دروسك، وأنت تمضي في طريقك تسرد على قلبك ماتيسر من حفظك.

قال ابن مسعود ثلاث من كن فيه ملأ الله قلبه إيمانًا:

صحبة الفقيه، وتلاوة القرآن، والصيام.

تقول عائشة رضي الله عنها: كنت أقرأ وردي من القرآن وأنا مضطجعة، فلا حرج إن عدت من عملك أو الجامعة أو أجهدتك أعمال البيت وقرأت القرآن مستلقية في فراشك.

شرف وفضل ورفعة :

قال صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين من الناس قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته.

قال صلى الله عليه وسلم : يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها.

قال صلى الله عليه وسلم : الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران.

أوصى النبي صل الله عليه وسلم ابو ذر : عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء.

قال صلى الله عليه وسلم : خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

ويبقى سؤال من يشفع لك عند الله يوم أن تلقاه؟

" إقرأو القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه "

" الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ..... "

- **من آداب القراءة :**

الخشوع : فقد أوصى أحد السلف ابنه: اقرأ القرآن وكأنه عليك نزل.

التطهر من الحدث: " لا يمس القرآن إلا طاهر ".

استقبال القبلة : لو تيسر لك أن تستقبل القبلة.

الترتيل الحسن: " إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله "،لا تقرأ في المصحف، كما تقرأ من الصحيفة، بل تدبر واستشعر لذة المناجاة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " ... قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السور".

ومن لا يُحسن القراءة، فليس بمحروم من الأجر: " من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة ".

المهم أن تبقى عامرا ....

فقد روى الترمذي: " إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب ".

لو أذنت لي اطرح شواغل عقلك جانبًا، وتدبر معي ما تعثر علي تدبره وحدي.

في البداية سأضع مسلمات أربع كتوطئة

القرآن نور: " واتبعوا النور الذي أنزلنا ".

والذي أنزل القرآن نور : " الله نور السموات والأرض ".

والذي نزل بالقرآن نور،جبريل من الملائكة، وهم من نور .

والذي نزل عليه القرآن نور: " لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ".

فما بال التعاسة والظلمة والشقاء والهموم تملأ حياتنا ؟؟

تلتقط خيط الكلام، وتقول: دع الإجابة لي هذه المرة، وتطلب مني أن أفتح المصحف وأقرأ الآية رقم ١٢٤ وما بعدها من سورة طه.

" ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمي * قال ربي لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك أيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ".

وضعت يدك على الجرح، وكأن الآية تقطر منها الحسرة على حالنا، وإلى الله المشتكى، فرفع النبي شكوته " وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ".

قال عبد الملك بن عمير : أبقى الناس عقولاً قُرَاء القرآن.

مهما بلغ العمر بصاحب القرآن، فلن تنضب ذاكرته أو يغشاه زهايمر.

قال عبد الله بن الزبير: بلغت أمي أسماء التسعين من عمرها، ولم يسقط لها سن أو يُنكر لها عقل.

قال أبو هريرة رضي الله عنه :

إن البيت الذي يُتلى فيه القرآن

اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين،

وإن البيت الذي لا يُتلى فيه القرآن،

ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين.

قال بن مسعود رضي الله عنه: إن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله.

- **مرض وعلاج :**

يشتكي البعض أنه لا يجد لذة في قراءة القرآن.

قال سلم الخواص: قلت لنفسي يا نفسي اقرئي القرآن كأنك سمعتيه من الله حين تكلم به، فجاءت الحلاوة.

قال الطبري :عجبت لمن يقرأ القرآن وهو لا يعرف معانيه، كيف يلتذ بقراءته.

نصيحة ذهبية: أحضر كتاب معاني كلمات القرآن، أومصحفا بحاشيته شرح مبسط، وابتعد عما يشغلك كالهاتف، وأغلق عليك باب غرفتك لتكون آمن من ضجيج الأولاد والتلفاز، وستجد من اللذة ما يملأ صدرك، فالقرآن خير رفيق يجلو عن صاحبه الضيق.

ابن تيمية الذي تصدى للفرق الضالة، ونافح عن الدين وصنف من الكتب الكثير، حين دخل السجن ولم يعد له إلا صحبة القرآن، قال: ليتني وهبت القرآن عمري.

فالقرآن كالصاحب كلما طالت الصحبة عرفت أسراره، فالصاحب لا يُعطي سرّه لمن يجالسه لحظات ثم ينصرف، وقد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا. فليت كل هاجر للقرآن يتزود بقدر صفحة يومياً وسيغتنم أثرها، فالبائس من يقرأ في شتى صنوف العلم بنهم بالغ، وليس له ورد من القرآن يسقي قلبه، ترك نفسه فريسة لنظريات العلماء وشكوك الفلاسفة، يهيم به فؤاده في كل واد من الشعر والأدب، ولو استهل أحرفه الأولى لعلم موقناً أن " ذلك الكتاب لاريب فيه ".

قيل للحسن البصري إن فلاناً يحفظ القرآن.

فقال الحسن: بل القرآن يحفظه.

قال صل الله عليه وسلم " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدراسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ".

خبرني بربك عن اجتماع في ندوة أو محاضرة أو تكريم، تخرج منه بمثل هذه الثمار المزهرة،فما أجمل القرآن وما أحلى فضائله ويكفيه قول ربي " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين "، وقد طلبت إحدي معلمات الصفوف الأولى من طلابها أن يرسموا الربيع، فجاءت إحداهن وقد رسمت المصحف، فاندهشت المعلمة وقالت لما لم ترسمي الربيع؟ فقالت الطالبة القرأن ربيع قلبي.

رمضان شهر القرآن، كان الإمام مالك يترك كتب الحديث ويُقبل على المصحف، وكان سفيان الثوري إذا أقبل رمضان انشغل بالقرآن والصدقة، وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث وإذا أقبلت العشر ختم في كل ليلة،وكان الإمام أبو حنيفة يختم كل يوم مرتين، مره في النهار ومرة في الليل،وقد قال ابن عباس من لم يختم القرآن ولو مرة في رمضان فقد هجره.

وإليك فضائل بعض سور القرآن وآياته كما جاء في السنة:

ـ لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة.

ـ من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين.

ـ إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له وهي سورة تبارك.

ـ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء.

ـ من قرأ آية الكرسي بعد كل صلاة مكتوبة لا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت. فإقرأ واغتنم الأجر واظفر بتلك الفضائل،ويكفيك وعد الله لك.

قال تعالى " فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى "،ضمن الله لمن اتبع القرآن

ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الأخرة، كما قال ابن عباس رحمه الله.

قال الشيخ لأحد جلسائه هل تحفظ القرآن؟، فقال لا

فقال الشيخ إني لأتعجب من مسلم لا يحفظ القرآن،

فبم يتنعم ، وبم يترنم ، وبم يناجي ربه ،

أما تعلم أن زاد الصالحين سماع القرآن وقراءته.

وقفة مع الذكر

إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله ، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله،

وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم لينالوا بهم العزة والرفعة، ، فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة.

ابن القيم.

قال عبد الله بن عباس:

ما من عبادة فرضها الله على عباده، إلا جعل لها حداً معلوما ووقتا معلومًا، وعذر أهلها في حال العجز عنها إلا الذكر، فقال تعالى : " فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم ".

كان أحد السلف يُكثر الجلوس في بيته فقيل له: ألا تستوحش ؟

قال: كيف أستوحش والله عز وجل يقول: " أنا جليس من ذكرني ".

جاء رجل إلى الحسن البصري، وقال: أي الأعمال أفضل ؟

فقال: يا رجل أما تقرأ القرآن " ولذكر الله أكبر".

قال أحد السلف لإخوانه أنا أعرف متى يذكرني ربي.

فتعجبوا أو يذكرك الله ؟ قال: نعم عندما أذكره.

وإن شئتم فاقرأوا قوله تعالى: " فاذكروني أذكركم ".

من الذي يذكرك... رئيس من الرؤساء أو وزير من الوزراء؟

يكفيك شرفًا أن الذي يذكرك رب الأرض والسماء.

وقبل أن نسترسل في الحديث عن صيغ الذكر وآدابه تعال نطرح سؤالا،

وإن بَدَتْ به غلظة وجفاء: لماذا نذكر الله ؟

امتثالاً للأمر: " يا أيها الذين امنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ".

طلباً للفلاح: " واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ".

رجـاء المغفـرة وطلـب الثـواب : " والـذاكرين الله كثيـرا والـذاكرات أعـد الله لهـم مغفرة وأجراً عظيمًا."

لنحظى بمعية الله : " أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ".

لندفع عن أنفسنا صفات المنافقين " يُراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ".

كم مرة نذكر الله ؟؟

قيل لأبي الدرداء: كم تسبح في اليوم؟

قال: مائة ألف تسبيحة إلا أن تخطئ الأصابع.

وكان أبو هريرة يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة.

عن عبد الله بن بسر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأوصني بشيء أتشبث به.

قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله.

" ومـا أريـد أن أشـق عليـك " فـاذكر قدر حاجتك، وقـد قـال الشـافعي: إذا انكشـف الغطاء يوم القيامة عن ثواب أعمال البشر لم يروا ثواباً أفضل من ذكر الله تعالى.

أوصى أحد السلف إخوانه وهم عنده، إذا خرجتم من عندي فتفرقوا،

لعل أحدكم يذكر الله في طريقه ومتى اجتمعتم تحدثتم.

- **صيغ الذكر:**

أفضل الذكر وجدد به إيمانك: لا إله إلا الله.

تغرس لك نخلة: سبحان الله العظيم وبحمده.

تُحط خطاياك: سبحان الله وبحمده ١٠٠ مرة.

من كنوز الجنة : لا حول ولا قوة إلا بالله.

أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده.

ثقيلتان في الميزان: سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده.

الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر.

عقوبة الغفلة

يقول ابن عباس:

الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس.

قال تعالى : " استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ".

استحوذ عليهم الشيطان فأقصى ما صنعه بهم أن أنساهم الذكر، فأخرجهم من معية الله ليتولى غوايتهم، ويسهل عليه قيادهم.

أحد السلف قال لصاحبه: إياك ومجالسة الموتى.

فقال: ومن الموتى ؟

قال: الذين أطغاهم الغنى وأنساهم الذكر.

في غمار حياة صاخبة بالماديات ومتلونة بالفجور والشهوات، لا تدع لهم غدير روحك فينضحوا منها كل المياه الراكده ويحرقوا مراكب العودة،أنقذ ما تبقى واسكب بين حناياك محبة الله، وجدد الإيمان في قلبك لتحيا، بقول لا إله إلا الله، وإملأ بالذكر قوارب صدرك،ليكتمل شحن الإيمان فتبحر مطمئناً وتغتنم النفحات.

فضل الذكر:

قال الصديق رضي الله عنه: ذهب ذاكرون الله بالخير كله.

قال معاذ بن جبل: ما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله.

قال أحد السلف : لولا من يذكر الله في غفلة الناس لهلك الناس.

تأمل ذاك الفضل الجليل قال صلى الله عليه وسلم : سبق المفردون.

قالوا: يا رسول الله من المفردون؟

قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ؟

فهنينا لأهل الذكر فقد سبقوا....

سبقوا للجنان عند الملك الديان.

كان هناك سباق للخيل فرأى أحد الشباب رجلًا قادمًا من ناحية السباق.

فسأله: من الذي سبق ؟

فقال الرجل: سبق الذاكرون.

فقال الشاب: أنا أسألك عن الخيل.

فقال الرجل: وأنا أدلك على الخير.

فمن سبق ليس الفنانون أو اللاعبون أو رابح المليون، بل سبق الذاكرون.

كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه:

هلموا نزداد إيمانًا، فيذكرون الله عز وجل.

قال تعالى: " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ".

وكأن الكلم الطيب مع تأشيرة مرور تلقائية إلى السماء، أما العمل الصالح فيتولى الله رفعه إليه.

وحين رأى النبي صل الله عليه وسلم أصحابه يجلسون في حلقة يذكرون الله، قال: أتاني جبريل فأخبرني أن الله عزوجل يباهي بكم الملائكة.

قال الإمام الجنيد رحمه الله لتلاميذه: أكثروا من ذكر الصالحون فإذا ذُكر الصالحون نزلت الرحمة.

فسأله أحد التلاميذ يا إمام فما بالك لو ذكرنا الله؟ قال الجنيد: إذا ذكر الله نزلت الطمأنينة،" الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب "

وبتحصيل اللذة في الصلاة والقرآن والذكر سيتحقق للعبد وعد الله له:

" فلنحيينه حياة طيبة "، فالذكر يرضي الرحمن ويجلو الأحزان ويملأ الميزان.

قال مالك بن دينار :

مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها ولم يذوقوا أطيب ما فيها.

قيل: ما أطيب ما فيها ؟

قال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره وطاعته.

قال أحد السلف: إنه لتمر بي الساعات يرقص القلب فيها طرباً من ذكر الله،

فأقول لو أن أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره،

"واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار".

قال ابن تيمية: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، جنة الإيمان والطاعة، فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله، وقد قال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

الحياة الطيبة التي وعد الله بها أهل الطاعة هي حياة القلب ونعيمه وبهجته، وفي ذلك يقول ابن القيم:

لا تحسب أن قوله تعالى : " إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم" مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار،فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم.

وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب ؟

قال النبي صل الله عليه وسلم لأصحابه: خذوا جنتكم أي احترزوا

قالوا من عدو قد حضر، قال لا، ولكن خذوا جنتكم من النار

وقولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

تقول عائشة رضي الله عنها وأرضاها : كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه.

فمن يقرأ كتاب حصن المسلم، يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له مع كل حال ذكر، فالذكر من أيسر العبادات وأقربها إلى القلب وأنفعها، "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، وقد قال الشاطبي في كتابه الاعتصام ما شرعت العبادات إلا من أجل الذكر، واستشهد بقوله عز وجل: " وأقم الصلاة لذكري" فمن لزم الذكر كان في معية الله، وبقي في الحصن وبقيت في قلبه الحياة، وقد روي: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت "، قال ابن تيمية الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا أخرج من الماء؟ وقد كان رحمه الله

يمكث في مصلاه بعد صلاة الفجر حتى قبيل صلاة الظهر، ويقول: هذه غدوتي وإلا سقطت قوتي.

يتوهم البعض أن السعادة في قصر مشيد، أو زوجة حسناء أو سيارة فارهة، أو منصب مرموق، أو سماع الأغاني أو متابعة الكرة، أو في تعاطي الخمر والمخدرات غرتهم دنياهم وخدعهم السراب، فمن يرد السعادة فليقرأ القرآن بتدبر، ويسبح ويستغفر ويمرغ جبهته ويطيل السجود لتخرج من رأسه كل الشحنات السالبة، فلن تحلو الحياة إلا بذكر الله وفي حب الله وبالقرب من الله.

ولا تظن بأن الأمر سهل، فالنبي طلب المعونة من ربه، فكان صلى الله عليه وسلم يدعو دبر كل صلاة: " اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ".

رجل اعتاد أن يقرأ ورده وأذكاره بعد صلاة العصر، ثم مرض وخضع لجراحة في وقت إعتاد على الذكر فيه، وإذ به يقرأ ورده وأذكاره بعدما خضع للتخدير الكلي، كادت عقول الأطباء أن تطيش هم غيبوا عقله، ولكن قلبه بالله موصول.

فأناشدك بالله والرحم التي بيني وبينك مهما كانت أعباء يومك لا تغفل عن قول:

" بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم " ثلاث مرات لن يضرك شيء ولن تصبك فجأة بلاء.

" لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " عشر مرات تكون في حرز من الشيطان، وكأنك أعتقت أربعة أنفس من ولد إسماعيل.

" من صلى علي حين يُصبح عشرا وحين يُمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة "، عشر مرات ترددها في الصباح والمساء اللهم صل وسلم على نبينا محمد.

عرض مفتوح :

ألف حسنة في ثلاث دقائق

قال صل الله عليه وسلم لجلسائه " أيعجز أحدكم أن يكسب في اليوم ألف حسنه؟ قالوا كيف ذلك؟ قال يُسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو تحط عنه ألف خطيئة"، لعلك تسأل كيف تتضاعف المائة وتصبح ألف؟ " فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ".

قال صل الله عليه وسلم " من عجز منكم عن الليل أن يكابده وبخل بالمال أن ينفقه وجبن عن العدو أن يجاهده، فليكثر من ذكر الله ".

وحين اشتكى فقراء الصحابة شكوى غبطة لا شكوى حسد، " ذهب أهل الدثور بالأجور .. فأرشدهم صل الله عليه وسلم إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة .. "

قال أبوالدرداء: لئن أقول الله أكبر مائة مرة أحب إلي من أن أتصدق بمائة دينار.

قد جاء في الأثر (إن أهل الجنة لا يندمون على شيء ولا يتحسرون ...)

تعال أسألك قبل أن أكمل لك الأثر

ما داع الندم وهم في الجنة ؟ وما داع الحسرة وهم في النعيم ؟

(... إلا على ساعة مرت عليهم لم يذكروا الله فيها)

كم من ساعات قد مضت، وقد رحل على أثرها أوقات كنا فيها من الغافلين.

" مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت"

ذكر الله للقلب حياة، فاللهم إملأ قلوبنا بحبك واجعل ألسنتنا رطبة بذكرك .

الإخلاص والرياء

" إن أول من تُسعرّ بهم النار ثلاثة :

عالم يقرأ القرآن :

طلب العلم وحفظ المتون وقرأ القرآن ورتله.

ورجل جواد :

أنفق المال على الفقراء ولمن يستحقه أرسله.

ورجل مجاهد :

خرج مع الجيش للجهاد وكان في أوله .

لو أطلقت لخيالي العنان لظننت أن أول من تُسعّر بهم النار

أكل الربا .. وهاتك الأعراض .. وساحر ،ولكن الأمر أتى على عكس ظنوني، فهؤلاء الثلاثة : العالم والجواد والمجاهد، أصحاب أعمال عظيمة لها جزيل الثواب، فما الذي أتى بهم إلى النار لتُسعّر بهم أولًا ؟!

سأل رجل تميم الداري: كيف صلاتك بالليل ؟

فغضب رحمه الله وقال: ركعة أصليها في جوف الليل لا يعلم بها أحد، أحب إلي من أن أصلي الليل كله، ثم أصبح وأقصه عليكم.

كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان يُحاصر حصناً منيعاً للروم، واستعصى فتح الحصن فخطب في جنوده: أما فيكم أحد يُحدث لنا نقباً في هذا الحصن، تخفي أحد الجنود إلى أن وصل لسور الحصن، وظل ينقب فيه حتى أحدث فيه نقبًا، ثم رجع دون أن يُخبر أحدًا، وعندما أشرق النهار وانطلق جيش مسلمة تجاه الحصن ولج الجندي من النقب، وفتح باب الحصن، وما انتبه الروم إلا وقلعتهم ترتج بالتكبير فرحاً بهذا الفتح.

أراد مسلمة قائد الجيش أن يُكافئ صاحب النقب، فنادى في جيشه أين صاحب النقب ؟ فلم يخرج أحد، فقال عزمت على صاحب النقب أن يأتي لخيمتي، وللقائد على جنوده حق الطاعة، فتلثم صاحب النقب وذهب إلى خيمة مسلمة، وطلب الإذن، فسأله الحاجب أنت صاحب النقب ؟ قال: سأدلكم عليه، ثم دخل على مسلمة وقال: إن صاحب النقب يشترط عليك ثلاثا:

ألا تبعثوا باسمه إلى ديوان الخليفة، واللا تأمروا له بعطاء، وألا تسألوه من هو، فقال مسلمة له ذلك فأين هو ؟ فأجاب الجندي في تواضع واستحياء أنا صاحب النقب أيها الأمير، ثم سارع بالخروج.

فكان مسلمة يدعو في صلاته اللهم اجعلني مع صاحب النقب يوم القيامة.

هناك عامل مشترك في موقفي تميم الداري وصاحب النقب. سأدعك تتقصى وحدك في المعاني قليلا حتى آتيك بثالث.

زين العابدين بن الحسين كان كل ليلة يحمل على كتفه جرابًا، فيه الشعير والتمر وما يحتاجه الناس في بيوتهم، ويدور في أروقة المدينة ليلاً يضع الطعام على أبواب الفقراء، حتى إذا خرج الناس إلى صلاة الفجر وجدوا الطعام، ولم يعرفوا من أتى به، وظل على هذا الحال سنوات لم يُخبر بصنيعه أحدًا، وكان في طبع الناس مروءة، فلم يتتبعه أحد في ستر الليل أو يختبئ خلف جدار ليكشف هويته، وافته المنية والناس يجهلون أمره.

وهنا سأقف قليلا لأجيب على سؤال دار بخاطرك :

طالما أن أمره كان سرًا، ولم يخبر به أحدًا، كيف وصلت حكايته إلينا ؟!

علامتان : الأولى فيهما أثارت الشكوك والثانية أتت باليقين.

عند غسله وجدوا أثراً في عاتقه من الجراب الذي كان يحمله، فقالوا ما علمنا أنه اشتغل حمالاً، وبعد موته انقطع الطعام عن مائة بيت من بيوت الفقراء، فعلموا أنه هو الذي كان يأتيهم بالطعام. فهل لك سر عند الله؟ خبيئة من عمل صالح لا يعلمها إلا الله، لا أنتظر إجابة ولكن أرجو لك القبول.

العامل المشترك في المواقف الثلاثة، هو حرص أصحاب المواقف على إخفاء العمل، وهذا من دواعي الإخلاص.

ما معنى الإخلاص؟

إفراد الله عز وجل بالقصد في الأفعال والأقوال. وألا ترد بعملك إلا وجه الله والتقرب إليه، وأعمال الخفاء أقرب إلى الإخلاص، فالمخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

فقد قال سفيان الثوري: كل عمل ظهر مني أمام الناس لا أعده شيئا.

ولعل ما قاله محمد بن أسلم يشرح لك علة ذلك:

لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي، لفعلت خوفا من الرياء.

صلى رجل في المسجد، ولما سجد بكى بكاء شديدًا، فلما انتهى قال له أبو أمامة الباهلي: أنت.. أنت لو كان هذا في بيتك .

لا خير في عين لا تبكي فمدح فعله، وتمنى أن يكون هذا في بيته بعيدًا عن الناس.

قال الإمام مالك: من أحب أن ينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن عمله في السر أكثر منه في العلانية.

قال الحسن البصري :

إن الرجل ليكون في المجلس فتجيئه عبرته، فإذا خشي أن تسبقه قام.

قال الأعمش كنت عند إبراهيم النخعي، وهو يقرأ في المصحف فاستأذن عليه رجل فغطى المصحف، وقال: لا يراني هذا أقرأ فيه كل ساعة.

هكذا كان حرص السلف الصالح على إخفاء عبادتهم.

وما الضرر لو ظهرت عبادتي للناس ؟

توقعت هذا السؤال منك، وسأروي لك هذا الحديث كتوطئة. جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر. فقال صلى الله عليه وسلم: " لا شيء له، إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه " الرجل يسأل ولعله يقصد نفسه.

أرأيت رجلا غزا أي جاهد، يلتمس أي يرجو ويطلب، الأجر أي الثواب، والذكر أي الشهرة وثناء الناس عليه.

فقال: لا شيء له، أي لا أجر له.

فالله لا يقبل إلا عملا صدقت نية صاحبه له وحده.

ربما تظن أني تباطأت في الإجابة: لم سُعرت بهم النار ؟

لم أتباطأ ولم أذهب لبعيد، حولها ندندن،ربما نازعتك نفسك، وأنت تتصدق أن يراك الناس ويمدحوك ويقال عنك جواد، وربما كانت رغبتك في مدح الناس لك، هي الدافع لصدقتك في المرة القادمة، وهذا هو الرياء.

- **ما معنى الرياء؟**

الرياء : مشتق من رؤية، ومصدره راءَى، ويُقال: مرائي ومعناه أن يفعل العمل ليراه الناس يصلي بخشوع ليمدحوا صلاته، يتصدق ليمدحوا سخاءه.

يقول الله عز وجل يوم القيامة للمرائين: اذهبوا إلى من كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء.

رد الله عليهم عملهم، فالأمر لا يقبل القسمة على اثنتين، فتعالى الله عن الشراكة مع خلقه.

يقول الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه.

فالرياء يُحبط العمل، وقد قال صلى الله عليه وسلم: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قيل ما هو ؟ قال: الرياء .

قال تعالى: " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يُشرك بعبادة ربه أحدًا ".

تعال نرجع إلى البداية....

إن أول من تسعر بهم النار ثلاثة وما زلت أذكر سؤالا طرحته.

العالم والمجاهد والجواد، ما الذي أتى بهم إلى النار ؟

أدع لك الإجابة هذا المرة بعد النذر الذي قدمته.

ترد واثقاً لا شك أنه الرياء.

أجل، وقد أخبرتك من قبل أن الرياء يُحبط العمل، فالعالم تعلم ليقال عالم، وقرأ ليقال قارئ وقد قيل،افتقد العالم الإخلاص والنية الصادقة فجرته الملائكة على وجهه إلى النار أولا، تخيل عالما تقرأ له المؤلفات أو تراه على الفضائيات، تسعر به النار " وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ".

قال أحد السلف: قل لمن لم يخلص لا تتعنى.

أي لا تجهد نفسك، فعملك الذي ترائي به مردود عليك.

والمعلوم سلفاً أن العالم تستغفر له حتى الحيتان في البحر، وأن الملائكة تضع له أجنحتها رضاً بما يصنع ،والعلماء هم ورثة الأنبياء ،وقد قال عز وجل " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "، ولكن هذا لا يكون إلا في حق المخلصين منهم.

قال أبو سليمان الداراني :

طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يُريد بها إلا الله تعالى.

فاجعل خطاك في طلب العلم لله، لا لتصرف وجوه الناس إليك أو لتحظى عندهم بمنزلة.

وقد قال أحد السلف: في إخلاص ساعة نجاة العمر كله.

فالبغي التي سقت كلبًا كان عملها خالصاً، فلم تكن هناك كاميرات تنقل الحدث بثاً مباشرًا، فالإخلاص سر القبول، ويكفي المخلص الذي صحت نيته لله أنه أعجز إبليس، ورد كيده وقد أقسم " فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ".

رجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، يُعرفه الله النعم التي عنده، ويسأله ما عمل فيها ؟ فيقول: ما تركت من سبيل تُحب أن ينفق فيها إلا أنفقت.

فيقول الله: كذبت، بل فعلت ليقال جواد، وقد قيل.

فيسحب على وجهه، ثم يلقى في النار.

وتأمل معي من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها فلم تعلم شماله ما أنفقت يمينه، صدقة قليلة جاءت نكرة في نفسها، لكن كبيرة عند ربها، فقد تصدق بها وأخفاها، ربما عمن جاوره أو أنه حين وضع يده في حافظة نقوده أغمض عينه حتى لا يعلم قدر نفقته، كانت نيته صادقة ولم يبتغ إلا وجه الله، فقبلها الله منه وأظله تحت عرشه، وتبقى "أخفاها" هي كلمة السر، كما كان يصنع زين العابدين.

قال صلى الله عليه وسلم: " من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل ".

فليعلم كل عاقل أن ميزان الأمور عند الله يختلف، فالرجل ما ترك سبيلاً للخير إلا أنفق فيه ودخل النار، وهذا تصدق بصدقة قليلة ودخل بها الجنة.

قال تعالى " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ".

سُئل أحد السلف عمل كذا وكذا، ما ثوابه ؟

فقال: إن قبل لا يُحصى ثوابه.

فما شرط قبول الطاعات ؟

الإخلاص، وتحدثنا عنه سلفاً، والمتابعة والتأسي بما جاء به الشرع.

وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل.

عليّ بن الموفق قال: جلست في صحن الكعبة، وقلت: يا علي بن الموفق حججت ستين حجة فهل قبلها الله منك أم ردها الله عليك؟، ومكثت جالساً حتى غلب النوم عيناي، فسمعت هاتفاً يناديني يا علي بن الموفق هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب، فقمت وقد سري عني.

عذرًا، فلم أنتبه إلا الآن، فلم أحدثك عن الرجل الثالث بشيء.

ورجل مجاهد حين التقى الجمعان وخطبت السيوف على منابر الرقاب، صال وجال في أرض المعركة حتى سقط، يؤتى به يوم القيامة للعرض على الله، فيعرفه الله نعمه عليه، القوة والإقدام ويسأله ماذا عملت فيها ؟

فيقول: قاتلت فيك حتى استشهدت.

فيقال: كذبت، بل قاتلت ليقال جريء وقد قيل فيلحق بصاحبيه، لو صحت لهم النوايا لكانوا من السابقين إلى الجنة، ولكن الرياء أحبط أعمالهم، فانقلبت عبادتهم عليهم وزرا وعذابًا.

عند البخاري أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال:

الرجل يُقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟

قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله.

من أفضل الأعمال الجهاد في سبيل الله، وهو ذروة سنام الإسلام.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: " واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ".

فما بال الرجل جاهد ومات شهيداً ودخل النار ؟ أبدا لم تكن نيته خالصة.

وآخر قاتل معه في ذات المعركة محتسبا مقبلاً غير مدبر مع النبيين في الجنة.

قال ابن القيم رحمه الله:

ليس الشأن في العمل، إنما الشأن كل الشأن في حفظ العمل مما يُفسده ويحبطه.

وكما أسلفنا الرياء يُحبط الأعمال، فاحفظ عملك حفظك الله، وقد نهانا عز وجل : " ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ".

وقد قال عبد العزيز بن رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم، أيقبل منهم أم لا.

فرحم الله عبدا وقف عند همه أي مراده إن كان الله أمضاه، وإن كان لغير الله تأخر، فتفقد نيتك قبل كل عمل.

يقول ابن الجوزي: لا تترك عملك خوفا من أن يُقال مراء، فذلك من كيد الشيطان.

تصدق أمام الناس ليحذو أحدهم حذوك، واقرأ القرآن على مرأى من الناس لعل غافلا ينتبه، وسبح واستغفر وصل على نبيك لعل من بجوارك يتذكر أو يخشى.

ولكن إن أذنت لي بطلب، أغمض عينيك عن الخلق، لكي لا ترى إلا الخالق فتصح لك نيتك، ولا تطلب على عملك شهودًا.

فلا تُحدث الناس بما خفي من عبادتك، فمن علامات الإخلاص أن يستوي عندك مدح الناس وذمهم، ولا تنتظر منهم ثناء ولا يحزنك قولهم، فحسبك رضا الله.

قالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي، فلم يغضب من قولها بل قال: هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة.

ولعل الحارث بن قيس يهمس لك ناصحاً حتى لا تقع في الفخ: إذا هممت بخير فلا تؤخر، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك ترائي، فزدها طولا.

فمن يدع نفسه لهواجس الرياء، لن يبرح مكانه ولن ينجز أي عمل.

فعالج نيتك قبل العمل وبعده، وتأمل عاقبة الرياء، ولا تنقض غزلك.

واعلم عافاك الله أن الإخلاص سر بين العبد وربه،

فلا يعلمه ملك مقرب فيكتبه، أو شيطان رجيم فيفسده.

ولعلك ما زلت تذكرها، المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

خاتمة

" لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد ".

قال الله عزوجل في محكم التنزيل : " واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ".

قال الحسن يا ابن أدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك ذهب بعضك، وإذا ذهب البعض يوشك الكل أن يذهب. وقد كثر الهرج وموت الفجأة، فعلينا أن نتجهز لهذا السفر الطويل، قبل أن تأتي القارعة، فإنه من عاش مات، ومن بدأ انتهى، " وإن ما توعدون لآت ".

فتزود من التقى، وتحلل من مظالم إخوانك، وأتبع السيئة الحسنة، وكلما تمزق ثوب إيمانك رقعه بالاستغفار، وقد قال الله عز وجل: " ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ".

فليس منا معصوم وكل قلب ندبته الذنوب مكلوم، ولنا في الله رجاء أن أكون أنا وأنت ممن قال فيهم: " وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ".

تهيأ للرحيل ولا تكابر وعش في هذه الدنيا مسافر

فما عمارها إلا ضيوف وما للضيف إلا أن يغادر

فأحسن السير ولا تنتظر من تتوكأ عليه، فأنت الجماعة ولو كنت وحدك، وأوصيك قبل أن تغلق الكتاب: أحسن فيما بقي من عمرك يُغفر لك ما مضى من ذنوبك، نفعك الله بموعظتي، " إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ".

مقدمة ٥

الرفق ٧

- مكارم الاخلاق تُثمر رفقًا ١٤

الغيبة ١٨

- عسل مسموم على موائد
الصالحين:..... ٢٤
- حيلة ربما تنفع ٢٥
- كفارة الغيبة ٢٥

الدعاء ٢٧

- غريق:..... ٣٣
- دعوة صادقة من قلب صادق:..... ٣٤
- حال الدعاء مع البلاء:..... ٣٥
- اسم الله الأعظم:..... ٣٦

شيطانة أم ريحانة ٤١

- ابليس يتعلم منها ٥١

الاجتهاد في الطاعة ٥٨

- الهمم العالية كنوز غالية : ٥٩
- بيت في الجنة : ٦٦

قسوة القلب ٧٣

وقفوا على شفير الذنب ٨١
وقفة مع الداء..... ٨٦
- المعصية تحجب لذة العبادة :..... ٩٠
- شؤم المعصية على المجتمع:..... ٩١
وقفة مع الدواء ٩٥
- ما الفرق بين الاستغفار والتوبة ؟..... ٩٦
- ماهي صيغة الاستغفار ؟..... ٩٧
- هل الاستغفار لا يكون إلا بعد الذنب ؟..... ٩٩
- الاستغفار أفضل أم التسبيح ؟..... ١٠٠
وقفة مع الشفاء ١٠٦
- الإقلاع عن الذنب : ١٠٨
- عزم على عدم الرجوع :..... ١٠٨
الصدقة ١١٣
- جبل من تمر : ١١٥
- ثمرات مزهرة من الصدقة : ١١٦
- ملك يدعو لك : ١١٧
البر والعقوق ١٢٦
العُجب..... ١٣٧
- شفاء الصدور من داء العجب والغرور : ١٤١
- تجفيف المنابع وقاية لا غنى عنها ١٤٢

سلامة الصدر ١٤٦

- خطوات الشفاء ١٥١
- دع الجدل وأنت الرابح : ١٥٢
- لا تناول أذنك لأحد : ١٥٢
- فض اشتباك بين المعاني ١٥٣
- لصوص في ساحة الأولياء : ١٥٤

مخالفة الفعل للقول ١٥٨

الستر ١٦٣

- خاصية تتبع:..... ١٦٩

الخشية ١٧٣

- ثمرات الخشية ١٨١

فتنة النساء والخمر والمال ١٨٤

- فتنة النساء : ١٨٥
- فتنة الخمر : ١٩٥
- فتنة المال : ١٩٩

الخلوة ٢٠٨

لا تغضب ٢١٨

- معيار القوة ٢٢١
- علاج الغضب ٢٢٥

متاجر السعادة ٢٣٠
- غذاء الروح ٢٣٣
- الصلاة نور ٢٣٥
- التهيئة والمبادرة ٢٣٦
- لص في المسجد ٢٤٠
- كيفية تحصيل الخشوع : ٢٤٢
وقفة مع القرآن ٢٤٥
- ثلاثة ملايين في رصيدك : ٢٤٦
- شرف وفضل ورفعة ٢٤٦
- من آداب القراءة : ٢٤٧
- مرض وعلاج : ٢٤٩
وقفة مع الذكر ٢٥٣
- صيغ الذكر : ٢٥٥
- جنة الإيمان والطاعة ٢٦٠
الإخلاص والرياء ٢٦٣
- ما معنى الرياء ؟ ٢٦٧
خاتمة ٢٧٣
الفهرس ٢٧٤